

ذِيوَانُ الْمُعْتَابِرِيْنَ

لِلْإِمَامِ اللَّغَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ

الجزء الأول

عن نسختي الإمامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركي
الشنقيطي رحمهما الله ، الأولى في خزانة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهر
وهي مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شوايش رحمه الله
والثانية في دارالكتب المصرية العامة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة
المتحفة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كركو
المنفضل بالنظر في تصحيحه

عنيت بنشره

مكتبة دارالكتاب

إصطخاها باسم الدين القدسي

القاهرة - باب الخلق - حارة الجنداوي ١

سنة ١٣٥٢ و حقوق الطبع محفوظة

كلمة عن حياة المؤلف

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهرا بن اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السنلى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى
رحم الله بهمدان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) معاً ، وقال كان يتبرز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو في سؤاله عنه - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر ، وله في اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد ، وكتاب الصناعتين
صناعى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد
المقرى إ . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تماطاك شبابٌ وتمشاك مشيبٌ
فأثى ما ليس يمضى ومضى ما لا يؤوبٌ
فتأهَّبُ لسقامٍ ليس يشفيه طيبٌ
لاتوهمه بميداً إنما الآتى قريبٌ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحى بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بقستر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) في نسخة « العمدة » مكان « الفقہ » . (٢) سيد ذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالي مالٌ من يلقطُ المعجمُ وحالي فيكم حالٌ من حالِكُ أو حبيهم
فأينَ انتفاعي بالاصالةِ والحجبا وما ربحتُ كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذي في الناسِ ^(١) ييصرُ حالي فلا يلمنُ الفرطاسَ والخبرَ والقلم
ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الخنفي بتستر قال أنشدني أبو حكيم الغفوي قال

أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسى في سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأثامَ قد رودُ
ولا خيرَ في قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم وبسودُ
وتهجوهمُ عنى رثائهُ كسوتى ^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضي بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الاستراباذي قال أنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل الغفوي العسكري لنفسه :

يا هلالاً من التصورِ تدلّى صامٌ وجهي لمقلتيه وصلّى
لستُ أدري أطلّ ليلى أم لا كيفَ بدرى بذاك من يتقلّى
لو تفرّغتُ لاستطالةِ ليلى ولرعى النجومِ كنتُ مخلى

هذا آخر ما ذكره السلفي من حال أبي هلال ..

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التي منها * لست أدري أطلّ ليلى أم لا *
والبيت الذي بعده رأيتُه في بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم ^(٣) .
هذا عن السلفي . وذكر غيره أن أبا هلال كان ابن أخت أبي أحمد العسكري .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفي : كتاب ديوان المعاني وهو من أحسن الكتب ^(٤)

(١) في عيون التواريخ (في الدهر) . (٢) في عيون التواريخ (رثائهُ ما بسى)

(٣) لعل الغلط من الراوى لأن أبا هلال نفسه ذكر الأبيات في الجزء

الأول من هذا الكتاب في الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاعر في عيون التواريخ على (ديوان المعاني) فلهذا اطلع عليه .

وكتاب جهررة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتاب النبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحاسة . كتاب مغاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة . كتاب أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب الفرق بين المعاني . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال، يا قوت : وأما وفاته فلم يباقي فيها شيء ، غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إتمام هذا الكتاب يوم الأربعاء عشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب
فلو أني جعلتُ أميرَ جيشٍ
فإنَّ الناسَ ينهزمونُ منه
بخطِّ العسكري أبي هلالٍ
لما قاتلتُ إلا بالسؤال
وقد بنوا لأطرافِ العوالي

وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :

فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوي
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحِي
بردَ الماءِ والهواءِ كأنَّ قد
ريحهُ تلمسُ الصدورَ فتشفي
لستُ أنسى منه دَمائَةَ دجنٍ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقَطْرِ
وغيروماً مطرِزاتِ الحواشي
كلا أرختِ السماءُ عُراها
وهي تعطيك حينَ هبتُ شمالاً
وترى الأرضَ في ملاةِ الملح
وأنا نبي السرورُ من كلِّ نحرٍ
من حُرورٍ تشوي الوجوه وتكوي
سرقَ انبرد من جوانحِ خُلو
وغماماتهُ تصوبُ فتروى
ثمَّ من بعده نضارةُ صحو
كما بُشِّرَ العليلُ ببرو
بوميضٍ من البروقِ وخبو
جمع القطرُ بينَ سُفلٍ وعاو
بردَ ماءٍ فيها ورقَّةٌ جَوُّ
مثل ربطٍ لبستهُ فوقَ فرو

فاستعارَ العراءَ^١ منها لباساً
فكانَ الكافورَ موضعَ ترب
وليالٍ أطلتْ مُدَّةَ درسي
مرّاً لي بمضها ببقه وبمض^٢
وحدِيثٍ كأنه عقدُ رِيَا
في حديثِ الرِّجالِ رَوْضَةُ أنسِ
ومن شعره في ارتفاعِ السفلِ :

لا يفرنكمُ علوُّ لثيمِ
فارتفاعُ الفريقِ فيه فضوحُ

سوفَ يني من الرِّياحِ بنضو
وكانَ الجمانَ موضعَ قرو
مثلماً قد مددنا في عمرِ هوى
بينَ شعرٍ أخذتُ فيه ونهوى
بتُّ أرويه للرِّجالِ وتروى
باتَ يرعى بأهلِ نبلٍ وسرو^(٢)

فعلوُّ لا يستحقُّ سَفالُ
وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكالُ

(١) في الأصل « العراز » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

٧٧
ما لم يفتد به من طهر ان يفتد به من طهر ما لم يفتد به من طهر
رجل من الرجلين من طهر من طهر ما لم يفتد به من طهر
قال كذا العطاء الى ما لم يفتد به من طهر ما لم يفتد به من طهر
الوجه الذي من طهر من طهر ما لم يفتد به من طهر
قوت من طهر من طهر ما لم يفتد به من طهر
احسن من طهر من طهر ما لم يفتد به من طهر
هلك من طهر من طهر ما لم يفتد به من طهر
ولقد يكون الناس من طهر من طهر ما لم يفتد به من طهر
فاذا القول لا يعرف فاعلموا ان العود اعرف الابدان
والله اعلم
هذا الخبر في طهر من طهر ما لم يفتد به من طهر
والله اعلم

(صورة آخر النسخة الشنقيطية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الخطورة قبله والصلابة على خيره بريته محمد وعترته . قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبداع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواديبها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجعده فج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الخافلة والمشاهد الجامة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فان سبق إليه بالجواب جل قدره وفخيم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لئلا يمتته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسماه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السميان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة عليان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسماً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطانته فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقي ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فند عند
 خاطر كحداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أبيتُ بعدى قوافي تُعجبُ المثليننا
 لذيذات المقاطع محركات لو أن الشعرَ يلبسُ لارتدنا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام (١) :

ووالله لا أنفك أهدى شوارداً إليك يُحمان الثناء المنخسلا
 متخالُّ به برداً عليك شبراً وتمسبها عقداً عليك مفصلاً
 الذن من الساوى وأطيب نفحة من المسك مفتوقاً وأيسر محملاً
 أخف على رُوح وأنقل قيمة وأقصر في سمع الجليس وأطولاً
 وميزهى به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الرأوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولاجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعد الحميد وختمت بابن العميد .
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد ، وكان يقال له الأستاذ . وكان سائماً مدبراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشامية ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح اختلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل أبواب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أئنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعى لم تزل
 هي جوهرٌ نثرٌ فان ألفتها
 في كل معترك وكل مقامة
 فاذا القصائد لم تكن خفراءها
 من أجل ذلك كانت المُرْبُ الألى
 وتند عندهم العلاء الأعلى التي
 مثل النظام^(١) إذا أصاب فريدا
 بالشعر صارَ قلائداً وعُودا
 يأخذن منها ذممةً وعهودا
 لم ترضَ منها مشهداً مشهودا
 يدعون ذلك^(٢) سُؤْدَدًا محدودا
 جعلت لها مُررُ القريض^(٣) قيودا

قال وبقى الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فنجد يعني أن خاطره بطيء ،
 وفند هذا مخنث كان بالدينية مولى لعمامة بنت أبي وقاص^(٤) ، وكانت بعثته
 ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يدعو فمطر فتبدد الجمر فقال
 تمست العجلة فقالت فيه :

بعثتك قابساً فلبتَ حولاً متى يأتي غياثك من نغيث
 وقال الشاعر : مارأينا لغراب^(٥) مثلاً إذ بعثناه لحمل المشملة^(٦)
 غير فند أرسـلوه قابساً فتسوى حولاً وسب العجلة

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحادجة رجل يضرب به المثل في
 السرعة فقبل أسرع من حادجة^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شميل^(٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجان » وهو اللزاق . (٢) في الديوان
 المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
 بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء يتجمع فيه
 المقدحة بالآتماء ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
 (٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
 والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت مدينته بالبصرة فرحل إلى خراسان فشيعة من
 البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا القشف ^(١) قلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتهرب بهذه الخلقان ، قال لا ولكنك قشف فأجربنا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجهالها كان فيها سداداً من عوز » قلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجهالها كان فيها سداد من عوز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا نحن قال ويحك أتأخذني قلت إنما نحن هشيم وكان لحائنه فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال في الفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد تقدر
قال قبح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب
قلت حمزة بن بسير ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثاثة الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى المسرح

منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنعجى

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ و « بيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والميئون هازعة
أقم علينا يوماً فلم أقم
أى الوجوه اتجمعت قلت لها
وأى وجه إلا الى الحكم
متى يقل صاحباً سرادقه
هذا ابن بيض بالباب يتتسم
قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً
فهاذ اذحل أو قى سلمى

فقال أحسن ماشاء ، أنشدنى أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدنى

حيث يقول :

إنى وان كان ابن عمى واغراً
لمزاحم من خلفه وورائه
وئمه بصرى وإن كان امراً
مستزحزحاً فى أرضه وسمائه
وأكون والى سره فأصونه
حتى يحين على وقت أدائه
وإذا الحوادث أجمعت بسوامه (١)
فأنت صميم حشنا الى جربائه
وإذا دعا باسمى لتركب مركبا
صعباً قعدت له على سبائه (٢)
وإذا رأيت له رداً ناظراً
لم يلفنى متمنياً لردائه

فقال أحسن ماشاء ، أنشدنى أقنع بيت للعرب قلت الراعى (٣) حيث يقول :

أطاب ما يطاب الكريم من السرزق لنفسى فأجبل الطالبيا
وأحلب البذرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حابيا
إنى رأيت الفتى الكريم إذا رغبته فى صنعة رغبيا
والنذل لا يطاب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار الموقع السولا يحسن شيئاً إلا إذا ضرر با
ولم أجسد غرة الخلائق الا الدين لما اعتبرت والحسابيا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على ما نص عليه فى الوافى بالوفيات
والناج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الابل . (٢) السبائه
بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركة ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
(٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعى النهمى ، من معاصرى جرير والفرزدق .

قد يرزق الخافق المقيم وما شدَّ بميسرٍ رحلاً ولا قنبا
 وميحرّم الرزق ذو المطية والسرّحل ومن لا يزال مفسّراً
 فقال أحسن ماشاء ، ممالك يا نصر ؟ فقلت أريض لي بمرّ آتصابها وآتمدها قال
 ألا (١) نفيديك مع ذلك مالا ؟ قلت إني إلى ذلك محتاج قال فأخذ القرطاس وكتب
 ولا أدري ما كتب ، قال كيف تقول من التراب إذا أمرت أن تترب ؟ قلت أتربه ،
 قال فهو ماذا ؟ قلت مترب ، قال فن الطين ؟ قلت طنه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مطين ،
 قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ، ثم صلى بنا العشاء ثم قال
 لخادمه تبلغ معه إلى الفضل بن سهل . فأتيته فلما قرأ الكتاب قال يا نصر إن أمير
 المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذبه فقال
 لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا إنما الحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه
 وقد تتبع الفقهاء ، فأمرني الفضل بثلاثين ألفاً فأخذت ثمانين ألفاً بحرف استفاده مني .
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أحمد بن يحيى المهلب قال
 حدثني أبي قال جرى في مجلس الواثق بالله تعالى ذكر ما قيل في أصحاب النبي
 فأمرت أن يسأل أبو محمّل عن أحسن ما قيل في ذلك فسئل بعد أن أحضر فقال أحسنه
 قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن تونب العكلي (٢) :
 وفيه كالسيوفٍ أحصرهم لا حصّرهم فيهم ولا بخل
 بيض مساميح في الشتاء وإن أخلف نجم عن وبله وبلوا (٣)
 لا يتأرون (٤) في المضيق وإن نادى مناد أن انزلوا نزلوا
 لا يعترى شربنا اللجاء وقد توهب فينا القيان والحلل
 فاستحسن الواثق الأبيات ووهب (٥) أبا محمّل .

(١) في نسخة « أفلا » . (٢) من شعراء الجاهلية أدرك الإسلام كبيراً
 وكان وجيهاً جواداً . (٣) الوبل : المطر الشديد . (٤) تآرى بالمكان : احتبس .
 (٥) في نسخة « ووصل » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقتة إليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام إليه حتى تهذب وتثقف وتشذب وتदानت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألفي فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يريد^(١) إلا بتكاليف لغوب^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيا إذا كان الغرض الذي
ينزع إليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه
ويدونه أوربا إذا أرادها فارتادها وسيادة طالب اقتيادها وليس ذلك للمتواهي المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عِيُونُهُمْ وَأَنْسَتَ عَنِ الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقسام فاعلم لها صعداء مطاعها طویل
وقيل : ان السيادة والرياسة والملي أعباؤها كما عانت تقال
وقيل : وإن جسيات الأمور منسوطه تستودعات في بطون الأسود
وقلت : * إن الأمور مريحها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

ولم يتسهل للفنى درك العلاء إذا هولم يصبر على المتصعب
ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طو ايس لى من دؤون عداوة ولى من وراء الطامسات حبيب
بعيد على من ليس يطلب حاجة وأما على ذى حاجة فقريب
والذى حدانى على جمع هذا النوع أيضا انى لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفنا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير مقنع يشقى الراغب ويكفى الطالب فجمته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أى متعبة أشد تعب كما فى القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجرى معه من أشكاله ليكون مادة المناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشمراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى للملال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يعتمد والاقصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : في الخصال .

الباب الثالث : في المعائب والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والتلوج والمياه وصفات البساتين
وارياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : في ذكر الشباب والشيب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طولها وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته وبجدته بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثمانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ما ضمنت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خلقه وخلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفعة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تخبر أمره معايب حتى البدر أكلف أسفع
والشيء إذا سلم جلد فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قالته العرب قول النابغة الذبياني^(١).

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكٍ دونها يتندبندب^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شيب بزوجه ، ثم عما عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتدبندب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملك (١) كوكبٌ إذا طلعت لم يبداً منهن كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز خدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه بهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأةً لى جانب من الأرض فيه مُستترادٌ ومذَهَبٌ
مُلوكٌ (٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحَكَّكُمْ في أموالهم وأقرب
كحكمتك في قوم أراك اصطفتيتهم (٣) فلم ترهم في مُشكر ذلك أذنبوا
يقول لانهى على شكرى وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أنى
أذنبت فمن أين نجد من لا يذنب فقال :

ولست بمسْتَبِقٍ أخاً لانهى على شعث أى الرجال المهذب
فإن أك مظلوماً فمبد ظلمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يمتب
يقول مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم تر أب الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذنب
بأنك شمسٌ والملك كوكب إذا طلعت لم يبداً منهن كوكب
يقول ما صاحبت لى أنت فاني لا أريد غـيرك من الملك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملك» الموجودة في ديوان النابغة
المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذى فى
ديوان النابغة المطبوع « كفضلك فى قوم أراك اصطفتيتهم » .

الشمس لم يحتاج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عَصَبَةً وَهُوَ طَائِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكب
وقالت صفية الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكٍ رَبُّ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُومٍ لَيْلَ يَبِينُنَا قَمَرُهُ وَمِنْ هُنَا أَخَذَ أَبُو تَمَامٍ :

كَأَنَّ بَنِي نَبَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجْمٌ سَمَاءٍ تَخَّرَ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءَ الْكَوَاكِبُ
ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع (١) :

لَا تَعْدُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يَتَزَحَّضُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكٍ مِنَ الْأَجْلَالِ
وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَسْتُ أَنْ الْمَتَأَى عِنْدَكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنبن بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فأنت كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فسا لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفظويه يذكر عن الفراء قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب^(١) عند العباس بن محمد في مناقاة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوالزوائد الحطيم في حلبة المضار إلى أن تذاكروا^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تداين من خلد فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطابقه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتدراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كلاليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عندك وأصفح لقدرك عنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتدراً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأئمة عند السكران يبلغ لي فلق المجيد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ما نفي عنا بتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأديب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وهو في الطبقة الخامسة في الأديب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عميد أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشركك فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر السكلابي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا ان زياداً يقول ان قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء السكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول ان من قدرك نيل الدرک بك - وزكاة الجاه رفق المستعين وناحيته من الشكر ما علمت و حاجتي ملاطمة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالدهنك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فإذاك فأخبره بما أقال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقاً يتأني الأمور ^(١) والأسباب إظافاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ثم قال واللات والعزى لسكاني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى فائش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمم - لا وجاؤا لم يتم نهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لا أنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فيناني نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام نخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فاتصّب بين يدي النعمان وحياه بتحية الملك ثم قال أبقا خرك - أبيت اللعن - ابن
جنفة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات لا مسك أبهى من يومه ولقد ألك

(١) في نسخة « يتأني للأمر » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذو فائش . أحد أذواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعمش ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أسمع من يمينه وإمباك أكثر من قومه وإنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهلك أصوب من
جده ولفترك أبسط من شبره ولأمك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقٌ مجتهدك جلت ما لها حصر في البأس والجود بين البدو والحضر
متوج بالمعالي فوق مفرقه وفي الوغى ضيغم في صورة القمر
قال فتهلل وجه النعمان بالسرور وأمر فحشي فمه دراً ، وقال لمثل هذا تراح القلوب
وبئاه تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس
العباس انى لا تعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفي الوغى ضيغم في صورة القمر *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بنو المصطفى هارون بين سريره فخير قيام حوله وقعود
يقلب الحاظ المهابة بينهم عيون ظباء في قلوب أسود
وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن في سرجه بدرأ وضرغاما *
وقلت : فتى على نفسه من نفسه رصده يصد هان نطق الشين والذاما ^(٢)
ما زال يفسم مالا ثم يفرمه ما زال للمسال غناما وغراما
أغر أربع يحكى النيث مكرمة والنجم منزلة والطود أحلاما
تجبه ^(٣) حين يبدو ان تقول له كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذى هو مندركى *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعنوه ، وهو من مقدمى المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .
(٢) الذام : العيب . (٣) فى الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدركته مغادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يتمتع منه
بأشياء ، والليل لا يتمتع منه بشيء . وأخذ الأخطل (١) قول الفرزدق (٢) فقال :
فأنت كالدهر مَبْتَوَاتًا حَبَائِلُهُ وَالدهرُ لَامِلَجًا مِنْهُ وَلَا هَرَبَ
ولو ملكتُ عِنانَ الرِّيحِ أَصْرُفُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَافَاتِكَ الطَّالِبُ :
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ كَالدَّهْرِ لِأَعَادَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذه أبو تمام فقال :

خَشَعُوا لِصَوْنِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَلَوْتُ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَاد
فَالقَوْلُ هَمْسٌ وَالنَّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفَ اتِّقَامِكَ وَالْحَدِيثُ سِرَاد
وأخذه علي بن جبلة (٣) فقال :
وَمَا لِمَارِي حَاوِلَتَهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِمُ
يَلِي هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبِيحِ لِامِعِ
وقال البحتري (٤) :

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الامويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .
(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتمام ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو المعكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة إلى جد اسم به بحتري - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيح وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا السكاكب لم يكنز^١ لمجدهم من خوف بأسك مهرب
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطالب
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطمجان^(١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم كدجى الليل حتى أنظم الجزع ناقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه
ومثله قول الخطيئة^(٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدلجين أعتشوا^(٣) بها صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال بهض الأعراب في رجل : مادفته في سواد إلا محاه ولا قابلت به ملاماً

إلا كفاه . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس الجين يشق الدجى
وقلت : وأنشق توب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدنى وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعمت
إلى نفسى فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فأت بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى

القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المحضرمين ، اشتهر بالهجو

حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً فى رواية الأغانى :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى

(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاؤوا .

كَأَنَّما النجم حين قابله قبيلة (١) في نصاب مرآة
 وقلت: بليل كما ترُقُّو الغزاة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
 كواكب زهر و صفر كأنها قبائع منها مذهب و مفضض
 وقلت: وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى ولكنها عن وجهه تنفرج
 ففيه ظلام بالصباح مقنع وفيه ظلام بالصباح متوج
 وقول أبي الطمجان مولى ابن أبي السمط:

فتى لا يبالي المدجلون بنوره إلى مابه ألا تضى الكواكب
 له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب
 وقول الآخر:

من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضى بهم أضوا
 وقول الآخر:

غلام رماه الله بالحسن يافعا له سماء لا نشق على البصر
 كأن الثريا عقلت في جبينه وفي أنفه الشعرى وفي وجهه القمر
 ولما رأى المجد استمرت ثيابه تردى بثوب واسع الذيل واتزر
 إذا قيلت العوراء غض كأنه ذليل بلا ذليل ولو شاء لاتصر
 وقول الآخر (٢):

إختر فناء بني عمرو فانهم أو لو فضول وأقدار وأخطار
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير اسرار
 هيئون لينون أسار ذوو يسر أرباب مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها السارى

(١) قبيلة السيف كسيفينة: ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد.

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتي

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأشددنا أبو أحمد لعيسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن (١) :

إلى مُستديرِ الوجهِ طالَ بسؤددٍ تقاصرَ عنه الشايقُ المتطاوُلُ
مدحَ حركَ بالحقِّ الذي أنتَ أهله ومن مدحِ الأقرامِ حقٌّ وباطلُ
يعيشُ النَّدى مادمتَ حياً فإنَّ تمت فليسَ لحيٍّ بعد موتك طائلُ
وما لأمريءٍ عندي مُخَيِّلةٌ نعمة سِوَاكَ وقد جادتَ على مخابِلِ
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعرشى :

فتى لوبنادي الشمسِ ألفتَ قنأعها أو الفهرَ الساري لأتقى المقاليدِ

وهذا وقول أبي الطمجان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ماها عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل (٢) :

أنتَ ابنُ مُسلنْطَحِ البطاحِ ولم يضربَ عليك الحَيُّ والأولجُ
لوقاتِ السيلِ دَع طريقتكِ والسَّوَجِ عليه كالمُضَبِّ يعْتَاجُ
لارتدِّ أوساخَ أو لكانَ له في جانبِ الأرضِ عنك مُنعرَجُ
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا نرد وجهته هبته ولا مخافة ، والعرب تقول أجزأ من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراء قوت ترك الهمز من الجري ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به ليكون غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المنصم :

يُـبـنـ أبي اسحقَ طالت يدُ العلاءِ وقامت قنأةُ الدينِ واشتدَّ كاهلُه

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرعي الأمير ولي خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفي الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموي وبألف في مدحه .

هو البحر من أي النواحي أتيتَه فَلَجَّتْهُ المعروفُ والجودُ ساحِلُهُ
 تعودَ بسطَ السكفِ حتى لوَانَهُ أرادَ انقباضاً لم تطعمهُ أنا مِلَهُ
 ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجَادَ بها فليتيق اللهُ سائلَهُ
 وقلت في قريب منه :

وكيف يبیت الجارُ منك على صدى وكفك بجرُّ لجة البحر ساحلهُ
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطئون المعنى ان
 أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا تجملون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماما ثم أنشدني :

إذا سألت الوري عن كل مكرمة لم تلف نسيبها إلا الى الهول
 فتى جواداً أعاد النبل نائلة فأنسبلُ بشكرُ منه كثرة النبل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموتُ يرهبُ أن باقي مديتهُ في شيدة عند لف تحليل بالليل
 لو طارض الشمس ألقى الشمس ظلمةُ أوزاحم الغيم أجهاها الى الميسل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجم ان نأبته نائيةُ وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عَلِمَ الغيثَ الندى حتى إذا ما حكاها عام الرأس الأسدُ
 فلهُ الغيثُ مُقرُّ بالندى وله اللبثُ مُقرُّ بالجسد

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه الممدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن عائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبيل
والجبيل أوعر ألقم كما قال أين بن خزيم في فاتك في بني هاشم :
نهاركم مكابدةً وصومٌ وليلكم صلاةً واقتراءٌ
أجعلكم وأقواماً سواً وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماء
وهذا من قول أمية بن أبي الصلت (١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
ابن جدهان (٢) :

أذكرُ حاجتي أمٌ قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياءُ
كريم لا يُغيره صباحٌ عن الخلقِ الكريم ولا المساءُ
وأرضك أرضٌ مكرمةٌ بنتها بنو تميم وأنت لهم سماءُ
ونحوه قوله :

لكل قبيلةٍ شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأسُ يقدم كل هادى
وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي (٣) :

قومٌ يحلون من مجدٍ من شرفٍ ومن غناءٍ محلّ البيض واليلب (٤)
حلوا محامها من كل ججمةٍ نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب .

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شعره » عاش
الى أن أدرك وقعة بدر ورثى من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمى القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،
يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب
فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب
موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فندس
عابه ما كاد مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدرع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يمتثل بين الرأس والذنب
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض
وقلت : أبشر فانك رأس والعلاجسد
لولاك لم يك للأيام منقبية
ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
وأنت من فوقهم سماء
والمجد وجه وأنت السمع والبصر
تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر بسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يأمر المؤمنين قد امتدحك فاستمع
منى فقال ان كنت شهيتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل وما قالت يأمر
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كف امرى متناول
ولا تبلغ المهدون في القول مدحة
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرف وانقطع الندى
وردت أكف السائلين وأمسكوا
وليس يحسن عندي أن يقال للمسدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا مت لم توصل بعرف قرابة
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك
ربيع الناس والشهر الحرام

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَيْشٍ أَحَبُّ الظُّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به المدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة (١) :

لولا أبو دؤب لم تحبي عارفةً ولم ينؤنؤ مأمول بآمال
يا ابن الأكرام من عدنان قد علموا وتالد المجد بين العم وانخال
وناقل الناس من عدم إلى جدة وصارف الدهر من حال إلى حال
أنت الذي نزل الأيام منزهاً وتمسك الأرض عن خسف وززال
وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأجال وآمال (٢)
تزور سخطاً فتسمى البيض راضية وتسهل فتبكي أوجه المسال

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفة الله إن الجود أودية أحلك الله منها حيث تجتمع (٣)
إن أخلف القطر لم تخلف مخايله أو ضاق أمره ذكرناه فينتسيع
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

بلاية تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر
تحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر

قال فأجازه وفضل ابن وهب . ول بعض الشعراء في المهلب :

أمسى العراق سلباً لأنيس له إلا المهلب بعد الله والمطر

- (١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف المعجل ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمباقتنه في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .
(٢) في شذرات الذهب « الإفضيت بأرزاق وآجال » .
(٣) سيأتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجودُ ويحيمي عن ذمارهم وذا تميشُ به الأتعامُ والشجرُ
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لَمْ تَزَلْ لِلرَّوِيِّ ثَلَاثُ شُمُوسٍ وَجَهْكَ الْمُسْتَضَى وَالْقَمَرَانِ
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير ^(١) :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَمَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جعل الممدوح فرحاً بعرض يناله وليس هذا شأن
السكرير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

وَلَكِنَّ فَرِحْتَ بِمَا يُدِيكَ إِنَّهُ لِمَا يُدِيكَ مِنْ نَدَاهُ أَفْرَحُ
مَا زَالَ يُعْطِي نَاطِقاً أَوْ سَاكِناً حَتَّى ظَنَنْتُ أَبَا عَقِيلٍ يَمْزَحُ
فجعلته يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أَسْأَلُ نَصْرَ لَا تَسْأَلُهُ فَإِنَّهُ أَحْنُ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لايأس بن معاوية أي الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائي في خلاف ما قال زهير :
فَتَى لَا يَرَى سَوْقَ الْمُهَوَّرِ غَرَابَةً وَلَا غَالِيَاتِ الْمَالِ حَلِيماً عَلَى نَحْرِ
فَتَى كَانَ مَكْرَماً لِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ مُهَيَّباً لِدُنْيَا غَيْرِ مَأْمُونَةٍ الْغَدْرِ
وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبداع في ذلك
البحثري في قوله :

سَلَامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلَامُ تَحِيَّةً فَوَجْهَكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِي الْمُسْلِمَا
ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلمة المشهورة زهير بن أبي ساسم المضرى ، قال ابن
الأعرابي : كان زهير في الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وإبنه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كأئمة القطر من ندى يده
وقول أبي الأسود :

ولأئمة لا تمك يا فيض في الندى
أرادت لتثني القبض عن جمادة الندى
إذا ما أتاه السائلون توفدت
له في بني الحاجات أيد كأئمة
وقريب منه قول أبي تمام :

عمدى بهم تستنير الأرض إن زلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
وقلت : إذا عيس الزمان فعل إليه
وقلت : كأنك في خد الزمان تورد
فمن بك ممدوحاً بنظم يصوغه
وقال البحرى :

وتواضع لولا التكرم عاقه
وفتوة جمع التقي أطرافها
وشبية فيها النهى فإذا بدت
طلق اليدين إذا تفرق ماله (٣)
جذلان (٤) يطرب لسؤال كأئمة
وقال ابن الرومي :

والبرق من بشره ومن ضحكك
فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
عليه مصابيح الطلاقة والبشر
مواقف ماء المزين في البلد القفير

فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
كأن أيامهم من أنسها مجمع
تجده البشر في وجه الزمان
وفي فمه ضحك وفي وجهه بشر
فانك ممدوح بك النظم والنثر

عنه علو لم ينله الفرقد
وندى أحاط بجانيه السودد (١)
لذوى التوسم فهى (٢) شيب أسود
جمع العلاء فيما يفيد وينفد
غناه مالك طير أو معبد

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ویدی أحاطهما بماء السودد » .
وهو تحريف (٢) في الأصل « التبسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في
الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان
المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرَّ أبلج يكسو نفسه حللاً من المحامد لا تبلى على الخقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صبيب
كأنه وهو مسئولٌ وممدحٌ غناه إسحقٌ والأوتار في صخب
يهتز عطفاه عند الحمد يسمعه من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) ييفاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت: وقد يؤنس الزوار منك اذ التقوا سخاء عليه للطلاقة شاهد

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجتسه متعتباً كانك بالمنتقاش تنف شاربه

وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحول نيلهم فكأنى حاولت تنف الشعر من آنا فهم
قم فاسقنيها بالسكبر وغننى ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول جرير^(٢) :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (ألنيس الله يعزير ذي
اتقاسم) (ألنيس الله بأحكم الحاكمين) (ألنيس الله بكاف عبده)
وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة

المدبج والهجاء والافتخار والنزل وفي كلها سبق جرير : قال في المدبج :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(١) في الديوان المطبوع « موكلا » . (٢) هو جرير بن عطية الخطفي ، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال اني لا أعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء :

فَنُقِضَ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فلا كعباً بآمنت ولا كلاباً

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حسبت الناس كآهم غضاباً

وقال في الغزل :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِيَا حَوْرٍ قتلنا ثم لم يُحِين قَتْلَانَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وهن أضعف خلق الله أركاناً

وقال التنوخي ^(١) في هذا المعنى :

فكلمها ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف التوى

وأمثال هذا كثيرة نورها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَمَّا غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فما نكأت بيغضتها ذباباً

وقالوا امدح بيت قائله العرب قول حسان ^(٢) :

يغشون حتى ماتهم كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

يقول قد أنست كلابهم يازوار فهمي لا تذبهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصورة طارض بها الدرديدية ، كما حكاه ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحرث :

انهم جوه ولست له بكفء فشر كما لم يسير كما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة اكثر اثمهم بهم ولثقتهم بيسالة أنفسهم وشدة تهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لآية حربٍ أولأى مكان
وقال ابن هرمة ^(١) في أثر الكلب بالضيف :

وُستَنبِحَ نَسْتَكشِطُ الرِّيحُ قُوْبَهُ لَيْسَقَطُ عَنِيْمٍ وَهُوَ بِالثُّوبِ مَعْصَمٌ
عَوَى فِي سِوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيُنْبِحَ كَلْبٌ أَوْلِيغُ نَوْمِ
فَجَاوَبَهُ مَسْتَمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ عِنْدَ أَقْيَانِ الْمُهَيَّبِينَ مَطْمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

وقال عمران بن عصام ، ويروي انصيب :

أَعْبَدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ غَامِرُهُ
فَبَابُكَ الْبَيْنُ أَبُوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَأْهُوْلَةٌ عَامِرُهُ
وَكَبِكَ آتَسُّ بِالْمَعْتَفِينَ مِنَ الْأُمَّمِ بِابْنَتِهَا الزَّائِرُهُ
وَكَهْمُكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمُمَطِّرُهُ
فَمَنْكَ الْمَطَاءُ وَمَنْكَ الْبِنَاءُ لِكُلِّ مُحْتَبِرَةٍ سَائِرُهُ

وقال الخطيبية في خلاف ذلك :

مَلُوا قِرَاهَ وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ وَضَرَّ سَوْهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سَقَى اللَّهُ الْقُبَابَ وَتَلَّ عَيْدِي وَبِالشَّرْفَيْنِ أَيَّامَ الْقُبَابِ
وَأَيَّامَ لَنَا تَقَصَّرَتْ وَطَالَتْ عَلَى فِرطَانَ نَائِمَةِ الْكَلَابِ
وقال آخر : وَمَايَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبِ فَنِي جِبَانَ الْكَلَابِ مَهْرُزُولُ الْفَضِيلِ

معناه أن الكلب يضرب إذا نبج الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو ابراهيم بن علي السكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابتة الجمدى :
 فتى تمَّ فيه مايسرُّ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا
 وهذا غاية الممدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كمل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوكة مضرهٌ ومنافع وأرى البرامك لا تضرُّ وتتفعُّ^١
 لا يعرف أهجاجهم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضرروا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضررنا فأنما يُراد الفتى كيا يضرُّ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابتة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :

مضى تهزى بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا فاتهم حتوف
 وقال آخر : فبدل أعتاق الصعاب بيأسه وأعتاق طلاب الندى بالفواضل
 فإلتقيضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقف الأيام بالمتب والرضا على بذل مال أو على حد منصل
 وما إن له من نظرة ليس تحتها غمامة غيث أو ضبابة قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه فنى بأسه شطره وفي جوده شطر
 فلامن بقاة الخيري عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو المعارض التجاج أخضل جوده وطارت حواشى برقه فتلبها
 إذا ماتلظي في وغي أصعق العدى وإن فاض في أكرمومة^(١) غمر الربا
 رزين إذا ما القوم خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرمومة »

حياتك أن يلقاك بالجود راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مضيا
 حرون إذا عاززته في ملة فان جئته من جانب النمل أصعبا
 إذا هم لم يقعد به العجز مقعدا وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسيدي في نفي الخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلعنم الحوار فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال غيره : شريح من بنى الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة فظننته شيخا يضر وينفع
 فاذا زياد في الديار كأنه مشطه بقلبه خصي أصلع
 وقد أحسن البحترى في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوبُ للبأس والتقى^(٢) فإله تقواه وللجد سائره
 له البأس يُخشى والسماحة تُرتجى فلا البغيثُ ثانيه ولا الليثُ عائره
 كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصوته لا يستطيعُ خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤملُ جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلوا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملك بجي بن خالد أخو الجود والنعمى اللباب صغارها
 وكان ترى في البرمكيين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به العجز مقعدا وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب لئدين والعللا » .

طبيباً بأخبار الأمور إذ التوت من الدهر أعناق^١ فأنت قصارها
 وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :
 فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد^٢ فما يبقى من المسال باقيا
 أشم طوال الساعدين شمردل^(٢) إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
 أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيلاء قال قال
 الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهيت إلى قوله :
 أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
 فقال الرشيد وبه ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح للمعروف أصبح غاديا *
 فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ناقب
 الفطنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :
 فان يك باقي أفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب
 قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
 ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعون فيكم فباقي عصا موسى بكف خصيب
 فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
 المؤمنين إنك لأشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العماني الراجز في
 صفة الفرس :

كان أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلماً محرفاً
 فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تخال » حتى يستوي شعرك ، وكان قد لحن العماني

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان
 ممن هجر الأوثان ونهى عن الحجر قبل الإسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
 منتصف القرن الأول الهجري وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الأبل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفتن له أهل المجلس حتى قاله الرشيد ذلك فتمحبوا من عنده وفتنته .
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوفِ من الطرازِ الأوّلِ
بعشونَ حتى ماتهُرُ كلابهم لا يسألون عن السوادِ المقبلِ
وقبله : لله در عصابة نادمهم يوماً بجلقَ في الزمانِ الأوّلِ
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريمِ المفضلِ
ثم قال : فلبثتُ أزماناً طوالاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتني يحب المجدَ يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله «بيض الوجوه» معناه مشهورون ببهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجد وغيرهما من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فبن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (١)
وقال السموءل : وأيا من مشهورة في عدونا لها غررٌ معروفةٌ وحجولٌ

أراد بالغرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* ببيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :

سودُ الوجوهِ لثيمةٌ أحسابهم فُطسُ الأنوفِ من الطرازِ الآخرِ
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمرأً أبصرت في مأم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فيندرى الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بمناب
فقال : وأعور أبصرت في مأم يندب شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة «الورد» مكان «الوجه» .

يسكي فيفري البعر من كوة ويلطم الشوك يساود
 وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأنني لم أفعل * من قول أبي كبير :
 فأذن ذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل
 وقال ابن شبرمة أمدح مقالات العرب قول الخطيئة :

أولئك قوم^١ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
 وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
 أقلوا عليهم لا أبا لا أيكم^٢ من اللوم أو سدوا المسكان الذي سدوا
 ويسداني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد
 يسوسون أحلاماً بعيداً أنا تها وان غضبوا جاء الحفيظة والحد

ولعمري ان معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فاعما
 استمارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
 - وروى الجدد - والحد من قولك - يد السيف وحد السنان ، والجدد خلاف
 الهزل والختار الحد بالخاء . يقول الخطيئة في بني لأمي بن شماس من قريش ، وكان
 الزبرقان بن بدر لقي الخطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضوع أبو مليكة
 فقال له الزبرقان أني أريد وجهاً فصر الى منزلي وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
 الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمه فحسده بنو عمه وهم بنو لأمي فهدسوا الى الخطيئة
 وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد الى كل طنب من أطناب بيتك
 حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
 فقدح ذلك في نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتفاقت امرأة الزبرقان
 عنه فاحتمله القريسيون ووفوا له بما قالوا فأخذ في مدحهم وهجوا الزبرقان فقال :

أزمنت^٣ ياساً مييناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحجر كالياس
 دح المكارم لا ترحل^٤ لبعيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
 من يفعل الخبير لا يعلم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستمدى الزبرقان عليه فحكّم عمر حسان فقال حسان ما هجواه ولكن سلج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستمطفه :

ماذا تقولُ لأفراخِ بندي مرخ حمر الحواصلِ ^(١) لاماءٍ ولاشجرٍ
ألقيت كاسبهم في قعر مظالمه فاغفر عاييك سلامُ الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لسكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجاسه على كرسى وأخذ شفرة وأوهه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال أبي والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤرتي وأبا بنيك فسأأتني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى نعيم وبئس الشيخ أنت لدى العالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
وقلت لامرأتي خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قسيدته لسكاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تسكماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لي وجهاً قبيحاً ^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذمُّ عليك ولا حمد
ثم خلى مسبيله عمر وأخذ عليه الأيهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل ». (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
وأخذتَ اطرار الكلام فلم تدع شتاً بضراً ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخف شتمى وأصبح آمناً لا يجزع
وكان الخطيئة يذم البخيل كما ترى وهو ^(١) أبجل الناس اعترضه رجل وهو
يرعى غنماً له فقال له يراعى الغنم وكان بيد الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
وقالوا أبجل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
وقال أملئ ان حملت عليه لأموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
لكل جديد لذة غير أنني رأيتُ جديد الموت غير لذيد
وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشاخش أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغرباً لا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
ولا تمسك بالعمد الذى عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايبلُ
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الخطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الحضرات
عظام مقيل الهام غاب رقابها تباكر ورد المساء فى السبرات
يزيل القتاد جنبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
وكان هجاء قومه فلما بلغ إلى قوله :
فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
لكم دقرٌ مثل التيوس ونسوة مماجين ^(٣) مثل الآسن التمعات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلك وتمهجو قومك فخرج وقال :
 رأيتُ ابنَ خطابٍ تجاهلُ بعدما رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بني عمرو فانهم^أ أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطار
 إن يُسألوا الخيلَ يعطوه وإن جهدوا فالجهدُ يخرجُ منهم طيبَ أخبار
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هيئون لينون أيسار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم نعل لا قيتُ سيدعم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قيلت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء في أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارُ
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الأبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطامة
 عن صالح بن محمد بن السيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتاني رسول المهدي
 فقال أجب فيأني ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده علي بن يقطين وعمر بن
 يزيد والمعلمي مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بأمدح بيت
 قالته العرب فتجريت ثم جرى على لساني قول الخنساء :

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشتو لنحسار^أ
 أغر أبلج تأتم الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارُ
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا علي فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتني أبيات ابن مطير الاسدي :

وقد تقدر الدنيا فيضحى غنيها فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) في النسخ «ثناء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تكدر عيشه^١ وأخرى صفا بعد اكدرار غدبرها^٢
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تفتى ويبقى سريرها
 ثم قال حدثني يا مفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن زريع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لشفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 ما رضيت ان جعلت أختها جبالاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقات :

خير الوري لخيار الناس كاسم وشهرهم اشرار الناس سوار
 منبه الذكّر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتي وقال بشار : أنا المرعث لأخفي على أحد
 ذرت بي الشمس للقاصي وللداني وقت : أتأمل أن تنال ندى كريم
 نداء أول والغيث ثاني ويمجى والمجرة في عناب
 فلا يخفي على ناء ودان تصور في القلوب فليس بناي
 على نأي الحلة والمكان إذا عبس الزمان فسل اليه
 تجده البشر في وجه الزمان وقت : تريدون أن أخشى وأخضع للأذى
 وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع فتى بأسه كالدهر مأمّن ملجأ
 ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع أغر شهر في البلاد كأنما
 به البسر يعلو أوسنى الصبح بسطام

ومثله قول القاسم بن حنبيل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بني سنانٍ لو انك تستضيء بهم أضوا
لهم شمسُ النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرفِ المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الخطيئة :

متى تأتاه تمعشو الى ضوءِ ناره تجد خيراً نار عندها خيرُ موقد

وقالوا أمدح المدح ما يكون بالفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان
أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنما صغدي ولكن كنت لي مثل الربيع حياً وكان خريفا
وكلاهما اقتعد العلاء فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كواكبٌ مجده يعلم المجد أنها إذا طلعت باءت بصفر كواكب
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الأعداء فليمنك النصر ودانت لك الدنيا وذلل لك الدهر
فأنت كاقبال الشيبية والصبا تطيب بك الدنيا وينعمر العمر
وليس كرام الناس إلا كواكبها على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
وفي الناس أجوادٌ كثيرٌ وإعما أولئك أمجاد وأنت لهم بحر
فان أظلم الأحداث واسود ليهاها فهم شفقت فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فغزراً على المجدد والملا
غدت أرضنا منكم سماء مظلمة
فان الملا روض^ه وأنت به زهر
لها أنجم^ه من زهر أخلاقكم زهر^ه
ويعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤ^ه من تعطه اليوم نائلاً
ترى الجود لا يدنى من المرء حنفة
بكفئك لم يمنك من نائل الغد
كما البخل للانسان ليس بمخذ
ومثله قول ليلى الاخيلية في توبة^(١) :

فلا يبعدنك الله^ه ياتوب إنها
فنعيم^ه فتى الدنيا وان كان فلجراً
لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر
وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
وأشجع^ه من ليث^ه بخفاق خادر
فيطلعهما عنه ثنايا المصادر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلمها

يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الاولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع^ه حاجة^ه بلبان^ه أخرى كذاك الحاج^ه ترضع^ه باللبان
يقول فيرفعها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :

فأقسم^ه أبكى بعد توبة هالكاً
وكان بيت الأعمى :

أشب^ه القرويين يصطليانها وبات على النار الندى والخلق^ه

يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأته تمشوا إلى ضوء ناره * على أن قول الأعمى
* وبات على النار الندى والخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والخلق الممدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلت^ه له أقبل فانك راشد^ه وإن على النار الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلى الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعد الخنساء .

وتوبة هو ابن الحمير العميلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصرٌ فقره على نفسه ومشيحٌ غناهُ
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت نميم معاً سادتها عدوه بالخصير
أبسه الله ثياب العسلا فلم تطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثاً خلالٍ قد عُرفن له هل سب من أحد أو سبَّ أوبخلا
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاظني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذي لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيثِ فإنه حسنُ الفعالِ ضعيفُ خبطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبِ مدحةً تجاوزَ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ
فعمى عنها ناظره كَأَنما بعوراءِ عيني جده كان ينظر
سبغت عليه حلية ليس عيبها سوى أنها ظلت تطول وتقصر

يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

ومعتم عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم ^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قومٌ بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كلف من نعم لا ينزع الله عنهم ماله محسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ
للحامدِ النعمى على المحسودِ
ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العودِ
وقال البحرى :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسودون كأن السكراتِ أبت
إذا أنتَ لم تدنل عليها بحاسد
أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود
وقال غيره : محسودون وشرُّ الناسِ منزلةً
من عاشَ في الناسِ يوماً غيرَ محسودٍ
وسمعه يقول من أوائل المدح الجيد الذى لا نظير له قول أمية بن أبى الصامت فى
عبد الله بن جدهان (١) :

عطاؤك زينٌ لأمريءٍ إن حبوته
وليس يشين لأمريءٍ بذلٌ وجهه
يبذل (٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
اليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلقَ يوماً على علاته هريماً
لو نال حى من الدنيا بمكرمة (٣)
يلقَ الساحة منه والندى خلقاً
أفقَ السماء لثالث كفه الاقفا
قد جعل المبتغون الخير فى هريم
والسائلون الى أبوابه طرقا
وروى بعض الرواة للناجعة وروى لسميد :

والله والله لنعم الفتى الا عرجُ لالنكس (٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السمجروب والمرجل والجامل (٥)
والطاعنُ الطامنة يومَ الرغى
ينهل منها الاسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا فى ديوانه المطبوع ، وفى

النسخ « بشيب » . (٣) وفى رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضميف . (٥) فى الأصل « المرحل والجامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله
والعافر الذنب لأهل الحجا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

خُلقتُ أنا ملهُ اِقَامِمْ مَرْهَفِ
يلقى الرماحَ بوجهه ويصلده
ويقول للطرفِ اصطبر اشبا القنا
واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلِ
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقٌ
ولبتُ فائدةٌ وذروة منبرِ
ويقيمُ هامتَه مقامَ المغفرِ
فهدمت ركنَ المجدانِ لم تعفرِ
متسربلِ سربالِ ليلِ أغبرِ
تَحَرَّتِي اَلْاَعْدَاءُ اِنْ لَمْ تَنْحَرِ

وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي

حفصة^(٢) في معن بن زائدة الشيباني^(٣) :

بنو مطرٍ يوم اللقواء كأنهم
هم المانعون الجارح حتى كأنما
بهاليلٌ في الاسلام سادوا ولم يكن
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا
ثلاثٌ بأمثال الجبال حياهم
ولا يستطيعُ الفاعلونُ فعالمهم

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادى مثابة الراء مراعاة : أكلأء، والمربع : الخصب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم للمدحه بقصيدته

السبعين التي مطلعها * اليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعم المناخُ لراغبٍ أوراها ^١ ممن تصيبُ جوائحَ الأزمانِ
معن بن زائدةَ الذي زيدت به ^٢ شرقاً إلى شرفِ بنو شيبانِ
مطر أبوك أبو الاهلةِ والذي بالسيفِ حاز هجائينَ النعمانِ
نفسى فداءً أبي الوليد إذا علا رهج السنايك والرماحُ دوانى
فقال يحيى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهمُ أسودٌ لها في غيلِ خفانِ اشبلُ
وأنشده الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابهَ يوماً علينا فأشكلا فما نحنُ ندرى أىَّ يوميه أفضلُ
أيوم نداءِ القمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجبلُ

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن علي عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا
أبو يوسف القاضي - وكان عدل ارشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فانشد
أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنهكم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحوني
بمثل قول القائل « بنو مطر يوم اللقاء كأنهم » وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال في أب هذا الشاب الذي يسير في ظل القبة
فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت
شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندي من الدنيا بحذا فيرها .

وأنشده بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف
لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا بدُه لم يُحمد الاجودان البحرُ والمطرُ
وإن أضاعت لنا أنوارُ مُغرته نضائل النيران الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حدث عزمته تأخر الماضيان السيفُ والقدرُ

(١) الزبير : الانتهاز والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبي طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافي جنى الجنة في تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

من لم يكن حذراً من حدِّ صوتته
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته
 سهل الخلائق إلا أنه خشن
 لاحية ذكره في مثلِ صوتته
 إذا الرجال طغت آراؤهم وعموا
 الجود منه عيان لا ارتياب به
 لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
 فان أمرٌ مخلوٌّ عنده الصبر
 كين المهزة إلا أنه حجير
 ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكرك
 بالأمر ردَّ إليه الرأي والنظر
 إذ جود كل جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأفره :

أوفوا من الجدير والعليا في قليل
 سبب اللقاء إذا شمت مخائهم
 محسدون ومن يعلق بجلهم
 شيم قواعدهن البأس والجود
 بسل اللقاء إذا صيد الصناديد
 من البرية يُصبح وهو محسود

وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة بيضاء يندى بنانها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه
 قليل إذا اعتل البخيل اعتلاها
 وعت غداً عادت عليك شمالها

ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

واقدر ضربنا في البلاد فلم نجد
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا
 أحداً سواك إلى المكازم ينسب
 أولاً فأرشدنا إلى من تذهب

وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكم بقية حي قيس
 تبارون الرياح إذا تبارت
 وهضبتة التي فوق الهضاب
 وتمتلون أفعال السحاب
 يذكرني مقامي في ذراكم
 مقامي أمس في ظل الشباب

ومن عادة الناس أن يشكروا ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين مبداه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلفٍ وآت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه
لدمامته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن
ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة عنى وما أظلم من استبرا
فكيف رأى الأمير فى الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفها بأعجاز قال ما اشتطت
ولا كلفت إلا الذى من نكب عنه حتى عليه القول فدحا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

ريعت لمنشور على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لى فى ذلك من الأجل قال شهر قال فأطلق بهما إلى
رحلى قال ليس الامتحان الشاعر فى بيته بمزيل للظنة عنه ونسكن تبوأ حجرة من
القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع
دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك
النقص من الاعمال قال اليك نساق الرفاق ثم أنشدنى بيتى أبى دلف (١) ثم قال :

أشرقن فى أسود ازرين به كان دُجَاه هوى البيض سبب (٢)

فاعترضن أيام الغوانى والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتمهج نزوله وراحل أبى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً يمتوى وكالشباب الغض ظلاً يستلب

كان الشباب لمسة أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري واثباً فى غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) فى نسخة «ثم أنشد يمر فى بيتى» .

(٢) روى صاحب الأغانى هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربرب عن أطفاله
 مطرد يرتج في أقطاره
 تحسبه أقمده في استقباله
 وهو على إرهاقه وطيبه
 تقول فيه جنب إذا انثى
 يخطو على عوج يناهين الثرى
 تحسبها نائمة حين خطا
 يرتاد بالصيد فعارضنا به
 لا يبلغ الجهد به راكبه
 إذا تظنينا به صدقنا
 ثم انقضى ذلك كأن لم تبقه
 وخلف الدهر على أعقابه
 فحمل الدهر ابن عيسى قاسما
 كرونق السيف انبلاجاً بالندى
 لاوسنت عينه رأته غرته
 لولا الأمير لغدونا هملاً
 ولم يقيم بيأس يوم وندى
 تكاد تبدي الأرض ما أضمره
 ويستهل أملاً وخيفة
 وهو وان كان ابن فرعى وائل
 وبملاذ وعلا آباءه
 يا واحد الدنيا ويا باب الندى
 بأعوى دنفى المنتسب
 كلاء جالت فيه ريح فاضطرب
 حتى إذا استدبرته قلت أكب
 يقصر عنه الخزمان واللبيب
 وهو كمثل القدح مافيه جنب
 لم يتواكل عن شظا ولا عصب
 كأنها واطئة على نكب
 أو ابد الوحش فأجدى واكتسب
 ويبلغ الرياح به حين طلب
 وان نظى فوته الطرف لزب
 وكل بقيا فالى يوم عصب
 فى القدح فيه وارتجاع ماوهب
 ينهض به فراج هم وكرب
 أو كثراربه على أهل الريب
 واستيقظت نبوته من الثوب
 لم يمثل مجد ولم يرع حسب^(١)
 ولا تلاقى سبب إلى سبب
 إذا تداعى خياله هلا وهب
 إذا استهل وجهه وان قطب
 فبجاعيه ترقى فى الحسب
 تحوى غداة السبق أخطار القصب
 ويا مجير العرب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أو نسب» واعلمها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قریش^١ عرفت ولا العرب
 بخذها امتحاناً من مليء بالحيجا لسكنه غير مليء بالنشب
 وقرء بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب

قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف^(١) إليه حتى مست ركبناه ركبته فلما
 بلغ قوله * لسكنه غير مليء بالنشب * قال لا ملائي الله إن لم أملاك يا غلام كم في
 بيت المال ؟ قال ما قبضته من عامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
 له ذلك ، قال فأقبل عليه عتيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهراني قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لسكن ذلك دون ما يستحقه علي .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كفى التباثلَ معنٌ كلٌّ مفضلةٌ يحمي بها الدين أو يرعى بها الحسبُ
 كنز الحامدِ والثعوى ذخائرُه وليس من كنزهِ^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهابُ الذي يرمى العادو به فيستنيرُ وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرزُ القصب
 ان الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهل الحلوم وأهل الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذي يستحق ليلته أقصر فمالك إلا الفتوت والطلب
 قوله فمالك إلا الفتوت والطلب من أحسن معاني وأجوده وأبينه بياناً وأشده

اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بعدهم قوم لكي يدر كوههم فلم يفعلوا ولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح^(٣) :

(١) عليه « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) في الاصل (كثيرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفي ، أكثر شعره في مدح خليسته الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهلوا
يرفضك الله بالكرم والتسقي فعملوا وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو تعرضَ سُوددٌ تسامى له ضخمُ الهومِ مُهمامٌ
إذا اهتزَّ للهبجاءِ فهو مُهنَّدٌ أو اهتزَّ للأفضالِ فهو غممامٌ
تواضعَ وهو النجمُ عزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواحِ وهو شمامٌ^(١)
ارجبه يوماً أو الأقيسه ساعةً فيخصب لي طمٌّ ويمرء عامٌ
يريدون منه أن يرضنَّ وأنما أرادوا جودَ الغيمِ وهو ركامٌ
ولاعيبَ فيه غير أن ذوى الندى خساسٌ إذا قيسوا به ولثامٌ
باغت من العلياءِ مافاتهم معا كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فن مُبلغ عنى الأكارمِ انهم إذا استيقظوا للمكرمات نيامٌ
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميثل^(٢) في عبدالله بن طاهر^(٣)
قالت ركمتَ فقلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر يركع
وعهدتني أمضى لشأني مطلقاً فبليتُ بعدك بالنسا والأجدع
يامن يؤملُ أن تكون خيالاه كخالل عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورة والذى حجج الحبيج إليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبدالله بن طاهر
الخرزاعي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا واسكن مطلع الجود
وفي سفرة أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكى عليه البرد هناك ووقع على خزانة
كتب فاختار منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
قالبه (١) فأتى بما لا ينطق (٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحتري :

ذات حنين لو استزادت من الحسـن اليه لسا أصابت مزيدا
فهى الشمس بهجة والقضيب السـلدن (٣) نينا والریم طرفاً وجيدا
وقال في هذه القصيدة :

وإذا ما عدت يحيى وعمرا وإياساً (٤) وطامراً ووليداً
وعبيداً ومسهرراً (٥) وجدياً وتولواً وبحترراً وعثوداً
لم أَدع من مناقب المجد ما يفـنـع من هم أن يكون مجيداً
وقلت في المديح :

حليف علاء وبجد وفخر وبأس وجود وخير وخير
أضاء فأطرق ضوء الشموس وتم فأغضي تمام البسودور
وقلت في المديح أيضاً :

من الغر لا حواً شمساً ومضواظي وصالوا أسوداً واستهوا سواريا
ومن المديح البليغ قول الأَوَّل :
متبدل في الحبي وهو مبجل متواضع في القوم وهو مُعظم
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) له «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
ديوان البحتري «الغض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحتري
«أبانا» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسهرراً» والتصحيح
من ديوان البحتري المطبوع .

إذا أحسن الأتقوام أن يتطاولوا
فعضمت عن ذلك التعظيم منهم
وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :

دنوت تواضعاً^(١) وعلوت قدراً
كذلك الشمس تبعد أن تسامى
فأثبت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟
وأجود ما قيل في صفة الرجل الخازم
فقلدوا أمركم لله دركم
لا مترفاً أن رخاء العيش ساعده
كما انحط ضوء البدر وارتفع البدر
الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر^(٢)
رحب الذراع بأمر الحق^(٤) مضطلماً
ولا إذا عض مكروه به خشماً
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره
يكون متبعاً طوراً ومتبعاً
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه^(٥)
هم يكاد حشاه يحطم الضلماً
حتى استمر على شزر مريرته
مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعاً
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرفني
وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازل أخذان الرجال وانه
ويخرج من العزاء الشدة مصداقاً^(٨)
لمجسد ثناء ثم يزد^(٧)
وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذي في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشأنك انحدار وارتفاع

(٣) الأيادي شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلمها الجرماء» .

(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله

من هو وزن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه ضرة القر جزأة .. »

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :
 كمش الأزار خارج نصف ساقه صبور^(١) على المزاء^(١) طلاع أنجد
 قليل التشكى لمصيبات حافظ^(٢) من اليوم أعقاب الأحداث في غد
 إذا سار بالارض الفضاء تزينت لرؤيته كما أتم المتبدد
 فلا يبعدنك الله حياً وميتاً ومن يعله ركن من الارض يبعد
 موضع هذه الايات من باب المرأى وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها «قيل التشكى
 لمصيبات» شبيه بما تقدم من قول الآخر: * ولا جازع من صرفه المتقاب *
 ومن شعر الحديثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذى بزئيره
 قطب الخشونة والليان بنفسه^(٢)
 هزته معضلة الأمور وهزها
 يقظان أخصدت التجارب جزمه^(٣)
 وسلكن من أتراه الشعل التي^(٤)
 لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة
 عليه وهو قوله في مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيماً
 وبلا بل لو أنهن مآكل لم تخطيء الغسلين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما
 ونقل البيت الأول أنو تمام الي موضع آخر فقال :
 مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) له «الضراء» . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :
 قطب الخشونة بالليان معاقباً ففدا جليلاً في القلوب لطيفاً
 (٣) في الديوان « عقده » . (٤) في الديوان « واستل من آرائه الشعل التي » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى
أيقنت أن من السماح شجاعةً
ومكارماً عتق النجار تليدةً
متوقدٌ منه الزمانُ وربما
ووغى ومبدي غارةٍ ومعيدا
تدمى وإن من السماح جوداً
إن كان هضب عماتين تليدا
كان الزمانُ بأخرين بليدا
وقال البحترى :

أغر لنا من جوده وسماحه
ولما جرى للمجد والقوم خلفه
وهل يتكافأ الناس شقى خلالهم
إذا ارتدَّ صمتا فالرؤس نواكس^١
وأغلب ما ينفك من يقظاته
جنان على ما جرت الحرب جامع^٢
جدير بأن ينشق عن ضوء وجهه
تذود الدنيايا عنه نفس أبية
بعيد مقبل السر لا يدرك التي
ومنكمتم التدبير ليس بظاهر
ولا بهلم الأعداء من فرط عزمه
لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً
يستوفى مثل هذه المعاني في أكثر مدائحها إلا البحترى .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الخازم قول زينب بنت الطرية :

إذا جدَّ عند الجد أَرْضَاكِ جِدَّةٌ وذو باطلٍ إن شئتُ أَلْهَاكِ باطِلُهُ

(١) في الديوان (به) . . . (٢) في الديوان (كحد) .

يَسْرُكُ مَظْلُوماً وَيُرْضِيكَ ظالِماً و كل الذي حملته فهو حامله
ومثله قول الآخر :

أخو الجدد إن جدَّ الرجالُ وشمروا وذو باطلٍ إن كان في الناس باطلُ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إذا ما عددت الناسَ بعد محمدٍ فليس هارونَ الامامَ نظيرُ
فضله على أبى بكرٍ وعمرٍ وعثمانٍ وعليٍّ وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبى نواس :

تَنازَعَ الأحمَدانِ الشبَهَ فاشتَبَها خَلَقاً ومُخَلَقاً كما قُدَّ الشراكنِ
فجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواءً في الخلقِ والمخلوقِ .

وبعد بيت النمرى أبيات جواد منها قوله :

منيع الحنى لكن أعناق ماله بظل الندى يسطو بها ويسور
كأنه من قول كثير :

مُرَّ إرداءٍ إذا تبسمَ ضاحكاً غلقت لضحكته رقابُ المسال
وهذا من قول الأخطل :

وقفتُ على حالِكما فإذا الندى عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

خرجتُ أجرُ الذيلِ حتى كأننى عليك أميرَ المؤمنين أمير

يروحُ ويغدو ساجياً في وقاره على أنه يوم المرام ذكير

وليس لأعباءِ الأمور إذا عرت بمكترثٍ لكن لهن قهور

يرى ساكنَ الأوصالِ باسطِ جِهدِهِ بريك الهوبنا والأمرُ نظير

ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى في هارون :

إن المسكرمَ والمُروفَ أوديةً أحلك الله منها حيثُ تجتمعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية»

أخذه من قول أبي وجزة السملدي (١) :

أناك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :

تركت فيك التي ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أنفدو بمستن العيون مخيا وأنتَ بعبير العالمين موكل
وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحکم الرأي مُستغن بوحده عن الرجال بربب الدهر مضطلعُ
يقرى العلو المنايا والقناة ندى من كل ذلك القسرى أحواضه ترع
إذا باغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نختشع
لما أخذتُ بكفى حبل طاعته أيقنت أنى من الأحداث ممتنع
ان الخليفة هارون الذي امتلأت منه القلوب وجارت تحتته ترع
ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوصاق أمره ذكرناه فيتسع

أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولي عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
إلى العتابي طلقاً استمر بامرته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معاك
أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فنضب منصور فقال له لا تعضب فأنت
قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوصاق أمره ذكرناه فيتسع

فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسمي أمم
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها نسيت تم
إذا عرضَ لهم في صدره لها بالعطاء وضرب البهيم

(١) هو يزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين .

فقل للخليفة إن جنته
إذا أيقظتك جسام الأمور
فتى لا يبيت على ريقه
يحب العطاء وسفك الدماء

وقال البحرى :

إذا المهتدى بالله عدت خلاله
وقلت : كم غاية لكم تقاصر كونها
يعاو كرام العالمين وإنما
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكارم أن يبدد شملها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت

وقال البحرى :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرض ابتدوها كأنما
ودون علاهم للسامين برزخ
بتدبير مأمون على الأمر رأيه
وفوها جس لا يججب الغيب دونه

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبد الله بن الحسن عن البحرى قال سمعت إبراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أيوب التيجى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن مما قد (١) أسر وأضمر
يناجى له نفساً ترسع بهمة إلى كل معروف وقلباً مطهراً

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى لخوف الله أن يتكبّرا
 طويلٌ نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
 رفل إذا ما السلمُ رفل ذيله وان شمعت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبه فروع الإحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبية : أخبرنا
 أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية
 الرصعاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني
 السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليّ الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
 مرتاداً رجلاً عزيزاً متبع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهت إلى بني شيبان
 ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
 ورمح مركون يامع سنانه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسامت على أهل الخباء فردّ
 على نساء من وراء السجف برمقني من خلل الستور بعيون كهيون أخشاف
 الظباء فقالت إحداهن اطمنن يا حضري فقلت وكيف يطمنن المطوب أو يأمن
 المرعوب وقلمنا ينجو من السلطان طالبه والظوف غالبة دون أن يأوى إلى جبل
 يمصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
 كبير قد نزلت بمفناء بيت لا يضم فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحى
 سبد أو ليد هذا بيت الأسود بن قنان أخوانه كلب وأعمامه شيبان صملوك الحى
 فى ماله وسيدهم فى فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهئذا
 وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يماني
 وفى بهم حاملاً وجوداً وسودداً وبأساً فهذا الاسود بن قنان
 فتى كأن فتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجهه القمران
 آخر أبر ابني نزار ويعرب وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطوهم يداً وأعلاهم فعلاً بسكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطعمهم من دونه بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه سبحانه مقرنان مؤتلغان

فقلت الآن ذهبت عنى الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت يا جارية
أخرجى فنادى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيئة حتى جاءت وهو معها
فى جمع من بنى عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واختط عارضه
وخشن جانبه فقال أى المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى
ذمتك وقد ضمنا له ما يضمه لئله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ ييدى وجلس
وجلست ثم قال يا بنى أبى وذوى رحى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى
فن أراد فعد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ماهى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سئح
لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم^(٢) وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارجه بن مديح المكي وأحسن :

آل الزبير نجوم يستضاء بهم إذا احتبى الليل فى ظلماته زهروا

قوم إذا شومسوا لى الشمس بهم ذات الأباء وان ياسرتهم يسروا

(١) فى الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والنصحیح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

وقد ألبوا من جمعهم ما تألبا
لما شاء منهم طائعين تحببا

أبوك الذي لما أتى مرج راھط
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحترى :

فان جثته من جانب الذل أصحبا
ويدنو وأطراف الرماح دوائى
وحدها ان خاشنته كحشنان

حرون إذا حاززته في ملة
ونحوه : كريم بغض الطرف فضل حياؤه
وكالسيف ان لا يذته لان مته

ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجيم :
إذا غاب عنا الفجر خضنا بوجهه
دجى الليل حتى يستنبر لنا الفجر

وقال خارجة أيضا :

سبيل المطايا بالوجود السوافر

ويسفر لاسارى إذا جن إليه

وقال الحريش بن أبي حفصة :

وافي الرضا بين أيديها باقياد
ومن رجائك في أعقابها حادى
عن الرتوع^(١) وتلمينا عن الزاد

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نور تستضيء به
لها أحاديث من ذكراك تشغلها
ولا أعرف في معناها مثلها :

كفى خابط الظلماء ضوء المصابيح
فكم شم من آسي جراح وجراح

إذا أشرقت في جنب يسيل وجوهمهم
وان ناب خطب أو ألت مامة

ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدينورى :

فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
ومن ذا الذي يثنى السحاب عن القطر

ولأمة لأمتك ياقبض في الندى
أرادت لتثنى الفيض عن عادة الندى

مواقع جودِ الفيضِ في كلِّ بلدةٍ مواقع ماءِ المزنِ في البلادِ القفرِ (١)
ولا أعرف في معناها مثلاً . وقلت :

تقضى بآربه من كلِّ فائدةٍ لكن من المجد ما تقضى مآربه
أفاده العزَّ آباءه ذوو كرمٍ وزاده الخلقُ المخضر جانبه
لقد فضلتَ كرامَ الناسِ كلهم فهم مناسمٌ مَسجد أنت غاربه
يا ليت شعري هل يستطيعُ شكركم دهرٌ مساعيكُم فيه مناقبه
و حينَ أرضيتم كنتم نوافله وأتم حينَ أسخطتم نوائبه
منسكُم على الدهر عينٌ لاتناومه وللحوادثِ قرنٌ لاتغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع (٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملكُ جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنعُ
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع
فما خافه لامرئٍ مطمعٌ ولا دونه لامرئٍ مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبا العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفعُ الناسُ من حطه ولا يضعُ الناسُ من يرفعُ
رأيتُ الملوكة تغضُّ العيون إذا ما بدا الملكُ الاتلع
بديته مثلُ تدبيره متى هجته فهو مستجمع

أخذ قوله «بأوسعهم في الغنى» من قول الأول :

له نارٌ تشبُّ بكلِّ أرضٍ إذا النيرانُ جلتِ القناعا
وما إن كانا أكثرهم سواداً ولكن كان أرجبهم ذراعاً

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقبه من الرشيد فأثرى ، ورثى الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خيرٍ منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلّة إخوان السّماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق نداهمُ كما صاب غيثٌ من تهامةٍ في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام بمجدكم بعدى
فأخذته البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمى
حمص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السّماحة والمجد
همُ حضرونى والمهامه بيننا كما ارفض غيثٌ من تهامةٍ في نجد
إلا أب قوله * هم حضرونى والمهامه بيننا * أبعد وأحسن من قول
نهشل * أتانى وأهلى بالعراق نداهم * وأخذته ابن المولى فقال :

فرحتُ بجهنم لما أتانا كما سرّ المسافرُ بالاياب
كمطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب

وأخذته أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :
لمعرى ناعم الغيثُ غيثُ أصابنا ببغدادٍ من أرض الجزيرة وأبله
ونعم الفتي والسدُّ بينى وبينه بسبعين ألفاً صبحتنى رسائله
فكنا كحى صبح الغيثُ داره ولم يحتمل أظفانه وجمائله
وأخذته أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحة خالدٍ فجعلتُ مدحتهُ اليه رسولا
فليرحلن إليك نائلُ خالدٍ وليكفينّ رواحلى الترحيلا

وأخذته أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توابة :
نفسى فداءً أبى العباس من رجل لم ينسى قطُّ في نأى ولا كئيب

يقرى وبالرقعة البيضاء منزلة^١ من بالعراقين^(١) من عجم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النشب
 وأصل ذلك كله من قول جرير: أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأنخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريد فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه:
 بنفسي امراً والشام بيني وبينه^٢ أتني بيشري برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا، معناه أفدى.

أتى زمن^٣ البيضاء بعدك فاتحى على العظم حتى مات قوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جواده ويوم عطاء ما يفرح نائله
 ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس:

أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدسرا
 يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأذنى إذا ما افتقرا

ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر التميمي عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سحاطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكاله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحت كربة
 وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأعمار وحل به عظيم خنله أخلاؤه وشمته
 به أعداؤه وجناه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولا ولا جازي
 نعمة إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان: السكوفة والبصرة، وعراق العرب وعراق العجم. كما في

جني الجنة في تمييز نوعي المثنيين للمحبي.

أسرته ولا تضيع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلقي ويخبى خصاصتى فعمل فقال
ابن هبيرة ممن الرجل؟ قال من الذين يقول لهم الغائل:

فزارَةُ بيتُ المجد والعزِّ فيهمم فزارَةُ قيسٍ جيسبٌ قيسُ فعالها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذى بناه لقيسٍ فى القديم رجاءُها
وهل أحدٌ ان مدَّ يوماً بأنفه إلى الشمسِ فى جَوْ السماءِ ينالها
لهبهاتُ ماعيا القرون التى مضتْ ما تَرُّ قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم
أتت لك؟ قال تسع وعشرين - فلهن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
الحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقة، شبته بأقبح عيب^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم فى عبنى وملاّت هيبته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبى. فقال له ابن هبيرة: وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بهاسلطانه ويزين بهامشده ويبتوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فإن كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على إصلاحه ببعض ما أوصلناه إليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فإنه لولا هذا اللسان لكان الإنسان كالبهيمة المهينة
قاتل الله الشاعر حيث يقول:

ألم تَرَّ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الفم
وكأنَّ تَرَى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدم

ومن بارع المديح:

ولى منك موعودٌ طلبتُ نجاته وأنتَ امرؤٌ لا تخلف^(٣) الدهرَ موعدا
وعودتى اب لا تزال تُظلى يدُ منك قد قدمتَ من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر. (٢) الاكار: الجراث. (٣) فى الأصل «يخلف».

فلو أن مجرداً أو ودي أو فضيلةً تخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ الخلدُ
ومن بايغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصُّولي عن أبي العيَّان عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرَكٌ أيُّ جنة خائف ومتاع دُنيا أنتَ في الخلدِ ثان
متخمط يطأ الرحال غَلَبَةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارح القردان
وتفرج البابَ الشديدَ رتأُجه حتى يكونَ كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتبك الاحسابُ أي حياةٍ وحيا أزمةٍ وحياةٍ واد
فاتقِ مُعتقاً من اللوم (٣) إلا من مقاساة مغرمٍ أو نجادٍ
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومهذب الألفاظ منطقتُهُ مافيه من سخطٍ ولا ممينِ
ماشئت من ظرفٍ ومن شيم مافي محاسنهن من شين
ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيبٍ يوقيه من العين

قد أحسن وظرف ولم يقصر في تليل الحز واطابة المفضل . ومثله قوله :
يا كامل الآداب مُنفردَ العلا والمكرمات ويا كثير الحاسدِ
شخصَ الانامُ إلى كمالك فاستعد من شر أعينهم بعيبٍ واحدِ
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالثنقص حادثٌ وأبي لك التكميلُ أن تزيدا
وكأنني بك قد نحووت محمد في النائبات كما دعوت محمددا
فطاعت كالسيف الحسام مجرداً للحق أو مثل الهلالِ مجرددا

(١) المتخمط : القهار الغلاب . والغلبة بضم تين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المسكرم لا يؤذى لسكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه شمس الدجى
 ومثله قول الآخر :
 فما كنت إلا السيف جرداً في الرغي
 ومن أبلغ المديح :
 ان الزمان مبيض ما سودا
 بديهته وفكرته سواء
 وأخذ في الهيجا ورد إلى الغمد
 وصدر فيه لهم اتساع
 إذا ما نأ به الخطب الكبير
 ومن أبلغ المديح قول البحترى :
 إذا ضاقت من الهم الصدور
 أخذوا النبوة والخلافة وانثوا
 إذا قريش فاضلتك فضلتها
 وإذا قريش فاضلتك فضلتها
 وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن كريمها^(١) ونبيها ابن نبيها
 لو سارت الأيام في مسعاتهم
 رفعتهم الآيات في تنزيلها
 وإذا انشعبت أخذت خير فروعها
 وإذا انشعبت أخذت خير فروعها
 وقلت : لئن قل أرباب المكارم والملا
 يذكركم في جود الغنائم جوده
 وشكرى له شكر الثرى للغنائم
 يذخرني جود الغنائم جوده
 وشكرى له شكر الثرى للغنائم
 بلوح على عرف من الليل فاحم
 بعزم على الأيام والدهر حاكم
 ويعلم من الانجاد كل مكارم
 بطور كجري الماء في عين حاتم
 وعزم كحد المشرفية صارم
 ويسقي بها الالى دماء الضراغم
 ومن بارع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشربها ابن شريفها» مكان «و كريمة ابن كريمها» .

رأيت لعمري خلأفدًا لم تكن
له كرم لو كان في الماء لم يفيض
أخو عزّ مات بذله بذل مُحسنٍ
يهوئك أن تلقاه في صدر محمّدي
وماضيق أخطار البلاد أضائني
وهذي ثياب المدح فاجر ذيولها
ولقد أحسن التلوخي في أبيات له منها :

وفتية من حمر الحمر الطيبي
شموس مجد في سموات علا
وقلت : بالمجد الاسماء أنت كوكبها
فكل سابق قوم أنت سابقه
بالعقد تحسكمه والأمر تبرمه
بيض العطايا حين يسود الأمل
وأسد موت بين غابات أسل
والجود إلا غمام أنت سلسله
وكل فاضل حزب أنت تفضله
والعرض تمنعه والسال تبذله

وللمحدثين أبيات بارعة ماثرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
ابن حاتم العسكي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
الهواء قليلة الأدواء قال كيف ليلها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك
طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
خضراء فيان فيح بين قيصوم وشيخ . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

يارب ليل سحر كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى . فيه فتهديه نثارُ الهموم

وقال ابن الرومي * كأن أيامهن كالبكر * وقلت :

أيامنا في جوارهُ بكرٌ وليلنا في فِئانه سحر

ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ فتدققا فكلًا كما بحر

وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد

وقوله : فبي يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ

فما جازه جودٌ ولا جل دونه ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصير

وقول أبي العتاهية :

أنته الخِلافةُ منقادة إليه تجرُّ أذيها

ولم تكُ تصلحُ إلا له ولم بكُ يصلحُ إلا لها

ولو رامها أحدٌ غيره لزلاتِ الأرضُ زلزها

وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وأى واسماعيل يومَ وفاته لكالعمد يوم الروع فارقه النصلُ

فان أغش قومًا بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيه من الأتسِ المحل

الأتس جمع مثل خدم . وقول بعض الاعراب في معن بن زائدة :

أنتَ الجواد ومنك الجودُ أوله فان مُفقدتَ فما جودٌ لموجود

أضحيتَ يمينك من جودٍ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود

من نور وجهك تضحى الأرضُ مشرقةً ومن ثنائك يجرى الماءُ في العود

وقول البحترى :

وقد قلتُ لعملى إلى المجد طرفة دج المجدَ فالفتحُ بنُ خاقان شاغله

صفتُ مثلَ ما تصفوا المسدأُ خلاله وورقتُ كما رق النسيمُ شمائله

والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعي نزال إلى الوغى
من المطربين الأولى ليس ينجلى
جعلت نظام المسكرات فلم تدر
إذا افتخرت يوماً ربعةً أقبلت
وأبجود ما قبل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب^٢ كأن عليه من شمس الضحى
عريان لا يكبو دليل^٣ من عمى
شرف على أولى الزمان وإنما
لوم تكن من نعمة نجديّة
مطر أبوك أبو أهلة وابل
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا
أكفأء تلد الرجال وإنما
أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسب^٤ أضاء عموده في رفعه
وشمائل^٥ شهد العدو بفضلها

وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلةً
وقلت : قد نلت بالرأي والتميز منزلةً
وبالتكرم والافضال مرتبةً
قالوا أيمطر من محل ألم^٦ به
مال يسدده في جمع مكرمة
كروضة أخذت بالغيث زخر^٧ فيها
حتى يسلمها إليه عداه^٨
مانالها أخواك البحر والمطر^٩
لم يعطها خادماك السيف والقدر^{١٠}
فقلت قد تمطر الانهار والقدر^{١١}
فالمجد مجتمع^{١٢} والماء منتشر^{١٣}
فالروض منتظم^{١٤} والغيث منتشر^{١٥}

(١) في ديوان البحترى «كجاة إذا» .
(٢) في نسخة «لرب» وهي الشدائد .

مناقب^ه ما يكاد الدهر يهدمها
فابشر فانك رأس^ه والعلا جسد
لولاك لم تك للأيام منقبة^ه
وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامه
والسيف^ه أرفف^ه للمضاء^ه غراره
أنت الربيع^ه الغض^ه رق^ه نسيمه
خلق^ه كنشر^ه الروض^ه طل نباته
للأولياء^ه رخاؤه ورخاؤه
يامن أدل على الزمان زمانه
يدنو فيغمر^ه كل^ه شيء^ه فضله
ما ان يزال من المآثر^ه والعلا
عال^ه تسور^ه فوق قمة^ه سودد
يبدو فييدى^ه الصبح^ه غرة^ه وجهه
سبق الجياد^ه فما^ه يشق^ه غباره
ولئن أبر^ه على الحسام^ه عزيمة^ه
وكأنا^ه أقلامه^ه أسيافه^ه
ما للمجد^ه إلا المقد^ه جودك^ه شذره^(١)
والجود^ه في يدك^ه اليمين^ه عنانه^ه
ما زال فوتك^ه في اللواء^ه موليا
فاعمر على زمن^ه أغر^ه محجبل
وقال آخر وأحسن :

(١) الشذر : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل

بها النظم ، وهو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم^م والله^م يكأؤهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :
فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأتعبت من جرى
ويبذل دنياه^م ويمنع دينه^م
وقلت : وقتت على يحيى رجائي وأنا
إذا مال اليالي أدركت ماسعت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه نبي الغيث مقصرا
فتي لم نزنه بالقوافي وإنما
من الغر^م لاحوا أشمساً ومضوا ظبي
رأيت جمال الدهر فيك مجدداً
وقلت : في فنية أخلاقهم وفعالهم
حل السرور حباهم في مجالس
فهم^م إذا نظروا الصديق كواكب^م
أوقيل تلتف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس^م والصبح منهم دامس^م والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى
كذلك فوارض الثمرات تدنو
من الأيدي جميعاً والأمانى
لجانيتها فتمكن كل جاني
وأخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضيل نصيب من العلاء ورأس العلاء طراً عقيد الندى وهب
وماضراً وهباً عيب من جحد الندى كما لا يضر البدر ينبجه الكلب
فتنى له الوسادة وهش إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البخترى ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رفاة سيدهم .

ومن بليغ المعانى في المديح قول ابن الرومي :

لما من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن الممات لكل حي وقيت به من الحدان محيا
وقال خلف بن خليفة :

ان استجهاوا لم يقرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجمل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أوتخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ما تكلموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلاء فضائل آباء تلها فضائله
فجاز طريف المجدي بمد تليده رفيع بطول النجم حين يطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشماله
وما هو إلا المزن تصفو خلاله ويملو مبهوا ويمكر هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الإفتخار ﴾

قالوا أنخر بيت قائته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعودُ لما تهواه والعودُ أحمدُ
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأشده :

جزينا بنو شيبان قديماً بفعلهم وعُدنا بمثل البدء والعودُ أحمدُ
قال لم تصب ما أردت فأشده :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعودُ أحمدُ
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قائته العرب قال قول جرير :

فغض الطرف انك من نمر فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فتاح بنو نمر على خُبث الحديد إذاً لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قائته العرب قال قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنخر بيت قائته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أنزل بيت قائته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة للنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القيادة بطونها طى التجار بحضرموت بزودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم تر أن جمعهن وسطاً سعد تُسمى بعد قضيها الرحاباً^(١)

ترى برصاً بأسفل^(٢) إسكتيها كعنفقة الفرزدق حين شابا

قال فما أهجن بيت قيل قال قول جرير :

طرفتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا واسكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أر شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للفم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله بالهيامة أن ينصف

من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأنتيتُ جاهداً وان غدتمُ أنتيتُ والعودُ أحسن^(٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خابلي قد طاب الشرابُ المبردُ وقد عدتُ بعد النسيك والعودُ أحمدُ

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

من الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبتُ الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كفاها من النقااض .

(٢) في النقااض (بجمع) مكان (بأسفل) . (٣) لهه «أحمد» .

ثياب بني عوف طهارى تقيه وأوجههم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
فلا وأبيك ماظلمت قريع بأن بينوا المكلام حيث شأوا
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
قال اجلس لاجلس والله لقد خفت أن تفخر على .
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف
والايماء إلى قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجمل في قصيدته التي يقول فيها :
وكانت تحيد الأسد عنا مخافةً فهل يقتلني ذو بنان يطرف
لقد أخلفت ظني وكانت مخيلةً وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف
إذا اتهم الأتوم مجداً فاننا لنا مغرفاً مجد وللناس مغرف
وضعنا لهم صاع القصاص رهينةً بما سوف نؤفيه إذا الناس طفقوا
ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى أشاعرون به كي يلمسوه^(١) وأين اللمس من زحل
وعند الناس قصيدته النائية أحسن وأسلم من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم
قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصر دونه فيارب مظنون به الخبير يخلف
وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كل من تهواه يهواك قلبه وما كل من أنصفته لك منصف

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العيسى عن العيسى قال من أحسن ممدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشيرتي بمنهم ضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاى عند جنابة ولا خائف مولاى من شر ما أجنى
وإن فؤادى بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذنى
وفضلى في الشعر واللب أنى أقولُ على غيِّمٍ وأعلمُ ما أعنى
فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود

ما ممدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لمسكين الدارمي :

ورُبُّ أمورٍ قد برت لحالها وقومت من أصلابها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فان خفت من دار هوانا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتنى بخيالاً وان حقُّ عرابي أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مدتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصامتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غداً أن يعطف الودُّ بيننا ومظالمه منى بجنبي عركتها
غيره : ومالى وجهٌ في اللثام ولا يدُّ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصبحُ ^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ

وقلت في معناه :

وخلُّ الجهولِ وبُغضى له فاني لبيبٌ أحبُّ الليبيا
بصادفنى الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أر يدما عجيبا
وأستعملُ الحلمَ مالم أكن أصبتُ من الذلِّ فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروباً
 وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان : فان تسألني عننا فانا حلّ العلا * ثم قال
 ليس لقوله * فانا حلّ العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماسكل
 فسا أنا إلا السيف يأكلُ جفنه له حلية من نفسه وهو عاطل
 وقد زاد في هذا البيت على النمر بن توبان في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
 فان تك أفواجي تمزق عن بلي فاني كمثل السيف في خاق الغمد
 ولا بئ هفان أيضاً :

تعجبت دُرٌّ من شيبى قفلت لها لاتعجبني من بياض الصبح في الصدف
 وزادها عجباً أن رحت في سميل^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدر في الصدف
 فرأيت في هذا المعنى تكلفاً فقلت :

غيرتني أن رحت في سميل والدر لا ترضى به الصدف
 وله أيضاً في هذا المعنى :

يُعيرني عري رجالٌ سفاهةً فعزيتُ نفسي مصدرًا ثم موردا
 يأتي مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو جردا
 في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
 في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مساوياً *
 ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

فقل زهير إن شتمت سراتنا فلسنا بشتامين للمشتم
 ولسكننا نأبي الظلام ونعتصى بكل رقيق الشفرتين مصمصم
 وتجهل أيدينا ويحلم رأينا وتشم بالأفعال لا بالتكلم
 هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سميل الثوب سهولاً : أخلق فهو ثوب سميل .

لقيط بن زرارة :

أغرمتُ أنى بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وانى بالفواحشِ أخرج
وانك قد سايبتنا فغلبتنا هنيئاً مريباً أنت بالفحشِ أحنق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزدق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فاو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولسكنى أسعى نجيدٌ مؤثلاً وقد يدركُ المجدُ المؤثلاً أمثالى
قيل له فأيهما أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حتميةِ الرجلِ
قال فأيهما أرق قال قوله :

وما كذرتُ عيناكِ إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مقتلِ
قال فأيهما أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

ويبئر بدرٍ اذ يردُّ وجوهكم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الاختصار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطمانِ وطامرٌ وإذا جزى عنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا علوا لم يضرجروا يوم اللقا واذا علوا لم يفجروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رأفتى واخاطبى وقد يشتكى منى العداةُ الأباعدُ
وذى ترّةٍ أوجنته وسبقته فقصر عنى سعيه وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن بليغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألُنني هوازنُ أينَ مالي ومالي غير ما أنفقتُ مال
 فقلتُ لها هوازنُ إنَّ مالي أضرَّ به الملماتُ الثقال
 أضر به نَعَمٌ ونَعَمٌ قديماً على ما كان من مال وبال
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :

ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ولا تغيبُ إلا عند آخرنا
 وقول أبي جندب :

قلو نَزادُ ألفَ ألفٍ لم نزد ولو فُقدنا مثلهم لم نفتقد
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلابي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللغظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية
 فلذا أنا بشاب حسن العينين وضبيء وبشيخ يسأله قال فسبه الفتى ثم ان الشيخ
 غيره بأن أمه من بنى الأصفر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سائلٌ وحلٌّ في إِيادِ بنِ معدٍّ هل كانتِ الرومُ عبداً لاحد
 همُ الربيعُ والسَّنامُ المعتمدُ والذُّرَّةُ العلياءُ والركنُ الأشد
 وأنتِ حرْمىٌ لثيمُ المستندِ عُصارةُ اللؤمِ التي فيها تلد

فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتى منى فاذا رجل على جبل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هجاهم لأنه مر بالأوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب يبيض
 في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرن بن تميم من هذيل فأما وقال :

هل ههنا من ولد قرن من أحد أعطيهم من رجزي اليوم وغد

تُفْرَجُ أَبُو جَنْدَبٍ وَهُوَ يَقُولُ :
 نَمِمَ غُلَامٌ مِنْهُمْ جَبَلًا عَتَدَ
 أَنْ يَنْفِرَ مِنْ وَقْعِ الْعَصَى وَالْقَدَدِ
 وَأَبْنُ هُذَيْلٍ وَأَبْنُ أَشْيَاخٍ مَعَهُ
 فَلَوْ نَزَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ تَزِدْ
 فَارْجِعْ إِلَى مَعْرَاكَ تَيْسًا ذَاجِدًا
 قَالَ فَخَلَفْتُ أَنِي لَا أَهْجُو أَحَدًا مَا دَامَ أَبُو جَنْدَبٍ حَيًّا .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الإكثيرين حصي
 والاطيبين ترى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
 وَمَا قَلَّ مِنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلُنَا
 وَمَا ضَرَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
 عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ
 وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لَنَا جَوْهَرٌ لَوْ خَالَطَ الْأَرْضَ أَصْبَحَتْ
 مَقَامَاتُنَا وَقَفَتْ عَلَى الْحِلْمِ وَالْحِجَا
 إِذَا زِينَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ أَعْرَضَتْ
 لِيَفْخِرَ بِجُودٍ مِنْ أَرَادَ فَانَهُ
 جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى
 فَتَى ذَخِرَ الدُّنْيَا أَنَا سَ وَلَمْ يَزَلْ
 وَمِنْهَا : كَيْفَ إِذَا طَلَّ الْكِبَاةُ لَدَى الْوَعْيِ
 بِخَيْلٍ لَزِيدِ الْخَيْلِ فِيهَا فَوَارِسٌ
 طَوَى بَطْنَهَا الْأَسَادَ حَتَّى لَوَانَهُ
 وَبَطْنَانِهَا مِنْهُ وَظَهْرَانِهَا تَبْرٌ
 وَأَمْرُدُنَا كَهْلٌ وَأَشْيَبُنَا حَبْرٌ
 فَأَزِينُ مِنْهَا عِنْدُنَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
 عَوَانٌ لِهَذَا الْخَلْقِ وَهُوَ لَنَا بِكْرٌ
 بِهَا الْقَطْرُ يَوْمًا قِيلَ أَيُّهَا الْقَطْرُ
 لَهَا بِأَذْلًا فَانظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذَّخْرُ
 وَأَرْمَاحِهِمْ مُحْمَرٌ وَأَلْوَانِهِمْ صَفْرٌ
 إِذَا نَطَقُوا فِي مَسْهَبِ خَرَسِ الدَّهْرِ
 بِدَالِكَ مَا شَكَّكَتْ فِي أَنَّهُ ظَهَرَ

صبيته ما أنت تُحدثُ نفسها
فإن ذممتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
مساعٍ يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله : مضوا وكان المكرمات لديهم
بهايل لو طابت فيض أكرمهم
وأى يد في الجدي مُدَّت فلم تكن
أصارت لهم أرض العدو قطائعا
إذا ما أغاروا واحتوا مال معشر
فيعطى الذي يعطيهم الجود والتقنا
يدون بالبيض القواطع أبدأ
وقلما نجد في الاقتحار شعراً يذاني هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي باع الدهر بالعرف ضيق
وواقع نهامه عن الحر طائر
متى ما يصبني بالقوارع طرفه
وهما مثل للخطوب جوالب
تريك اشتعالاً بالنجوم طوالعاً
وتزرى على البيض الطوالع ان مضت
تخافني الأيام فهي تخيفني
ولو كن في عيني لما قذيت بها
أطلع منها في ديارى طوالع
يقارع منى بأسلاً ذا حفيظة
فتى باتم الفضل ليس بقانع
فما صحبتته للأنام صنيعه

على كل ذى عقل وبالسكر واسع
وطائر بلواه على الحر واقع
أصابته همتى وهن قوارع
كما أنهن للخطوب دوافع
وهن إذا لاحت نجوم طوالع
وهن على العلات بيض قواطع
وللتكس تهديد إذا ريع رائع
فكيف ترى أنى إذا صلت خاشع
بسوء همتى عليها طلائع
يقوم أزاء النصر حين يقارع
ولكن بأذى باغة العيش قانع
ويصحبهم منه وفيه صنائع

وكل مصادي منسة متواضع
 وذكره بأطراف البسيطة شائع
 وكم ضرر المرء فيه منافع
 بلى حيث ضاع المجد مثل ضائع
 إذا كان مجهول الفضائل خاضع
 فان ينقلب وجه الزمان فتابع

حواء من عرب غري ومن عجم
 كل وحدهك والدين لم يرم؟
 والدين أمرد لم يبيع فيحتمل
 فقد حقنا دم الاسلام فابتسوى
 بغير أحمد لم تقعد ولم تقم
 يرتج طوداه من نعي ومن نغم
 لنجدة عدت الآجال في الحوام
 للعدم من طول ما انتاشوا من العدم
 إلى الأثرى عمراً بفضي إلى الهرم

وحطت مساعينا على حطط الفخر
 وعن سخطنا تدي ألوف المتائف

فقري فتى وشبابي كحل و كل فضل لي عليه فضل
 أشكى لجودي حين يشكى البخل

ولم يتواضع في مصاداة منسة
 له شرف في آل ساسان باذخ
 إلى أن قلت: تؤذبه الأيام حين تضره
 وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه
 ومثلي مخضوع له غير أنه
 ومثلي متبوع على كل حالة
 وقال ديك الجن (١) يفتخر بكاب:

كلب قبيلي وكلب خير من ولدت
 وعسيرتنا وما ان طل را؟
 غلاة مونة والاشراك مبتهل
 ان تعبسى لدم منا هريق بها
 أقعد وقم طالماً ان لو تطوقها
 أقام حصن عليهم حصن مكرمة
 إذا غدت خيلهم تستنجد المطي؟
 كم عرضوا أيدياً أيضاً مكرمة
 أسديرون الردى المغضى بأنفسهم
 وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
 وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
 وقال ابن المعتز:

(١) هو عبد السلام بن رغبان السكبي ، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشيكير (١) الختلى (٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خالق ألوف وطبع عطفها فلما بال الاصبهذ لا يجيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لفته مخيلة ولا يحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق (٣) من صفاقة الدهر حجر (٤) بنوه فقد نباعليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آباءه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذى بهد الوهم فهما وهذا التمييز الذى بحسب الجهل علما وهذا الرأى الذى يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رفاية الحقوق وما هذا الاعراض الذى صار ضربة لازب والنسيان الذى أنساه كل واجب أين الطبع الذى هو للصدور صدود وللألف ألوف ودود وأين الخلق الذى هو في وجه الدنيا البشر وفي مبسمها الثنايا الفر وأين الحياء الذى يجلى به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليعتدل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له فى الانقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجفوة أجدبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والايام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طابه وجده فى مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاهة العيش باعراضه وتقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر فى عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته الحجر وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لوشاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

(١) فى النسخ (وشيكير) . (٢) لعله (الجبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشى . (٣) اعلمها مقحمة (٤) فى نسخه « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجنان البروق اللوامع وقطع أسنة
العود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الانسان وكل
العيون بصور الغيلان وأبنت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنابطة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يتبغى هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعاق منه بحبل كان بهما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل
ظليل ظل صريماً لا عصمة له ولم لا يسترد عازب الرأي فيعلم أنه مالم يعاود الصلوة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكثف بماله وعرضه ومتعزز بسمائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافى وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحى على سيدى مستعيداً وصاله ومستصلحاً بالالحاف خصاله وغدى عليه
هذه العجائب لاستماتته من جانب الى جانب لا فى يمن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع الى نازع عن خلفه أو مؤئل حالاً عند من ينحمت أثنته^(١) ومقبل بوجه على من
لا يجمله قبلته فأنى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها
جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتى لما رفعت اليها طرفاً ولو كنى أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحمد ويجنب جنبه اكليل الحمد ويظل وجه الوفاء بقبضه
على يده مسود اوركن الاخاء بفته فى عضده منهدا ولا يمجبنى أن يكسو ضوء مكارمه
كف الخول وبأذن لطوالع مماليه بالاقول فان فضل سيدى الخود على الوجود والعدم
على الوجود ونزل من شامخ الى خفض ومن حائق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال إلى الملال ولم يصل ناز الوصال حلت عنه معقود خصرى وشغل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فزادى وأعددت وده فيا سال به الوادى :
 وفي الناس ان رثت جبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلى متحول
 وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا انى أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٢ جسمه^٣ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٤
 وقال ابن المعتز^(١) :

سألتك يا الله ما تملسانى ولا تكتمنا شيئاً فمندك يا خبرى
 أرفع^٥ نيران القرى لعفاتها وأصبر^٦ يوم الروع^٧ فى ثغرة الثغر
 وأسأل^٨ نيسلاً لا يجاد^٩ بئسله فيفتح^{١٠} بشرى ويختمه عذرى
 ويارب^{١١} يوم ما توارى نجومه مددت^{١٢} إلى المظلوم فيه يد النصر
 وقال : وقعت الى القوم الصفايا بمنصلى فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا

وأنشدهنا أبو القاسم عن العتدى عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت^{١٣} فى الدهر أطواراً على طريقي شتى فصادفت^{١٤} فيه اللين والقظما
 لا يملأ^{١٥} الأمر صدرى قبل موقعه ولا يضيق^{١٦} به ذرعى إذا وقعا
 كلاً لبست^{١٧} فلا النماء^{١٨} تبطرنى ولا تخشمت^{١٩} من لا وأنها جزعا
 وسألنى بعض أدباء البصرة فقال ما دل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت

قول الأقيس^{٢٠} القينى :

إذا لم أجد^{٢١} بداً من الأمر خلتنى كأن^{٢٢} الذى يأبى على^{٢٣} يسير^{٢٤}

فقال ما عادت مافى نفسى . ومثله قول أبى النشاش :

على^{٢٥} أى شىء يصعب^{٢٦} الأمر قد ترى بعينك ان لا بد^{٢٧} أنك راكمه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ، أولع بالشعر

ونبع فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع فى زمن معاوية ، قتل

فى احدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامٌ آستصعبُ الأُمُـرَ لا تَرى منه بُدا
بأدرٍ وخيلُ الهويِّنا وجدَّ كما تجدا
فلن تلاقى جدًّا حتى تلاقى كدا

ومن يبلغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا لسيفي أسوى وقمه من لسانيا
وهي من قول حسان * ويبلغ ما يبلغُ السيفُ مذودي *
وقلت : ولي لسانٌ إذا أظلمته عرضاً سعى مساعيَ ضرغامٍ وثمان
وقد تمنى أجدادٌ ججاججةً من نجل ساسان نزهو نجل ساسان
هم الكواكبُ في أطرافِ داجيةٍ أو العنان على أنباجِ أعنانِ
قومٌ إذا ما أتوا بالسوءِ ما اعتدروا ولا يمتنونَ إن منوا بإحسانِ
وقلت : من يكن صائلاً بمثلِ لسانِي لم يضره أن لم يصلُ بسنانِ

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثرت من وصف ماوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغد لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً يحل به السحاب في كل مقدي وما ب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشمخي :

ألم تعلمي يا عمرك الله أني كرمٌ على حين الكرامِ قليل
واني لا أخزي إذا قيل مُساقٌ جوادٌ وأخزي أن يُقالَ بخيلٌ
فإن لم يكن عظمي طويلاً فاني له بالخصال الصالحاتِ وصول
وإن أكُ قصداً في الرجال فاني إذا حلَّ أمرٌ ساحتني الجليل

إذا كنت في قويم طوالِ فضلهم
 ولاخير في طولِ الجسومِ وعرضها
 ولم أرَ كالعروفِ أمّا مذاقه
 وقلت : غنای غنی نفسی ومالی قناعتی
 ونفیری اسلامی وذخری أمانتی
 ولی عزمات کالسيفِ قواضيا
 وتمشى صدورَ النائباتِ صدورُها
 ألا لاينمّ الدهرَ من كان حاجزاً
 فمن لم تبلغهُ المعالیَ نفسه
 ولا أعرف في افتخارِ الجاهليةِ أجود
 ولا أبلغ من قولِ عمرو بن كلثوم^(١) :
 ونحنُ الحاکمون إذا أطعنا
 ونحنُ التارکون لما سخطننا
 ونحنُ الآخرون لما رضينا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس في قوله :

إمّا تریّتی أمامَ القومِ متبعاً
 يوماً أنيخُ فلا أدعی علی نسب
 لا تسألنی القومَ عن حیّ صحبتهم
 وقال : أمیلُ مع الذمامِ علی ابنِ عمی
 أفرقُ بین معروفی وبنی
 فاما تلفنی حُرّاً مطاعاً
 فقد أرى من وراء^(٢) الخيل أتبع
 واستبيحُ فلا أبقى ولا أدعُ
 ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
 وأقضي للصدیق علی الشقیق
 وأجمع بين مالی والحقوق
 فانك واجدى عبدَ الصديق

وهذا من قول الأول :

(١) في الاصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام بنحو نصف قرن . (٢) في الاصل « ورأى » .

وإني لعبد الضيف مادام ثاويًا وما في إلا ذاك من شيمة العبد
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .
وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :
أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا
قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على مايسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والاسرو والنكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى منا هم لأدنى فمنا . وقال أبو ذؤانف العجلي :
وكن على الدهر فارساً بطلا فاعلم الدهر فارساً بطلا
لأبد للخيل أن تحول بنا والخيل أرحامنا التي تنصل
مرة باللجين ننقلها ومرة بالدماء تنتقل
حتى ترى الموت تحت رايتنا تطفأ نيرانها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني ﴾

لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرثي حتى زاد
النابعة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النابعة الثاني ، ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى النهاية ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبي الصلت الثقفي يذكرك سيف بن ذي يزن واتيانه بالفرس
ومحاربه بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقاً في رأس غمدان دار منك محلالاً
تلك المكارم لاقعبان من ابن شيبه بماء فمادت بعد أبو الـ^(٢)
أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقاً في شاذ مهروودع غمدان ليمن
فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هوزة بن علي وابن ذي يزن
ولست أختار من النهاية بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلت مبشر أعياد وتطويها تمضي بها لك أيام وتشبهها
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم في لياليها
العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لا تقى وتفنيها
ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصر والأيام مقبلة إليك بالفتح معقود نواصيها
أمت هرقلة تدمي من جوانبها وناصر الملك والاسلام مدميها
إن الخليفة سيف لا يجرد إلا الذي يملك الدنيا وما فيها
مقارع الدين والدنيا عدوها بمنل هارون راعيته وراعياها
وقلت : ما ليالي والأيام منقبة غراء تسو بها إلا مساعيك
ربي يبيحك ماتهوى على فوح كما يلقيك ماتهوى وبعاميك
لأنف فصل لهذا الفصل تباعه باليمن والخير تبايه وينميك
ولا تزال لك الأيام موطاة تمضي قضاياك منها في أمانيك

(١) في الاصل « ينتسب » . (٢) في الاصل « شيبا بماء فمادت بعد أبو الـ » .

(٣) في النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنية بالنوروز قول هارون بن
علي^١ لعل بن محمد الحواري :

يا معدن الانعام والافضال	علي ^١ ياذا الجود والمعالي
فكم الآمال في الاموال	يا من به نيطت بحرى الآمال
مبتدأ يُغنى عن السؤال	جود ^٢ بلا من ^٣ ولا اعتلال
ونسعم ^٤ تأتي على اتصال	قابه النوروز بالاقبال
شبهك في تصرف الاحوال	محروسة مأمونة الزوال
كأنه وجهك في الجمال	فابسه ^٥ أزهر ذو اشتعال
يحكى بدي كفك ذالاسيال	وصبحه ^٦ بالمال ذو انهمال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قول^٧ غدا يوفى على الأقوال كمثل ما توفي على الرجال
فاشبهة^٨ الأجواد^٩ بالبخال وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذيال^{١٠} بعز^{١١} ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
ويمكان من نظام نعمتك التي تجبههم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجرى لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدى على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وجمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتباعه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع
الثقة بمذكرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبياتاً اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أيا الصقر لآزانت من الله نعمة	تجددُها الأيام عندك والدهر
ولا زالت الأعياد تمتضى وتنقضى	وتبقى لنا أيامك الغرر الزهر
فانك للدينا جمال وزينة	وانك للأحرار دخر هو الذخر
رأيت الهدايا كلها دون قدره	وليس شيء عند مقداره قدر
فلا فضل إلا وهو من فضل جوده	ولا ير إلا دونه ذلك البر
فأهديت من حلى المديح جواهر	منصلة يزهي بها النظم والنثر
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهر	ونبهى بها الأيام ما اتصل العبر
شكرت لاسماعيلُ حسن بلائه	وأفضل ما تجزى به النعم الشكر

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد: أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمر بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الخال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهمى
لك لاحظف فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرائمى مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كمهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه
بشكرك وفرغت الى مودتى وشكرى فوجدتها لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وانى ان جعلتهما هديتى لم أجد لهذا اليوم برأ ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسالك^(١) سييلاً أتمس بها ما أعتد به في مجازاتك الا وجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك السابق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقتك هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهدى نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخر
 او أهدى مالاً فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
 أو أهدى شكري فهو مرتين^٢ بجميل فمالك آخر الدهر
 والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستغنى بسمة البدر

ثم قرأه على فقالت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظير آفي رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثيرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سلف ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بالاطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضاه له
 ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغف فهو قابله
 ولو كان يهدى لاقليل بقدره لقصر عمل البحر عنك وناهله
 ولكننا نهدي إلى من نجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمسال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظام ، وكرهنا أن تحليه من سننه^(٢) فنسكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسالك» . (٢) في النسخ مبهمة من النقط .

في وسعنا ما يفي بحمك علينا فنكون من السكاذبين فاقتصرنا على هدية
تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجهل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن
فقلت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل
السكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المولى بن أيوب للمعتصم : النفس لأمر المؤمنين
والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقية من كلام
أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لعلى بن عبيدة الرياحي لم يزد سعيد بن
حميد فيه شيئا .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله
الأمر بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطول له وملاؤه من العز أمدّه
وأكمل له وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع
له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التمهاني قليلة النظير منها
ما كتب يهنيء بالوزارة : انا أهنيء أطل الله بقاء سيدي الوزارة بالقائها الى فضله
مقادتها وبلوغها في ظله اراادتها وأنحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من
كفائته بغرة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر
اليها حتى قررت لديه قرانها وأثقت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقا من
استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحبث احلاس الجهل بها ولاغرو
فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخبط خطته وعاهدت لابرحت ساحتها فالحمد لله الذي
أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يثعرون في ذيول الخيبة ويتسقطون
في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه
فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور الحامد بتفويض الصدر الى ولينه بحمقن قديم
وحديث وفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الربيع الذي يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويلوم زهره من حيث يتمجل ثمره لازالت الايام مسعوده بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بالبحيازها الى امضائه وتدبيره فـالـا كتنسى الدهر حلة أبهى من حصول عنائه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال أمراً ناهياً سامياً عالياً تنهناً الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عبيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معترز اليه معترز بما لديه فتيته متشبه بكفه واعتداله مضاه نطقه وزهره مواز لشهره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر الماداة بما يحضر ما خلا الكتب التي لا يرفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه موروداً بالعلم ومتحملاً عنه بالعلم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حله التي استعارها من شيبته ومبدأً عليه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتسبه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جودة وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سعادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والأمل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهناء سيدي الموهبة التي ساقم اليه ومدروا قما عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن ملك الأرض وولي البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخلقين أدام الله سلطانه وأبد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتباؤه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدي محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميامن أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة :

وكتب في فصل بهيئته فيه عضد الدولة وقبوله له ابنان توأمان: وصل كتاب الأميز بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنتت العارفة فيها أن تسنح موحدة حتى تيسرت منحنان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن وطلع من النجيبين أبي القاسم وأبي كائنجار أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما سعد وشهابا عز وكوكبا مجسد فتأهلت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتنفتي من السرور ما فسح مناهج الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزججت قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتمام ما أدناه من الاميرين السيدين من معادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود وتعالوه الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .

وله تهنئة بتجدد رتبة: وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن آتسما الله وحرصها بذكر ما القاه كرم مولانا ورقاه اليه من مراتب تشريف لا تكمل القرائح لاقتراحها واستدائها ولا تنسع الخواطر لالتماسها واقتضاها فحمدت الله ولي الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشرح الصدر وسأته أن يطيل بقاء مولانا في العز الراهن والاساطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مادرحه من شرف لا يرحل مقيمه ولا يتحيف عميه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق: لولا ان الله تعالى عز اسمه سبحانه عن سماع المسكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بصيرة ولا من ترك التهالك ذخيرة إلا أن لطف الله وعظمته
عجلاً إلى خبر البشري فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنم الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قوبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل يباوغ المعتز يقول فيما :

يا كاليء الاسلام في غفلاته	ومقيم نهمي حجه وجهاده
يهنيك في المعتز بشري بينت	فيها فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا	عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلادك ملكك مخبر	بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النماء فيك ثمتماً (١)	بعالوهته وورى زواده
وبقيت حتى نستضيء برأيه	وترى الكمول الشيب من أولاده

وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم	محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه	للمز قرب والسماك نديم
فلامره التميم (٢) كيف نصرفت	حالاته ولسانه التفتيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقته	حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنائه	حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً	ومسد الليل وهو بهيم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه	وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجهه كتنوير الرياض وتحتة	خلق لمسود الرياح وخيم
فالأهله شرف به متوطد	ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عيناً فان خلاله	تصفو وتساو أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النماء فيه ثمتماً » . (٢) في الاصل مهملة .

ولجده التميم حين تلاحقت أقرانه وإشاده التقديم
ومن أعجب ماجاء في التهنئة والتمزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولي قال قيل للرشيذ ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشيذ
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لأُمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سرُّك الله فيا ساءك ولا ساءك فيا سرك وجعلها واحدة بواحدة
نواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيذ : أهذا الذي زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت في تهنئة بمولود :

فاستقبل الخبير في نجيب	عما يعيبُ الوري نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ نيلٍ	يملكُ أبصارَ ناظره
يملاها ^(١) بهجة إذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقته كاملاً سويًا	تكثرُ عسلات عائبه
جنى لذيذ المذاق مُحاوً	يقربُ من كفِّ مجتنيه
وعن قليلٍ يصبرُ شهما	يشقى به جد كاشحه
الأفمش في ضمانٍ خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت في تهنئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه	فانك قد فصلت بالتهر جوهرها
فصيرتهُ الدهرُ عقداً مفصلاً	وطيرتهُ في الأفق نَشراً مُعطراً
هو اليمينُ لم يعدمك محبوباً دنت	ومكروهة شطت وصعباً تيسرا

ومن عجائب المعاني تهنئة لأبي اسحق الصابي مشوية بالعقد ^(٢) لرجل زوج أمه :

قد جمالك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة في محظور تحله فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) في الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) في الأصل « بالعقبة » .

الينا من ايقاعك العمد بين الوالدة - نفس الله لها في مدنتك وأحسن بالبقية منها
إمتاعك - وبين فلان ماعلمنا أنك فيه بين طاعة الدنيا نه توخيها ومشقة فيها تجشمها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاها وعصيت هواك لرأيها فنحن نمزبك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأتيت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوالهم في تصاريف نشوهم الطفولية والايفاع والشبية والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتها والكمال وجمل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السمي والهمة وغاية في الطالب والبعية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يمطهاها قبل بلوغ أدواته متمهاها يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافت اليه أقسامه في الكفاية كل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه والله المنة والفضل وبه القوة والحول : الحمد لله الذي
كسالك بالاحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن يصبجه حافظاً وجمالاً بما جل
من صورتك وكل من ادانك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجراهم في المشاهد الجماعية منسوعاً قولك اذا قلت مصغى لك اذا نطقت
 آمناً من انصراف الأبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جملة الرجال على الجملة الى أن تكشف مخابرك بالحننة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخاو فيه
 كل واحد منكما من رفق يده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليده من ترك ابقائه في السطوة عليه ولو كان طارياً من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاتصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها في جمال غشاك وكال
 أتاك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستنداراً للمزيد في احسانه إليك .

وكتب صاحب تهمة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله في شيخك رحمه الله تعالى ما أعجبنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل في زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثملك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أهلك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك ووراً وقد لعمري وفقت حين وصلت بحبلك جبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله ثلاثاً تقدم من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرسدك لما يعيد الشمل
 مجتهداً بمدفراقه والعدد موفوراً بمداتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنية بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاءها
 وزادها محاسن ترفل في حلها وتبختر في حليها واكتنفها بيمين يبرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما ستأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة في

تقريب ركاب مولانا أطال الله بقاءه وكتب أعداءه وكب حساده وزادهم رغباً
بزيادته تعالى إياه نعماً لا ير حل مقيمها ولا يتحيف عميمها ما اختلف العصر ان وتعاقب
النيران واستقبل به في وفدته ما ينقاد له أقصر الامار ويحتوى عليه أربعة غايات
الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداء ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمه
ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية
لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
والحمد لله الذى أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم
والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الثانى من كتاب ديوان المعانى ﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قالته العرب قول مسلم
ابن الوليد ^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الغواني، تأدب في الكوفة وعظم شأنه في الشعر، مات بجزان .

يجردُ بالنفس إنَّ حَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة: ^(١)
تجردُ بنفسٍ لا يجادُ بمثَها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم ^(٢) :

طابت هديةً لك باحتيالي على ما كلَّ من حسي ونسي
فلما لم أجدُ شيئاً نفسياً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي
وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة
له كيد وفي المودة له كنفه وفي الخلاصة كأحد أهله وإنما أطفئه من ماله وقد
بعتت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبنته وخدمته . وقال أبو تمام :
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه جادَ بها فليتيق الله سائله
وقد أنكر خلف بن خليفة أهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقترضه خلف
الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشدُه الركبا
فقلتُ له هل جئتنا بهديةً فقال بنفسى قلتُ أنحف ^(٣)
هي النفسُ لا آسى عليها إذا نأت ولا أنمى ما حبيتُ لها قريبا
إذا هي وافت من ثمانينَ قامَةً فلا السهلَ اتقاها إلا آسه ولا الرحبا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ ببغداد وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ

وله سقط « بها التريا » أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذي أنت سائله * لأن الغنيمة^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قُلْ «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قُلْ «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن الساحةَ لم تزل معقولةً حتى حلتَ براحتيك عقالها
وإذا الملوكُ تسائرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنتم هلالها
فلم يثبه فقال :

هزرتك هزة السيف المحلى فلما ان ضربت بك اثنتيت
فهيها مدحة ذهبت ضياءاً كذبت عليك فيها واقتربت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حقه قال فر أبو

العتاهية بأسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرقدُ
إلا تسأل الله من فضله فان عطايه لا تنفد
إذا جئت أفضلم للسؤال ردّ وأحشاؤه ترعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية الأسود

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،

وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتهر بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،

ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من أُوْمِهِمْ فإني أرى الناس قد أصابوا
 وإني أرى الناس قد أبرقوا بلأومِ الفعالي وقد أرعِدوا
 ثم مضى فقبيل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أيك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع مدحك وقدمته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافترت * قول علي بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوته وباطنه خاوم من الخيل أخرج
 أبا دلف يا أ كذب الناس كاهم سواي فإني في مدحك أ كذب
 وأخذ البحرى قوله * كانوا كوا كباها وكنت هلالها * فقال في المتوكل :
 اذا غبت عن أرض ويمت غيرها فقد غاب عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاق البلاد خصيبة وهل تحمل الدنيا وأنت ثمالها (١)
 فأما قوله : كأنك من خشية السؤال في عينه الحيسة الأسود
 فن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجه ليل مظلم وحفيف نافحة وكلب موبد
 وأخوك محتمل عليك ضغينة وخسيف قومك لائم لا يحمد
 والخصيف عندك مثل أسود صالح لا بل أحبهما إليك الأسود
 ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامسك
 قول ديك الجن :

قالوا السلام عليك يا أطلال قلت السلام على المحيل محال
 حاج الشقي مراده دمن البلى ومراد عيني قلة وحجال
 لأنادمن (٢) الراج وهي زلال ولا تطرقن البيت فيه غزال
 ولا تترك حاليها وبقلبه أحرقت وحشوا فؤاده بكبال

(١) في الأصل « ثمارها » . (٢) في الأصل (لاغاد من) .

وليشفين^(١) حبي فم^ه وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسلم الأوكال^ه وهى مواكل
 ورجال^ه هنى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمعه^ه
 ولم يكن لك مال^ه يوم تكسبه^ه
 تحب^ه من أجله الدنيا وتورثها
 سترته^ه عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه^ه فى نوائبه^ه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال^ه امرىء
 فليس على الجودِ والمكرمات
 هو المال^ه ان أنت لم تخترب
 فكنه^ه تكن مثل ما يعجبك
 حجاب^ه إذا جتته^ه يعجبك
 أباح^ه لك الدهر^ه ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمنى يا ابن ورد فانى
 ومن يؤثر الحق^ه الثؤوب^ه يكن به
 وقال عبد الملك بن مروان ما وردت ان أحداً من العرب ولدنى لإقائل
 هذه الأبيات :

(١) فى الأصل (ولايشفي). (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرُنا اسماقنا في نفوسنا فاسمعنا فيمن نحبُّ ونسكرمُ
فقلت له نعمالك فيهم آتيا ودعَّ أمرنا ان المهمَّ المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدح أهم له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحترى :

سحابٌ عنداني جودُهُ وهو هامرٌ وبجرٌ خطاني فيضه وهو مفهم
وريقٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلى منه أسودٌ مظلمٌ

ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لَهُ هِمٌّ لا مُتَمَبِّى . اسكبارها وهمة الصغرى أجلُّ من الدهرِ
له راحةٌ لو أن معشاراً جودها على البرِّ كان البرُّ أندى من البحرِ
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعتُ في فؤاده همم ملء فؤاد الزمانِ إحداهما

وموضع التخصير فيه أن الأول جعل همة الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
أحدى هممه ملء فؤاد الزمان فإذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكّر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت إليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجيبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطؤي في
الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصَّعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذُ مُرَهَمًا وافذك بأهلِ الشرقِ والغربِ
 ولا تمت إن حضرت ميتةً حتى تميتَ السيفَ بالضربِ

ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيله أعلم منه بحمداءِ أهله (١)
 قد لعبت أيدى النوى بشمله متمعاً مضطالماً بحمله
 مُنصلاً كالسيفِ عند سله مولوداً همتُهُ من قبله
 قد دانَ ذو الفضلِ له بفضله كالصابِ من يذوقه لا يستحله

إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال : همةٌ تنطحُ النجومَ وجدُّه ألفٌ للحضيضِ فهو حضيضُ
 أبلغ ما قيل في يمن النقيبة (٢) قول الاعشى :

ولو رحمت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً ينبع لأوريت نارا
 الحصاة مع النبع لا توري قال فأنت من يمن نقيبتك لو قد دحت بهما لأوريت .
 وقال بعض الأعراب :

يذكرني سعداً دماءً بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعداً إلى الماءِ سرى
 من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعسين وراء شأوه إلى العلى والمسكراتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد باللهي فحوى المجد بما جاد وشح
 فإذا همَّ بأمرٍ ناله فسواءٌ جدٌّ فيسه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقيبة : النفس ، يقال فلان ميمون النقيبة إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقيبت
ولسا يفرره تغلب دهره
وكم بادىء المزن غير معقب
فقلت لعلّ الدهر لم يتقلب
ويدنوله المطلوب حتى كأنما
كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :

سأشكرُ عمراً إن تراخت منيتي أيا دى لم تُمنن وإن هي جات
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زات
رأى خلقي من حيث يُخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجات

قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا
قلبت عينه صرف الهمّة إلى نقذتها من غير اشتغال بشيء غير ها وهو على قوله « من
حيث يُخفي مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقّد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :

إذا ليلةٌ نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتعمللُ
كأني أنا المطروقُ دونك بالذي طُرقت به دوني فمبني تهمل
وقالوا أشجع بيت قاله العرب قول عباس بن مرداس السلمي (١) :

أشدُّ على الكتبية لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها

قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنزة (٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكُ مالي وعرضي وأفرُّ لم يكلمـ
وإذا صحوتُ فما أقصر عن ندى وكما علمتِ شمائلِي وتكرمي

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل

الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنزة بن شداد العبسي من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على

شهادة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصبت المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تزكتُ بجندلاً
 هلاً سألتِ الخليل بالبنة مالكِ
 تمكو فريسته كشدق الأعلم
 إن كنتِ جاهلة بما لا تعلمي
 أخشى الوغى وأعفُ عند المنعم
 لا ممن هرباً ولا مستسلم
 ليس الكريم على القنا محرم^(١)
 والكفرُ مخبلة لنفس المنعم
 عنها ولكنى تضايق مقدي

ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحرم
 قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنزة هجيناً أمه
 أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ
 سلاحاً وصنع مهراً فأغارت طيء على عبس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع
 القوم ثم جنبهم حتى آتى من أمهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
 أباه وأمهم ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فسكر عليهم فقتل
 منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كرفيقول لا يحسن العبد
 السكر وإنما يحسن الحلب والصر يترعهم بذلك إذ كانوا قد استمبلوه فاستملجقه
 أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنزة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
 تسمى زبيبة وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنزة » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حذرَ الموتِ وإنى لفرور
 ولقد أعطفها كارهة حينَ للنفسِ من الموتِ هير
 كل ماء لك متى خلق وبكل أنا في الروع جدير

فقال « وإنى لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالفتح

(١) روى « ورشاش نافذة كاون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله «كل ما ذلك منى خلق» على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله «ولقد أجمع رجلى بها» والحال الأخرى حال الفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك منى خلق وإنما دل على اصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنها ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك وإنما الشأن في أن يمدغب إقدامه وفي قريب من ذلك قوله :

فجاشت إلى النفس أول مرة فرُدت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب للكذبة الصاماء روى لنا أبو أحمد عن العبشمى عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بنى نهد فخر جوامستر عفين بخالد بن الصعقب فجمات عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلالاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بحديث فاسمع فانما نزه هو لاء المعدية . مستر عفين أى متقدمين ، وقوله حلالاً أبا ثور أى قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :

وادهم حبيت^(١) حلبابه فيا جارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضعها فأنثت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قبل (حبيت) .

وكنت إذا ما هممتُ اعترمتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلاً

وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ماتتقضت رسائله
له نسبُ الألسيِّ يعرفُ نخله وللجنِّ منه خَلقه وشماله

وقال عبيد بن أيوب :

فله درُّ العولِ أي رفقته لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر

وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبيني وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعرف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثي وشيطاني ذكر

وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسممهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثي والذر إذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج^(١) قاصاً عن اسم بقرة بئى اسرائيل قال حنثمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الأشعري في أي كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أيماً قلتها :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حدَّ السيف من أن نضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمر ك ما أدري واني لأوجل *

حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنثمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظُهرى وما قال من شيء فهو لى وكان عبد الله بن
الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة (١) حيث يقول :

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخيراً نأبو بكر بن دريد عن الرياشى حدثنا العتبي عن أبيه قال
دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنتك؟ فقال القرآن والفرائض فقال
روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويبدل على المروءة
والشجاعة وقد رأيتى ليلة صيفين وما يحبسنى إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لى عفتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الريح

واعطائى على المكروه مالى وضربى هامة الشيخ المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

لا أدفع عن مآثر صالحات وأحمى بعد عن عرض صحيح

بنى شطب كاون الملح صاف ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشد على البكتيمة لأبالي أحتفى كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والتأني

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت مُنغمس إذا تأنى على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانقلقا

بضربة لم تكن منى محالسة ولا تعجتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن محالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بعسثر يصطادُ الرجالَ إذا ما لايثُ كذب عن أقرانه صدقا
 يطعمهم ما ارتموا حتى إذا ظعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابن محام (١) :

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد لنفسى حياةً مثل أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلؤمنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكراً أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيدش به عزيزاً أو موت بموته شر بئماً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قبيصه بجر شواء بالهصا غير منضج
 دعوت إلى مانابني فأجابني كريم من الفتيان غير مزج (٢)
 فتى بملا الشيزي (٣) ويروي سنانه وبضرب في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قائله العرب قول كعب بن مالك :
 نصلُ السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيقاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
 وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :

خطو ترى الصارمَ الهنديَّ متصراً به من المارنِ الخطيَّ متصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه ادرك الإسلام .
 (٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزي بالكسر
 خشب أسود للقصاع أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لبغسي لا يجادُ بمثالها أقلى شكوكا إننى غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبر لا يحصى له عددُ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُروعاً مالها زردُ
ناءً عن المصريح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف القتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المخدئين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أومسترخىَ الطولِ
حاط الخلافةَ سيفٌ من بنى مطر أقام قائمهُ من كان ذا ميل
سدَّ الثغورَ يزيدَ بعد ما انفرجت بقائمِ السيفِ لا بالختل والحيل
موف على مهج في يوم ذى رهجٍ كأنه أجلٌ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما يعيا الرجالُ به كالوتٍ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسوالسيوف نفوس^(١) الناكثين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يفسدو فتفسدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجل
قد عودَ الطيرِ عاداتٍ وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مرحل
إذا انتضى سيفه كانت مسالكه مسالكَ الموتِ في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفُ الخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل
كبيرهم لا تقومُ الراسياتُ له حلاً وطفلهم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سامت ولا في الدينِ من خلل

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانفر فمالك في شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل^ه
 وقوله : سلّ الخليفة سيفاً من بني مطر
 كالدهر لا ينثى عمايم^ه به
 تظلم المال والاعداء من يده
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك
 تمضى المنايا لما تمضى أسننته
 وله أيضا :

يلقي المنية في أمثال عدتها
 كالليث بل مثله الليث المصور إذا
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بلّ في مستنقع الموت رجله
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
 غدا غدوة والحمد نسج رذائه
 أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجبل :

لا أبغى الاعداء ولا أبغى الكفن^ه
 من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكن الجاش في الحرب قول البحترى :

لقد كان ذاك الجاش جاش مسلّم
 على أن ذاك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى
 لقاء اعداء^(١) أم لقاء حبايب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها
 على أرواس الاقران خمس سحائب

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحائب تجود على مؤلمين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « اعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الاصمعي أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جواريزه لا يذهب العرف بين الله والناس
وقال المحدث في معناه * ماضع عرف وان أوليته حجراً * وقال الافوه (١) :
والخير تزداد منه ما كفت (٢) به والشر يكفك منه قلما زاد
وقيل خيز من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الابرصى :
الخير يبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شعبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بمحدث عن أبي هريرة قال قال رسول
الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا
ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن
عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه
يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرئ منه فلما جلس مع القوم
ولبيد ينشدهم * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت ثم أنشد
ليبد رأس البيت * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت فأسكت القوم
ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال
ليبد ما هكذا كانت مجالسكم فقرأ رجل من قریش فلطم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الاودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكامها

وساداتها وفرسانها . (٢) وفي رواية « لقيت » .

له الوليد كنت في ذمة منيعة نخرجت منها وكننت عن الذي لقيت عينك غنيا
 فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
 فقيرة فقال ان شئت أجزتك نازية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :
 ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُّ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
 جبائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله ويغنى إذا ما أخطأته الجبائلُ
 إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ حاملُ
 وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نروحُ ونغدو لحاجاتنا وحاجةٌ من عاش لا تنقضي
 وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته
 العرب قال الناس يقولون : كل امرئ في شأنه ساعى « وأنا أقول :
 كأن مُقلاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلِّ من يلقى من الناس مذنبُ
 وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الأكرومتين فأنا يسودُ الفتى من حيثُ يسخو ويشجع
 زرعتُ رجاءً في ذراكٍ مُبكراً وحلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ
 أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سدَّ بابٌ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بأبها
 وإن قرابَ البطنِ يُغنيك ملؤه ويكفيك سواتِ الأمورِ اجتنابها
 أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوة
 فكل ماشئت يغنيك عن العذبةِ والحلوه
 وطأمن شئت يغنيك عن الخناء في الدرّوه
 فكم أنساك ماتوها هُ نيلُ الشيءِ لم تهوه

إذا مطعمٌ يوماً غزواني غزوته^١ كتاب ناس كرها واطرادها
 أمصّ نمدى والمياه كثيرة أعالج منها حضرها واكتدادها
 وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأى أن ترضى النفوس ندادها
 وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفس رغبةٌ إذا رغبتها وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع
 وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً دون ما ترضى بأذى مالك
 وذمٌّ بعضهم القناعة فقال هي خالق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
 وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا انكسر
 دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضميمٍ يرادُ به إلا الأذلّان غير الحى والوتد^٢
 هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشجُّ فلا يرى له أحد^٣

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللئيم مطّ حاجبيه وذادَ عن حريمٍ درهبيه
 فترك عنانَ البخل في يديه وقم إلى السيف^(١) وشفرتيه
 واستنزل الرزق بمضريبه إن قعد الدهرُ فقم إليه
 وقلت : سأستعطف الأيام حتى تردّنى إلى جانب منها يلين^(٢) ويسهل^(٣)
 وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى ولكنّ صونَ العرض بالحرّ أجمل
 وقال ديك الجن :

لا تقم للزمان في منزل الضيم ولا ترتبطك رقة حال
 وإذا خنت ان يراهمك العد م فعد بالثقات العوالى
 وأهن نفسك الكريمة للو ت وقحم بها على الأهوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلمعري للموت أجملُ بالحرِّ من العيشِ ضارعاً للرجال
 أى ماءٍ يجولُ في وجهك الحرِّ إذا ما امتهنتهُ بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفَ الدهرُ بأهل الندى وأهل النوال
 فقليلٌ من الورى من تراه يُرتجى أن يصونَ عرضاً بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاسترات رحلي سبيلك إن سواها سبيلي
 يرحى اليسار لها بالقول لعلّ المنية قبل القبول
 لعمر التي وعدتك الثراء بجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجملت لك غير الجميل
 سأقنى العفاف وأغنى الكمال فليس غنى النفس جودُ الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعدهُ لدمّ البخيل
 وأعلمُ أن بنات الرجاء تحلُّ العزيرَ محلَّ الذليل
 وأن ليس مستغنياً بالكثير من ليس مستغنياً بالقليل

قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيت نبي الشعر . وقال البصير :
 قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهي فلم أفلح ولم أكدي
 لا تجمعوا اب تهبونني وأكرمكم ولا تمدوا إلى نيل اللثام يدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم في يومكم لغسد
 فرب ملتسٍ ما ليس يُدركهُ ومدركٌ ما مئى غير محتمد
 أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فنهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) في الأصل «ابن المعتزل» . (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة .

فقالوا الرقيهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزاره ولا بأس ثم رأوا غيرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنفلق من صخر قال تلك عيس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرجِ اللَّوَى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغدِ
فلذا عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزيرةٍ إن غوت غويتُ وإن ترشُد غزيرةٍ أرشُد

وأسر دريد ثم نجح ففزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بمواقفة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة وروي غيره :

وذى ودٍّ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سمعياً
أطافَ بفيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الأمرِ الفظيعاً
أردتُ رشادَهُ جَهدي فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً

وأشهدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزى :
تنخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غيرِ طائقٍ للنصيحِ ولاهشُ
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسمتُهُ من زورِ قولٍ ومن غشُ
وقال آخر :

ألم تعلمي يا ابني رجاجةَ أنى أغشُ إذا ما النصحُ لم يُقبل

ومن جيد ما قيل في النصيحة قول نخيس بن أرطاة :

عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصحُ مرُّ
ومابى أن أكونَ أعيبِ يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاقِ برُّ
ولكن قد أتانى أن يحيى يُقالُ عليه في نقعاء شرُّ

فقلت له تجنب كل شيء يُقال عليك إن الحرَّ حرٌّ
ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :
إن أخا الصدق الذي إن يخذلك ومن يضرُّ نفسه لينفعك
ومن إذا صرفُ زمانٍ صدعك شدتَ شملاً نفسه ليجمعك
وإن غدوتَ ظالماً غدا معك

فَسَرُّهُ يَكْفِيكَ عَنِ الظَّمِّ ، وِلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَى الأَيَاتِ لَا يَتَضَيِّعُهُ وَأَمَّا
أَرَادَ أَنَّهُ يَمَآؤُنكَ عَلَى الظَّمِّ عَلَى حَسَبِ مَاقَالِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِيعةَ « رَكِبْنَاهَا جَمِيعاً »
وَقَالَ ابْنُ مِيَارَةَ فِي النِّصِيحَةِ :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزم فقلت هشيمةُ من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قریش على محبوبكةِ الأصلابِ جرد
ووجداً ما وجدتُ على رباح وما أغنيت شيئاً غير وحدى
وقال العباس بن جرير :

إِرْعَ الاخَاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيت منافساً في نيل مكرمة فكنه
إن الصديق هو الذي يراك حين تقيب عنه
وإذا كشفت غطاءه أحدث ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا انتضا ه أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسعي له كرماً وإن لم تستمنه

ومن أبلغ ما قيل في إرضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من صحبة زيد أربي فتي إذا نهته لم يعضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرض بالمتاع المحب
موكل النفس بحفظ النيب أقصى رفيقين له كالاقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكركم ما لم يبدل لساجد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلِ ما لم يحمل فمزَّ في عينيَ حينَ ذلَّ لي
إن جمالَ الحرِّ في التجميل وقد يكونُ العرُّ في التذلل
والمجد شهد يجتني من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يلوئمك إن ولي ويرضيك مُقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أعضلاً
أبلغ ما قيل في النائي وأجوده وأشده اختصاراً ما أنشدناه أبو أحمد للرار القمعي :
تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إن هذا الدينَ مسَّينٌ فأوغل فيه
يرفقي فإنَّ المنبتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى » وتقول العرب شر السير
الحقيقة ، وهي شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطَّ بها كوار خوص لو اغب يقلُّ إكثار الذميل ذميلها
نقض عبرة حلَّ الفراق عقالها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متميم على الدار يسقى ظلمن طولها
ومن المشهور في النائي قول القطامي :
قد يُدركُ النائي بعض حاجته وقد يكونُ مع المستعجل الزائل
وقال غيره :

ومستعجل والمكث أدنى لرشد ولم يدر ما يلقاه حين يُبادر
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لسكان متكافراً مردوداً وكثيراً ما يقع « كل » في
الشعر قلق المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

فبالأمني دعني أغالي بيمتي فقيمة كلِّ الناس ما يحسنونه

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلمتُ عُتْبَةً أنى منها على أجل مطل
وشكوتُ ما ألقى اليأسها والمدامعُ تستهل
حتى إذا برمتُ بما أشكوكا يشكو الأذل
قالت فأى الناسِ تمسرفُ ما تقولُ فقلتُ كل
ومن الذى يهوى فلا يزأهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فطبعوعٌ ومسموعٌ
ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريثُ

وأول الأبيات :

رأتنا أم عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظره زرى
إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريثُ
سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلجُ بختري
وانى حين تختلفُ^(١) العوالى الى الابطال أكيس قسورى
كلبنى للندى والبأسِ انى بكل بسالة وندى حرى

ومثله قول الآخر :

زنى القوم حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر ثقله) معناه اختر من شئت تجرد دون ما ظنه فيه

وتطلع على ما نكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) في الأصل «يختلف».

دعني الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلقتم ما توسمته وقل حميد على التجربه
 وكم لمة خلتها روضة فأفيتها دمنة معشبه
 ظاهتكم لا تطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عفى على الحساب مع الحسبه
 فهل تعذروني كعذرتكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذرتكم بعذر فلا معتبته

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر : لا تحمدن امرأ حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد « الشكر كفضو النعمة » ولا أطرف من قول البحتري « الشكر نسيم النعمة » وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد وقيمة المارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حريم ما عنسه للركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل لإغاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منة على المرء إلا منة الشكر أثقل
 فن شكر المعروف يوماً فقد أتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عمل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

(١) في نسخة « حسن » مكان « جنس »

سميتُ ابتغاءَ الشكرِ فيما صنعتُ بي فقصرت مغلوباً وإني لشاكر
 قوله وإني لشاكر مع قوله مغلوباً بحسن الموقع ، وهو مأخوذ من قول الآخر :
 فراق حبيب لم يبين وهو بانٌّ
 لأنك توليني الجميلَ بداهةً
 فأرجعُ مغبوطاً وترجعُ بالتي
 وقول الآخر :

ولو أن لي في كلِّ منبتِ شعرةٍ
 وقلوبٍ دعبيل :

هجرتك لاعتن جنوةً ومسالمةً
 وليكني لما أتيتك راغباً
 فلان^(١) لا آتيك إلا معذراً
 فان زدت في برى ترايدت جنوةً
 ولا لقلبي أبطأت عنك أبا بكر
 فأفرطت في برى عجزت عن الشكر
 أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر
 فلا نلتني^(٢) حتى القيامة والحشر
 وقول أبي نواس :

قد قلتُ للعباسِ مُعتذراً
 أنت امرؤٌ قلدتني نعماً
 لا تسدينَّ إلى عارِفةً
 من ضعفِ شكريه ومعتزفاً
 أوهت قواي شكري وقد ضعفاً
 حتى أقومَ بشكر ما سلما

وهو أول من أتى بهذا المعنى إلا أنه عبر عنه عبارةً طويلةً ، وأحد أدواء
 الكلام فضل ألفاظه على معانيه . وقال البحترى :

ها تيك أخلاقُ اسماعيل في تعب
 أدابت شكري فأمسى منك في نصب
 لا أقبلُ الدهرَ نيلاً لا يقومُ له
 لما سألتك وإفاني نذاك على
 من العلاء والعلاء منهن في تعب
 أقصر فإلى في جدواك من أرب
 شكري ولو كان مسديه إلى أبي
 أضعاف شكري فلم أظفر ولم أخب

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءهُ باحُ شكري
وآسى أن تطولَ يداى منهُ
كان ندى يديه عناقُ بين
لهجتُ بذكره لا بينَ عنه
حناني ثقله ولو أنَّ قوساً
تلقى منكبيَّ لما حناني
وها أنا منه منتقرٌ وغاب
وقلي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحترى :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشةٌ
أخجلتني بندى يديك فسودت
وقطعتني بالجودِ حتى أني
صلةٌ غدت في الناس وهي قطيعةٌ
ليواصلنك ركبُ شعري سائر
حتى يتم لك الثناء مخلداً
ففظلُ تحسدك الملوكُ الصيدِ بي

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرني سوء رأيك في فما أهتدي
لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تفضطنى من حسن رأيك
فأضوى ولا نسقطنى عن حيطتك فأورى . وقريب من المعنى الأول قول البحترى :

منُ معيني منكم على ابنِ فراتٍ ومكافاةٍ ما أنالَ واسدى
كلما قلتُ أطلقُ الشكرُ رقى رجعتنى لهُ أياديهِ عبداً

سمعت عم أبي يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسار: ما أدري الغمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عنى فجعل ما منعه
نعمة والناس يجمأونه بحنة ونعمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاقة إلى طولك فليست لي طاقة بما جئته من برك وما أجد لنفسى معقلا ولا أعرف لها متملا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فخير نقيصته بالاعتراف والتقصير واعتماد من شكره على تصريف المآذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيداً والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل حارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بمهارة الجاد وتكفل برفع القدر وضمن أعماله الأواباء وكتب الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جرده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فنصور لي الغناء بصورته وقابلني بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتي خطواته وهذه نعم أعيا يذكرها فكيف أطمع في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بمقوق الأنواء إذا تحلى بيوافقت الأنوار والآية النداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا البرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فذفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حياً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بالٍ وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك للشكلان والنضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظلم ومن زرع سبخة حصد النقر إني والله لما علمت أن هذا يكتنم المعروف بالفعل ما حفلت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأنتموا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أننت عليك الحقايب
ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكياء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيح بما أوليت من حسن وكل ما تدعيه غير مردود
كلى هجاء وقتلى لا يحل لكم فما يداويكم منى سوى الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجرى في باب الشكر وهو من أبداع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
نشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

وأتى وان أحسنت في القول مرة فمك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت غصناً من حناي لغارسي
أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :

لا تُنكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جل وعز يشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه
وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكام ضخمة غادرت فيها ماملكت قتيلا
فرايت أكثر من بلدك من الهوى نزرأ وأصغر ما شكرت جزيلا
وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرتُ عنك الى الرجا ل فكانَ عرفهمُ كُنكركَ
ورجمتُ من كُتب اليـسـك مفرغاً نفسى لِشكركَ
ولما أروم بما أقو ل زيادةً في رفع ذكركَ
لكنه حق أو فسيه عوانك بعد بكركَ

كم نعمة لك ملء فكسرى لا تلاحظها بفكرك
 (أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
 أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقولُ أراهُ بعدَ عروة لاهياً وذلك رزءٌ لو علمت جليل
 فلا تحسبي أني تناسيتُ عهدهُ ولكنَّ صبري يا أميمٌ جميل
 وبعده: ألم تعلمي ان قد تفرقَ قبلنا خليلاً صفاء مالك وعقيل

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب:

وتجلدى للشامتين أريهمُ أني لربِّ الدهرِ لا أتضعمُ
 حتي كآني للحوادثِ مروءةً بصفا المشرِّ كل يومٍ تفرعُ
 وقوله: وإني صبرتُ النفسَ بعدَ ابنِ عنبس وقد لُجَّ من ماء الشؤونِ لجوجُ
 لأحسبَ جلدأً أولينبأ شامتُ وللشرِّ بعدَ القارحاتِ فروجُ

وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب

رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي:

أرى الصبرَ محموداً وفيه مذاهبُ فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
 هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبُ وما كان منه كالضرورةٍ أوجبُ
 فشدَّ امرؤُ بالصبرِ كفاً فإنه له عصمةٌ أسبابها لا تقضبُ
 هو المهربُ المنجى لمن أهدت به مكارهٌ دهرٍ ليس عنهنَّ مهربُ
 لبوسُ جلالِ جنةٍ من شماتةٍ شفاءُ أسى يثنى به ويشوبُ
 فيأعجباً للشيءِ هذى خلالهُ وتاركُ ما فيه من الحظِّ أعجبُ
 وقد يتظنِّي الناسُ أن أساهمُ وصبرهمُ فيه طباعُ مركبُ
 وانهما ليسا كشيءٍ مصرفٍ بصرفه ذو نكبةٍ حين ينكبُ
 فان شاء أن يأسى أطاعَ له الأسي وان شاء صبراً جاءه الصبرُ يجلبُ

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو، أسلم وعاش إلى زمن عمر.

وليس كما ظنوها بل كلاهما
 يصرفه المختار منها فتارة
 إذا احتج بحجج على النفس لم يكده
 وساعدها الصبر الجليل فأقبات
 وإن هو مناها الأباطيل لم تزل
 فتضحى جزوعاً أن أصابت مُصيبة
 فلا يهزرن التارك الصبر نفسه
 ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواء له
 فاستشف منه بصفح أو معاتبة
 واجعل طلابك بالأوتار ما عظمت
 ثم قال بمدحه :

وخبرٌ سجات الرجال سجيةٌ
 وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى
 فحيت ترى حقدًا على ذى أساءة
 ولولا الحقد المستكنات لم يكن

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
 الخبير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تسكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
 عم أبي يقول : الصبر شمرية ثمرارية^(١) وقال * نفرج أيام الكربة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدي على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد . وقلت :

قالوا صبرت وما صبرت جلادةً نكن لقلّة حيلتي أنصبر
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجلد وذلك أنهما يجلدان
 الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب « أصبر من ذى
 ضاغط » وهو أن يضغط موضع الأبط أصل السكر كرة حتى يد ميه . ويقولون :
 أصبر من عود بجنيبه جلب قد أثر البطان فيه والحقب
 قاله جابجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عيينة بن حصن :
 أصبر من ذى ضاغطٍ مُعَرَّكٍ ألقى يوانى صدره للمبرك
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف واليبس . وقالوا حيلة من
 لاحيلة له الصبر . وسمعت والدى يقول لعن الله الصبر فإن مضرت حاجلة ومنفعت
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في الامتابة ولعلها تفوتك
 عارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمت
 بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تجبه صبرٌ ونفعٌ من لامٍ في الهوى ضرر
 من كان دون المرادِ مُصطبراً فلستُ دون المرادِ أصطبر
 منفعة الصبرِ غيرُ حاجلةٍ وربما حالَ دُونها الغير
 فقم بنا نلتمس ما رينا أقامَ أولم يقم بنا القدر
 ان لنا أنفساً تسودنا اعانهن ^(١) الزمان أويذر
 وابغ من العيشِ ما تسرُّ به ان عدل الناس فيه أوعذروا

وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعتها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الحلم
 دليل عزيز وذلك أن صورة الحلم صورة الدليل الذي لا انتصار له واحتمال السفه
 والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحلم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الانتصاف منه . وقال الأول :

(١) في الاصل « اعانهن من » ولعل « من » زائدة .

وليس يتمُّ الحلمُ للمرءِ راضياً إذا كان عندَ السخطِ لا يتحلمُ
كما لا يتمُّ الجودُ للمرءِ موسراً إذا كان عندَ العسرِ لا يتكرمُ

ولهذا قال شيخ من الأعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي تبصر عليه وقال الشاعر
لن يدركَ المجدَ أقوامٌ وإن كرموا حتى يندلوا وإن عزوا لا أقوام
ويشتموا فترى الألوانُ مسفرةً لاصفح ذلٌّ ولكن صفح أحلام
وسمعته يقول الحلم عقاب الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انتقطع
عنه أسبابها وإن أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :

وتخرج نفس المرء عن وقع شتمه ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر
ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله أنى لأرفع نفسي أن
يكون ذنب أورثه من حامي وماغضبي على من أملاك أو ماغضبي على من لأملك .
يريد أنى إذا كنت مالكا للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم أزم نفسي
الغضب وإن لم أكن أملاكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
ولأضره . وقال الشاعر في الحلم والأغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :

مغض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبي فقال له إن كنت صادقاً ففخر الله لي وإن كنت كاذباً
ففخر الله لك . وهذا أعجب ماجاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سأزوم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي مثلي فاب زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالعز حاكم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم

فسم هذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روى في الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن أخ له كتيماً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض جبهوته فلما فرغ من حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم القتيل فاعظمها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤ لا يعترى خُلُقي دَنَسٌ يغيرُهُ ولا أفنُ
من منقر في بيت مَكْرَمَةٍ والفرع يَبْتُ فوقهُ العِصنُ
خطباء حين يقول قائلهم بيضُ الوجوه مصاقع لسنُ
لا يفظنون لعيب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطنُ

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة (١) :

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهمُ وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلاماً قال المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسانُ إلا ليعلمها
ومن أشرفِ نعوتِ الانسانِ أن يدعى حليماً لأنه لا يدهاه حتى يكون عاقلاً
وعالماً ومصطبراً محتسباً وعبوداً وصالحاً ومحتماً وكافماً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرائم السجايا والخصال . وقد خولف هؤلاء فقيل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبح الجهل بالفتي وللحلم أحياناً من الجهل أقبحُ
إذا كان حلم المرء عوناً عدوه عليه فإن الجهل أعنى وأروحُ
وقال غيره :

قليل الأذى إلا عن القرن في الوغى كثير الأيادي واسع الذرع بالفضل
ويحلم ما لم يجب الحلم ذلةً ويجهل ما شدت قوى الحلم بالجهل
وقال غيره :

(١) في النسخ «حفص» في مواضع .

ترفعتُ عن شتم العشيبة انى رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى
 حلِيمٌ إذا ما الحلمُ كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره: * إذا الحلمُ ينفعك فالجهلُ أحزم * وقالوا ليس شيء خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم: لو أن المسىء لى عبد لأخ لى رأيتُ تعفده والصفح عنه
 إجلالاً لقد مر مولاه واعظاماً لى صاحبهِ فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .
 وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفكُ من سعدِ الينا قطوعُ الرحمِ بادية^(١) الأديم
 ونفقرها كأن لم يفعلوها وطولُ العفو أدرُبُ^(٢) للظاوم

أجود ما قيل فى المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابى حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمى قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله فى
 أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها فى أبى مسلم أو لها:

أبا جعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ
 على الملكِ الجبارِ يقتحمُ الردى ويصرُّه فى المأزقِ المتلاحمِ
 كأنك لم تسمعِ بقتلِ متوجِّعٍ عظيمٍ ولم تعلمِ بهلكِ الأُحاجمِ
 تقسمُ كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلامِ نائمٍ
 وقد ترد الأيامُ عزاً وربما وردن كلوماً بادياتِ الكشائمِ
 ومروانٌ قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليلِ الجرائمِ
 وأصبحت تجرى سادراني طريقهم ولا تبقى أشباه تلك المقائمِ
 تجردت للإسلامِ تعفو رسومه وتغرى مطايا ليوثِ الضراغمِ
 فازلت حتى استنصر الدينُ أهله عليك فما ذوا بالسيوفِ الصوارمِ

لحى الله قوماً رأسوك عليهم
أقول لبسام عليه جلالة
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
سراج لعين المستضىء وتارة
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
ولا تجعل الشورى عليك غصاصة
وما خير كف أمسك العنق اختها
وخل الهوين للضعيف ولا تسكن
وحارب إذا لم تعط إلا ظالمة

هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأذن على الشورى المقرب نفسه
فإنك لا تستطرد الهيم بالني
وما قارع الأقوام مثل مشيع
أريب ولا جلى العمى مثل ظالم

وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجحى قال سمعت المازنى يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميبية بشار هذه أحب إلى من ميميتى جرير والفرزدق . وقيل لبشار ما أحسن أبيانك فى المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بشمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه فقيل له هذا والله أحسن من شمرى . ومن الأفراد التى لاشبيه لها قول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا اتكبر على وتصاغر له ودختنى الذلة فعليك بالاستبداد فإن صاحبه جليل فى العيون مهيب فى الصدور فاذا انفتحت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير . وما عز سلطان إمام يفنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاائه . فدم المشورة كاترى وهى ممدوحة بكل لسان . وقال رومى لفارسى نحن لأنماك من يشاور فقال الفارسى نحن لأنماك من

لا يشاور ، وقد أجمع الناس ان الفرس أعتل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت مللت . ويقولون
الطمع طبع ، والطبع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمع يدعو إلى طبع وُغمةٌ من قوام العيش تكفيني
والغمةُ القوت وأصلها الغارة^(١) وسميت بذلك لأنها قوت لاسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطننة^(٢) :

الأمي عميرة أن رأني عزفت النفس عما لم ينالا
أحزم كلمة سمعناها عن العرب قوالمهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلتقي ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلهلك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قوالمهم « لا يرسل الساق إلا
مسكاً ساقاً » أي لا يترك معتمداً إلا اذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أني أتيج لها حرباء تنضبة^(٣) لا يرسل الساق إلا مسكاً ساقاً
أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومخرقٌ عنه القميص تخالهُ بين البيوتِ من الحياءِ سقياً
حتى إذا رفعَ اللواءَ رأيتهُ تحت اللواءِ على الخنيسِ زعيماً
أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناقِ والقمم
إذا غدا المسكُ يجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض السكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٣ وأصيبت عينه فجعل
عليها قطننة فعرف بها . وفي الاصل (ثابت بن فطنه) .

(٣) في أمثال الميداني « بات بأشوس من حرباء تنضبة »

وقال غيره :

كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حيائِهِ ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوانُ
وكالسيفِ إن لا بنته لأن مسه ووداه إن خاشته خشانُ

وقال أبو دهبيل :

تزدُّ السلامِ من الحياءِ تخالهُ صمتاً وليس بجسمه مقيم
عقمَ النساءِ فلا يلدن شبيهه إن النساءَ بمثله عقم
غيره : أنى كأنى أرى من لحياء له ولا أمانةً بين الناسِ عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والخبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الأول :

ومالبُّ اللبيبِ بغيرِ حظ بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيتُ الحظَّ يسترُّ عيبَ قومٍ وهيباتَ الحظوظِ من العقول
والعرب تقول «أسع بجِدِّ أودع» .

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاءُ أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورماً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطاع إلى مال الغير كما أنها إذا ضاقت
وحرصت ناقت إلى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياها السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتنزه عنه مالُ

وما أحسب أنى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقالت :

ألا إنَّ القناعةَ خيرُ مال لدى كريمٍ يروحُ بغيرِ مال
وان تصبر فإنَّ الصبرَ أولى بمن عثرت به نوبُ الليالي
تجمل إن هليت بسوءِ حال فإن من التجملِ حسنِ حالِ

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأي والفظنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الأمي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا يذتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضي الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت مارأيت . وقلت :

أما نك مصروف إلى كل راهبٍ وسيدك موقوفٌ على كل راغبٍ
تباشرت الدنيا بجدِّ والكَ واكتفت فلم تتباشر بالغيوثِ الصوائبِ
تبسم منكَ الدهرُ عن زائنٍ (١) له وعين عليه في اختلافِ النوائبِ
بصيرٌ له دون العواقبِ فـكـرٌ تكشف عن رأى وراء العواقبِ
ليشكركَ بجدِّ لا تزال تحوطه ونجميه بالنصلين عزمٍ وقاضبِ
كأنى إذا أمسكتُ منك بعُروةٍ أخذت باهدابِ الغيومِ السواكبِ

وليس في المضاء والعزيمة أجود من قول أبي تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تفحمها فأودى وخان بالادّه الزمن الخؤون
وكان على الفتي الاقدام فيها وليس عايه ماجنت المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذي به يُصان رداء الملك من كل جانب
بأنك لما استخذل الأمر (٢) واكتسى اهابي سيفي في وجوه التجارب
تجلته بالرأى حتى أريتسه به ملء عينيه مكان العواقبِ
سلت له سيفين رأياً ومنصلاً وكلُّ لنجمٍ في الدجنسة ثاقبِ
وكنت متى تهزز لخطب تعشه (٣) ضرائب أمضى من رفاق المضاربِ
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالقنا والقنابلِ

(١) في هامش النسخة (راقب له) إشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) في الديوان (النصر) . (٣) في الأصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتابان السر قول الأول :

تلاقت حيازي (١) على قلب حازم
أواخي رجالاً لست أطلعُ بمضموم (٢)
وقال الآخر : سأ كتبه سري وأحفظُ سره
علم فينسى أوجهول يذيعه
والمثل السائر :

إذا ضاق صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسه
فصدرُ الذي يستودع السرَّ أضيقُ
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :
وأفضلُ قسمِ الله للمرءِ عقله
إذا كلَّ الرحمنُ للمرءِ عقله
يميشُ الفتي بالعقل في الناسِ انه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتي في الناسِ صحة عقله
ويزري الفتي (٤) في الناسِ قلةُ عقله
ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقيرِ أوضعَ للفسي
ولم أرَ منَ عديمِ أضرَّ على الفسي
إذا طاشَ بينَ الناسِ منعدمُ (٥) العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه (٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حياذي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسمة) . (٤) سقط « الفتي » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل الروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المسال ما قضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعاهم أعلى ما فيها فضر بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمية وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرقي من ابن تقي وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحمق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصغدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حمام دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق ويحرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسداً دبه ، وقال له عبد الملك ان الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حمود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بخدا فيره وجمعه بزوره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بعيب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدبٍ لا نضاف مال إلى علمي وآدائي
 تمَّ جاهي عند الناسِ كأنهم وطابَ عيشي في أهلي وأصحابي
 عز الكمالُ فلا يحظى به أحدٌ فكلُّ خلقٍ وإن لم يدرِ ذو طاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مفرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعرافه يجرى المذكى وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل على رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيتك يلبس السكتان في الصيف والنظن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القبر . وما قيل في علامة الماقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة الماقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً لسانه مقبلاً على شأنه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . وما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمناسبة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتُ عمراً بعضَ ما في جوانحي وجرعتهُ من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدُّ من شكوى إلى ذى حفيظة إذا جملت أسرارُ نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :
إذا ضيعت أول كل أمر أبت اعجازهُ إلا التواءُ
وإن حامت أمرك كلَّ وغد^(٢) ضعيف كان أمرٌ كما سواءُ
وإن داويت دنيا بالتناسى وبالبيان أخطأت الدواءُ
وقال الأعمى :

إذا حاجةٌ ولتلك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنالَ جسيمها وللتصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو غيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يفضى حياءً ويفضي من مهابته فما يكلمُ إلا حين يبتسمُ
جعلهُ مهيباً في السكون والاغضاء ولو جعلهُ مهيباً مع الصولة والبطش لمساكن

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق كافي القاموس .

(٢) في الأصل «رغد» .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يرجعُ هيمَةً والسائلونَ نواكسُ الأذقان
هدى التقى وعزُّ سلطانِ النهي وهو المهيَّبُ وليس ذا سلطان

ومن أحسن تشبيهه جاء في الهيمية قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب تسكن جوارحه فكأن على رأسه طائرًا يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :

أضمرُ في القلبِ عتاباً له فان بدا أنسيتُ من هيئته

ومثل هذا في النسيب كثير وشبيهه قول الأول :

أهاؤك إجلالاً وما بك فُدرَةٌ على ولسكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفسُ أنك عندها قليلٌ ولأن قلَّ منك نصيبها

لأترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبانغ ولعلك لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيمية تملأ الصدر . وقال

وتملأ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومي :

في فنيةٍ من ولد المنصورِ أملاً للعين من البدورِ

وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفجا * وقد أجاد أبو تمام في صفة

الهيمية والخافة فقال :

نبتُ المقامِ يرى القبيلةَ واحداً ويُسرى فتحسبهُ القبيلُ قبيلاً
وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هيمَةً ^(١) بطلت لديها سورةُ الأبطال

لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدوتُ وحيداً ووحيد في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزِّ يملو قبائلاً
وواحدكم في المجدِ يكثر ممشراً
وقال الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي العمرة :

شدهً الخطامَ بأنفِ كلِّ مخالفٍ حتى استقامَ له الذي لم يخطم
لا يصلح الساطان إلا هيبه تلقى البريء بفضلِ جرم المجرم
منعت مهايتك النفوسَ حديثها بالشئ تكرهه وإن لم تعلم
ونجحت من حزم السياسة منهجاً فهمت مذاهبه الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد :

وأثبت حياً في الحروب محاهم والجيش باسم أبيهم يستهزم
يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
نبيك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالدينية السمير
لقوا مثاهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيفاً والجياد بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهباً وحربك يلتظي لها
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهرباً
فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تحشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .

ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عمِّ محمد رصدان ضوء الصبح والاطلام
فاذا تنبه رعته وإذا غفا (١) سلت عليه سيوفك الاحلام
فمنقله أبو نواس إلى غزل فقال :
قاسيت فيه الهموم والأطما وصرت فيه بين الورى علمسا
أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمت كأن لي حلما

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كاه قول النبي ﷺ « نصرت بالزُّعب » وما وصف أحد هيبة صاحب السلطان اذا بدا كما وصفها البحترى في قوله :

اذا ماشى بين الصفوف تقاصرت
يقومون من بُعد اذا أبصروا به
ويدعون بالاسماءِ مثني وموحداً
وان سار كفاً الاحظ عن كل منظر
فاست ترى إلا إفاضة شاخص
وقوله: تراءوك من أقصى السماط فقصروا
ولما قضوا صدر السلام تهافتوا
إذا أسرعوا في خطبة قطعهم
اذا نكسوا أبصارهم من مسابة

رؤس الرجال عن أشم سميدع
لأبلج موقور الجلالة أروع
اذا حضروا باب الرواق المرفع
سواء وغض الصوت عن كل مسمع
اليه بعين أو مشير بأصبع
خطاهم وقد جازوا الستور وهم عجل
على يد بسام سحبتهم رسل
جلالة طلق الوجه جانبه السهل
ومالوا بلحظ خلت انهم قبل

وقال أبو بكر الصولى وهو من البليغ :

اذا ما بدا والقوم فوق سرورهم
تناثرت الاشراف منهم على الارض
وقال البحترى :

ومبجل وسط الرجال خفوفهم
فالله يكاؤه لنا ويحوطه
لقيامه وقيامهم لعوده
ويعزه ويزيد في تأييده

أبلغ ما جاء في وصف العالم قول على رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرىء ما يحسنه .
وشد به بعضهم فقال : قيمة كل امرىء عليه .

ولأعرف في مدح العالم وعد خصاله أبلغ من كلامه رضى الله تعالى عنه خاطب به
كميل بن زياد أئبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن الزيدانى حدثنا على بن حكيم الاخرى حدثنا الربيع بن عبد الله المدنى حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن على عن آباءه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي على
رضى الله تعالى عنه فلما أصحرتنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم جرعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تكسب به الطاعة في حياتك وجميل الاحدثة بمد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة هاه ان ههنا لعلماً جاً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً^(١) غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لخملة الحق لا بصيرة له في اجنائه فيقدح الشك في قلبه عند أول حارص من شبهة ، أو لا ذا ولا ذا فهموم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين أقرب شياً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهر وإما خائف لئلا تبطل حجة الله وتبينه وتم وأين أولئك الأتقون عدداً الأعظمون قدراً بهم يحنظ الله تعالى حججه حتى يودعها أسمع نظراتهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعده المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صبجوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه هاه شوقاً الى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت بسفينتك سبوح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالقرب... حجة إنها فخر المسكار

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضته صحف الضمائر » كان

أجود ، وقال غيره :

استودع العلم قرطاساً فضيعةً وبئس مستودع العلم القراطيسُ
وقلت : نقل غناء عن جهولٍ مغر دفاتر تلتقى في الظروف وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضيعةٍ وكأئن رأينا من نفيسٍ يضييعُ
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لعمى ولم يثن اللسان على مُهجر
بصرني بالقول اللسان كما اتجى وينظرُ في إعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خبيراً في حشو الكلا م إذا اهتديت إلى عيوبه

وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغيير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

وبعجبني زى الفسى وجماله ويسقط من عيني ساعةً يلحنُ
على أن للأعرابِ حداً ورُبما سمعت من الأعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنبارى عن أبيه :

شفاء العي في طول السؤال وعدلك في المقال وفي الغمال
وبحثك في الأمور عن المعاني وتخريج المقال من المقال
وقولك بالصواب إذا أنارت شواهدهُ ورفضك للجدال
وصمتك حين تسمع من حكيم ليفهمك الصحيح من المحال

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العملي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومزيرد الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرق المودة وحاصد يذهب بالضعفين ومُله بوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس للنجم كالقمر أنك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا بباب الأوزاعي وفينا اعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم فقبل له بحق ما سميت خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان يسكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني اسماعيل

ابن عبید اللہ قال قال جدی : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام الا بیقظة ولا يقظة إلا ببنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعدد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى ماترى . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه ، وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الاثم أخبرني عن الزبير بن بدر فقال مطاع في أذنيه شديد المعارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبير قال : إنه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنك حسدني . فقال عمرو : أما والله يارسول الله انه لزم المروءة ضيق العطن أحق الوالد نعيم الخال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقنت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وإنما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأوا وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل في باب ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد الباهلي قال . وسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب . قال دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له ما تقول في أخوالي قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شياً وأطعمهم طعاماً وأوفاهم ذمياً وأبدهم همأهم الخجرة في الحرب والرغد في الجذب
والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة المعجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت
فزاد أخواله في الفخر فغضب أبو العباس لاعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى
أحوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من
بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم
امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت
عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع
معانيهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً
فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل
المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأي جسد بلغ المسازح
ومثله : صارَ جسداً ما فرحت به رُبَّ جدٍ جرّة لعب
وقالت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه

أجود ما قيل في التظاهر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري يوصي ولده وقومه
وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وما بينته وقال
يا بني أوصيكم بتقوى الله وليمطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق
الكبير . وأكرموا مسلة بن عبد الملك فانه نابكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي
به تستجبرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن
يوسف فانه الذي وطأ لكم المغابر وذل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظاهر
وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذات البين طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يمدد
حتى تلين . جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أسيد
 عزت ولم تُكسر وإن هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر مائتان فان كان في نفوسكما شيء من بيمة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئتما قالوا بل رضينا أكل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلنا لما قبلي ثم رفع طرف فراشه فإذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لأعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نمل الأمة الوعكاء شمر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكننا وهل بالموت بالناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي بأصغير هلاك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكن بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتظير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال النهمي :

إذا سيدنا منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم
 فسمع مسألة الصبيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في ممره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضاوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم الذابغة وقال بعضهم
 الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلتُ أظنارَ ضمتهِ
 إذا سُمتُهُ وصلَ القرايةِ سامني
 وأسعى لسكى أبني وبهدمِ مصالحي
 يحاولُ ورغبي لا يحاولُ غيرهُ
 فإن أتتصر منه أكن مثلَ رائس
 فيبادر مني النأى والمرءُ قادرُ
 فإن أعفُ عنه أغض جفناً على القذى
 حنظتُ الذي قد كان بيني وبينه
 فما زلتُ في زين له وتعطف
 لأستل منه الضغنَ حتى سلانته
 بجلحى عنه وهو ليس له حلمُ
 قطيعتها تلك السفاهةُ والظلمُ
 وليس الذي بيني كمن شأنه الهدمُ
 وكلوتِ عندي أن ينالَ له رغمُ
 سهامِ عدوٍ يستهاضُ بها العظمُ
 على سقمه مادامَ في كفه السهمُ
 وليس له بالصفح عن ذنبه علمُ
 وهل يستوى حرب الأُقاربِ والسلمِ
 عليه كما تحنر على الولدِ الأمُ
 وإن كان ذا ضغنٍ بضيقٍ به الحزمُ
 فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الآيات فما أحسنها وأرضاها قال معن

ابن أوس المزني .

ومن أجمع ما قيل في المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرني
 عم أبي عن أبيه قال قال العتابي كنت واقفاً بباب المأمون أتتظن من يستأذنه لي
 فأقبل يحيى بن أكرم فقامت إليه فقلت استأذن لي على أمير المؤمنين فقال ليست
 بحاجب فقلت وليكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت في غير سبيل قلت
 إن الله قد أنعم بك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة إن شكرت وبالانقصان إن كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو إلى ازدياد نعمتك وتأبى علي وليكل
 شيء زكاة وزكاة الجاه رُفد المستعِين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فقامت ودخلت فما لبثت أن خرج
 الحاجب يسأل عني فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ على بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وجمهر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ما أضعاه جيود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وسره فاذا جعلته هنأته وإذا صغرت عظمته وإذا سترته تمتته إن بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناؤه ونغره فهما أتيت من معروف فأما أتيت لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفأ وأنف المعروف السراح . نخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أنتم » فقالوا نتذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وإن كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كاثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تبتهج الزموس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نعيمها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وإدخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الإخوان فيها فافتجعمتك وأنا بآتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحى من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبداً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسره	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكبرت أن تعطى القليل ولم	تقدر على سعة لم يظهر الجود

بت النوال ولا ينعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى يمث إليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ماجاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثل المعلى	وجدت عدوك التربُّ الذليل
رأيت المطل ميداناً طويلاً	يروضُ طباعه فيه البخيل
فما هذا المطل فدتك نفسى	وباعك بالندى باع طويل
أظنك حين تقدر لي نوالاً	يقولُ لبيدك لي منه الجزيل
فلا تقدر بقدرك لي نوالاً	ولا تقدرى فيحقر ماتنيل
وأطلق ماتهم به عساه	كفانى أيها الرجل النزيل
وإلا فالسلام عليك منى	نبت دار فاسرع بي الرحيل
إذا ضاقت على أمل بلاد	فما سدت على عزم سبيل

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقر الرجال ولا الغنى ولكنهُ خيمُ الرجال وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلابي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر ذونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قد أمرت
لك بها وشفعتك لك بمثلها فقال أما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيتهك مؤنة السؤال ؟ قال لا في رأيت الذي
أخذت مني بمسألتى إياك بوجهي أكثر مما نالني من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحجرتك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بي إلا قبلتم أقبليها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقبل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل
ومى ذل المسألة وحيرة الطالب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متي
يكون البليغ عيباً قال إذا سألت حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحمول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأنني أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لأنني أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فانك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنت بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجة أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمِّي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نعم العبد إنه أواب)
ووصف من مقته فقال (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِتَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلشَّخِيرِ مُعْتَدٍ
أَتِيمٍ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ) فذم قوله وفعله وطاب شيمته وخلقه وهتك
بالشتم عرضه وسود بالذم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميمة الفعال ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العفدى عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراق جميل خير من صُحبة على دَخْنٍ » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ماجاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تريدين كما تجعيني وخالداً وهل يُجمعُ السيفان ويحك في غمد

يقول لأُم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هويها فامتنت عليه فخرج يوماً يتصيد فدخل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ يا شبيبة أمِّ عمرو إذا حابتنا لا تأمنينا

فعينك عينها إذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا

وساقك ساقها^(٢) ولأمِّ عمرو خدلجة يضيقُ بها البرينا

ورأسك أزعر ولأمِّ عمرو غدائر ينعفرن وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أبيع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل إليها خالد بن إبراهيم^(١) فلم تلبث ان عنقت خالداً وتركت أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يهاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تبتد^(٢) للعدي من السر ما يطوى عليه ضميرها
رعى خالد سرى ليالى نفسه توالى على قصد السبيل أمورها
فلما تراماه الشباب وغيه وفي النفس منه غدره ونحورها^(٣)
لوى رأسه عفى ومال بودته أغانيج خود كان فينا يزورها
تعلقه منها دلال ومقلة تظل لأصحاب الشقاء تديرها
وما أنفس الغنيان إلا قرائن تبين ويبقى^(٤) هادها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدن الله حلمك اذ غزا وسافر والاحلام جم عنورها
لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خيلاً شامئى تستخيرها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها
وهذا جواب لانرى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فان السى فينا زعمت ومثلها لفنيك وليكنى أراك تجوزها^(٦)

- (١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على مافي ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن إبراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرز من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر معلق ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفى
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «نفس» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثنى) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أى تعادل عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

ألم تتنقذها من ابنِ عويمر وأنتِ صَفِيَّةُ نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا
فإن يك يشكوك من قريبِ مخانة^(١) فتلك الجوازي عَقَبَهَا وَنُصُورُهَا
وفيه يقول أبو ذؤيب:

يُرَى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سَكِينٌ عَلَى الخَلْقِ حَازِقٌ
ثمَّ إن وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعفرو علانيتها
وخلالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمرو معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه:

لعمر أبي الطيرِ الربة غدوة على خالدٍ إن قد وقعن على لحم
كليه وربى إن تعودى بمثله عشيةً لأقته المنيةً بالردم
فأنك لو أبصرتِ مصرعَ خالدٍ منمت^(٢) الستارَ بين أظلم فالخرم
علمت بأن البابَ ليست؟ ولا البكر لاضمت يدك على غنم
ضروب لهاماتِ الرجالِ بسيفه إذا التفت الأبطالُ مجتمع الخرم

ومن قديم العتاب المزوج بالشكوى قول جميل:

لحى الله من لا ينفعُ الودُّ عندهُ ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العينِ أما اتأوه فحلوه وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب: لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عاتبتك سلكت في ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقاؤه فيه منتفع وأشبه البر بالعقوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الصلوعِ شفيعٌ
وكتب السرخي : قد واصلت أياماً تباعاً غدوًّا إليك ورواحاً حتى ماني البكور
وسمعتي التهجير وشكافي الطريق ولحاني الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخيرَ في ودٍّ امرئٍ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لاتواقه
وهذا ذره ^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمانهِ الصبر فان عطفتك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملئ الإنسانُ إلا ملتهُ ولا فاني شيءٌ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاءِ دائمٌ ولست إذا مال الصديقُ على حرفٍ
إذا أنالتم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثاتِ إذا كنى
ومن أطف السكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تمريرة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتيبي ولبيك وسعديك داعياً مستجاباً له وعانياً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت وليكني
أساحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لتصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكتفت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم ^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيسكم ونعتذرُ
ولا نرى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضي الرفاه بكثرة الالحاح فأثقل عليك ولا أقابل الجلاء بترك العتاب فأعتنم

(١) في القاموس : ذره من خبر : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقي العتاب » . وقلت :

أمنماً إذا جئتكم أستعيرُ فكيف إذا جئتُ أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشري فلأعزُّ عندهم منك
يُقرَّب مثلي إذا ما نأى ويكرمُ مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا لاقلي وواصلُ صديقاً مانعاً

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبِ الارضِ أوطاني
فإن صدَدْتُ بوجهي كي أكاغتهُ فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كننا نعماتكم لياليَ عودكم حلو المذاق وفيكم مستعيبُ
فالآن إذ ظهرَ العتبُ منكم ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهب
ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برُّ ينفعُ
واعلمْ بأنِّي لانسرُّ بحاجةٍ إلا وفي عمري بها مستمتع

ومن جيد المعانيات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يأبها الملكُ النأيُ بقرتهِ (١) وجوده لمرجى (٢) جوده كئيبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السماءَ تُرجسى حينَ تحتجب
مادونَ بابك لي باب أودُّ به وما وراك لي مشوى ومطلب
وقوله في أبي سعيد :

لعمرك لليأسُ غيرُ الميرثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
وللريبُ تحصره بالنجاحِ خيرٌ من الأمل الخائب

وقال يعاتب موسى بن ابراهيم الزافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الاصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الاصل « لمراعي » .

سأقطع أرسانَ المتابِ بمنطقٍ
وانَّ امرأً ضفت يداهُ على امرئٍ
قصيرٍ عناءِ الفكرِ فيه بطولٍ
أخذه من قول مسلم :

وأحبتُ من حباها الباخلينَ
إذا سئلَ عرفاً كسا وجهه
حتى رمتُ ابنَ سلمٍ سعيداً
يفارُ على المالِ فعلَ الجوادِ
ثياباً من البخلِ صفراً وسوداً^(١)
وقول أبي تمام :

لا آل وهبٍ أكفٌ كلما اجتديتُ
قومٌ تراهم غباري دُونَ مجدهم
فعلنَ في المحلِ ما لم تفعلِ الديمُ
ومنها: دنيا وليكنها دنيا ستصرم
وآخرُ الحيوانِ الموتُ والهرم
ومنهما: فلا تقل قدمٌ أزرى بهجتهِ
وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لغومٍ استعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكمُ درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنتُ أرجو منكم خيراً ناصر
نبالَ العدى عني فسكنتم فصالها
على حين خذلانِ اليمينِ شاملها
فان أنتم لم تحفظوا لودقي
ذمماً فكونوا لاعليها ولا لها
قفوا موقفَ المندور مني بمنزل
وخلوا نبالي للعدي ونبالها
هي النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً
وإلا فغتمٌ أن تزولَ زوالها
عناءٌ على ذكر الحياة إذا حمت
على المرءِ إلا رفقتها وسماها
وهذا مثل قوله أيضاً :

عناءٌ على الدنيا إذا مستحتها
بفاها ولن يرجي لديه منوعها

وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أبخلُ بالقرطاسِ وانلظُّ عن أنخ
وكذلك أئدى في العطايا من المزن

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من البخل صفراً وسوداً». (٢) في الديوان «أن يجوداً».

فلا يكن المبدول للوم^(١) سيمه وقرطاسه^١ بين الصميانة والخزير
وهي طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :
الله يعلم أننى لك شاكر^٢ والحج للذمل الجبيل شكور
لسكن رأيت بباب دارك جفوة^٣ فيها لصفو صنيعه تسكدير
مابال دارك حين تدخل جنة^٤ وبياب دارك منكرو^٥ ونكير
غيره : سأترك هذا الباب مادام إذنه^٦ على ما أرى حتى يلين قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الأذن سلماً وجدت^٧ إلى ترك الحياء سبيلا
وقول أبي تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأوّل :
وإني لا أرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبي دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت العلام معمرة منك دارها إذا اجتمعت يوماً^(٨) وقرّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليلة^٩ تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول ظارها
فلا تمكنن المطلق من ذمة الندى فبئس أخوالاً يدي الكبار^(١٠) وجارها
فان الأيادي الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قدبات بالأمس صادقاً^(١١) إذا ماسمأ اليوم طال انهارها
وخير عداة المرء^(١٢) محتضراتها كما أن خيرات اليايلى قصارها
وما العرف^(١٣) بالتسويق الا كخلة تسليت عنها حين شطّ مزارها

- (١) (لأوم) ساقطة من الأصل فاستدر كنها من ديوان ابن الرومي المخطوط .
(٢) نسبوا ابن خلكان لأبي العميشل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)
في موضع (الحياء) . (٣) في ديوان أبي تمام « جاشاً » .
(٤) في ديوان أبي تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .
(٦) في ديوان أبي تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ماشاء وفي قوله أيضاً لملك بن طوق وقد حجبته :
 قل لابن طوق رحاسه إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماً وكيسها عاملاً ودغفلها
 مالي أرى الحجرَةَ الفيحاء ^(١) مقفلةً عني وقد طال ما استمتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضةٌ وليس لي عملٌ زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته .

وكتب الصاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خالص ودك وبقاء عمرك ورد لي كتاب حسبته
 بطير من يدي خلفته ويلطف عن حسي لقلته وعمدي بك تروى إذا سقيت
 ونجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك و بدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تملُّ صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكمل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجوّ نظاماً ولا عندي أنك تقلُّ ويحرف فضلك
 فياض وتوب علمك فضفاض فما أم لك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمنعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعبت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقلت قسأمني كما
 سئمت حادتك وتركتني وقد تركت شيعتك فأحب أن تطالعني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت عاتبتي الصديقَ ولم يكنْ يودُّك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرق البلادِ سوامه وغربها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلالَ بأجن من الماء تحبث ما تطيب مشاربه
 وكتبت جواباً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من ذم الخطاب ووضع اللداء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدماء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
المألوفة وأنت على منزلتك لم تردد فقيرا وأنا في درجتي لم أنقص قطهيرا فكيف
لوزدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك
وكفناك من شر نفسك ما هاصر عليك من كبد عدوك وشيامة حسودك ولا
أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
من بلغ رتبة فتاد أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصبر الهلال بدرأ ولا الشبل لينا ولا الفصن
ساقا ولا التطوف معتاقا . والعرب تسمى الكبر تيمأ وهو الحيرة لأن صاحبه لا يهتدى
لرشاد ولا يصل إلى سداد ولولم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبح سمته
ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
ولا لتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفعك ويحطك
ولا يرفعك استفادة الإخوان الذين هم أبلغ في الخبير والشر من البيض الحداد
وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والثلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
جسيم ، وقد قال الأول :

مباال من أوله نطفة^ه وآخره جيفة^ه يفنخ^ر

وإبعض بنى هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولرب مولى لا يفض^ه جاحه^ه طول العتاب ولا عناء العدل
يطغى عليك وانت تلام^ه شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل
ضاق الزمان فضاقت فيه تغلبى والماء يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فن يلزم النازلون محله^ه فنزلكم للحمد والشكر منزل^ه
رأى الناس فوق المجد مقدار مجدم^ه فقد يسألوك فوق ما كان يسأل
وقصر عن مسعاكم كل^ه آخر^ه وما فاتكم ممن تقدم أول^ه

بلغتُ الذي قد كنتُ آمله لكم وان كنتُ لم أبلغ بكم مأثراً
ومالاً حقاً واجباً غير أني اليكم بكم في حاجتي أنوَّسلُ
فإن أنتم أنعمتم وبررتم فقد يستتمُّ النعمة المتفضل
وان كنتم أوليتموني تفضلاً جيلاً فإنَّ العودَ بالفضل أفضل
وكم ملحفٍ قد نال منكم رغبةً ويمنعنا من أن نلحَّ التجميل
وعودتموني قبل أن أسأل الغي ولا يكمل المعروف والوجه يبذل
وقال ابن الرومي :

من الخيف تخسيس^(١) الزوال ومطله فعجل خسيماً أو فأجل موغرا
وكن نخلة تلوى وتسنى عطاءها وإلا فكن عنصاً أقل وبسرا
وقال : يا شبيهة البدر في الحسن وفي بُعد المثل
جُدْ فقد تنفجر الصخرة^(٢) بالمساء الزلال

وله في المعانيب مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمت وزارته لا تجمن علي العار والنار
ان كنت أحسنت في وصفي ما أكرم فأثروا في بالاحسان آثارا
وإن أكن قلت مالا أستحق به^(٣) منكم ثواباً فردوه وماسارا
ان المديح اذا ماساراً مُفرداً من الثواب كسى من قاله عارا
فقد يعزُّ بليغ في بلاغته وقد بظن سوى المختار مختارا
أسهبت فيكم لكي أعلى فطاطني تقصيركم بي فقد أزممت إقصارا
ان السلايم لا تبنى أطاولها يوماً ليهبط بانين اغوارا
لكن ليصعد انجاداً تشرفه حتى يمد اليها^(٣) الناس أبصارا
وقد هبط بما شيدته لكم من حالي واهل الله قد خارا

(١) في الأصل « تطيف » وفي ديوان ابن الرومي « تخسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

تم هابط صاعد من بعد مهبطه (١)
 ثقلت في كفة الميزان فانكدرت
 صبراً فكم ناهض من بعد وقته
 لابني سمير (٢) صروف غير غافلة
 وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم
 ولم يصف من شيء صفاء طويبي
 وما جاء مدح مثل مدح فيكم
 ومالي لا أنفك أنمي مسنداً
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر
 وكم قائل أبليت فيما تقوله
 وقلت: قد كنت توليني الحسنى وتكرمني
 فما بدا لك في جود ومكرمة
 ارجع الى الحالة الأولى فان لنا
 وحسن أحذوثة لو كنت تبصرها
 أزي من المسك في أصداغ غانية
 وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب أبيات لم ير في من شعره أجود منها فنها:
 سيشهد أبناء المغاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعك الواشون عن حومة الملا وكان بعيداً أن يززع لعل
 وقد طرف البحرى في قوله يستبطى محمد بن العباس الكلابي:
 المئة الدينار منسية في عدة أشبتها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفي

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته) . (٢) في الديوان (القوم) .

(٣) ابنا سمير: الدليل والتمار لأنه يسمر فيهما أى يتحدث — كما في جنى الجنتين .

ان كنت لاتنوي نجاحاً لها
وقوله : عمرت أبا اسحق مصاحح العسر
فأنت ندى نحميا به حيث لا ندى
على أننى بعد الرضا متسخط
وقد أوحشنى ردة لم أكن بها
فلم جئت طوع الشوق من بعد غابتي
وما بالله يأبى دخولى وقد رأى
فكيف لا تجملها ألفا
ولا زال مزهواً بأبائك (١) الدهر
وقطر برجسى جوده حيث لا قطر
ومستعجب من خطية سهلها وعر
بأهل ولا عندى بتأويلها خير
الى غير مشتاق ولم ردتى بشر
خروجى من أبوابه ويدي صفر
ومن جيد ما قيل فى حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عونى على المر
وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله
وفي خلاف ذلك قول بعضهم : ثقى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك
يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
أنت أمضى من أن تحرك للجسد ولكن شراهة الشراء
وفي خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى
وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى
وقول الآخر : وآلهوت خير من حياة زهيدة
ومن مليح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامساكى ليس
باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامساكى ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى
الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطبيين وطعم فى من لا يدفع عن نفسه :
فان كنت ما كولاً فكن خيراً آكل وإلا فأدركنى ولما أمزق
ومما جاء فى ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

الساوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التعجني والتعجني ابن المحاجة والمحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيمة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك أخوانك ببعض العتاب لئلا
يستعدبوا أخلاقك وأغض عن بعض ما تنكر منهم لئلا يوحشهم الخاحك. وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لي: العتاب مقدمة القطيمة وطليمة
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور بروية أحبابك وانتقل عنه قبل
أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بدأ فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب يملول فكيف من المسكروه والاقتصاد في
الحمود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرّفه ما أرّفه في التفاضي	وليس لديك غير المثل نقد
خلا وعد مددت اليه كفي ^(١)	فأعرض دونه مظل يمّد
إذا إنجاز وعدك كان وعداً	فيكفيني من الوعدين وعد
وقال: سألت قفيزين من حنطة	فجذت بكر من المنع واف
وأنتبت منعك لي بالحجاب	مهلاً هديت في المنع كاف
كأنني سألتك حبّ القلوب	ذاك الذي من وراء الشفاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول:	
وكن عند ما تزجوه منك فانتا	جميعاً لما أوليت من حسن أهل
ولا تعتذر بالشغل عنا فأنما	تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت اليه عيني».

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كهباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قبل فيهم شعر ودوا أنهم افتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حر النعم؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلة بن سعدٍ ولا بفزارة الشعر الرقابا

فوالله يا أمير المؤمنين إنى لأبأس العمامة الصفيقة فيخيل لي أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم^(١) :

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم؟ قال قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كهباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا افتديناها بأمالا كنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك مارماحُ بني نميرٍ ^{طريقاً} الصدور ولا قصار ؟

فوالله ما يسرنا به حر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والعاجيُّ إذا تنحنحَ للقرى حكَّ استه وتثَّيل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر باتباعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلها ما وقال في ذلك شعراً ، أدرك الإسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في أمته لم يحكها .
وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
نمير فتغامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلْعَوِّمِينَ يَفْضُلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فغض الطرف إنك من نمير * فخرجلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول اليزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليبِ نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدانس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبدَ القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجومُ لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعمش :

تبيتونَ في المشى ملاءَ بطونكم وجاراتكم غرَّتني بيتنَ خائضا

وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهي لعمري ولم يمت - وعنه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عفيف وأنت عاهر وأنا وفي وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .
فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يطيبها الحاك ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً
لسان رمح عامر أذ كر في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأسنه وأمه كبشة
بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحفاء وأمك من

النمخ وكانت أمه مهيبة وأم علاثة^(١) من النمخ ، ثم خلا بامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بن عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عافر مشؤوم أما كل ذلك رأى يزعمك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أنتما كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه توأرى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتما كر كبتى الجبل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضرأ . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعننى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أعيانهم نحو
عكاظ فلقبهم الأعمشى منحدرأ من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعتدلى جبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعمشى لعمامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعمشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه فلقى بينكم	أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه	ولا يبالي غبن ^(٢) الخاسر
علقم ما أنت ^(٣) الى عامر	الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخليل بخيل إذا	نار عجاج الكمه الناثر
ساد وألنى رهطه سادة	وكبرأ سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فمقروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد

علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعمشى فقال الأعمشى :

أتانى وعيد الحوص من آل جعفر
فيا عبد عمر ولونميت الأحواصا

(١) بياض فى الأصل ، وذ كر القصة صاحب الأغانى بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»

ساقطة من الأصل فاستدر كنها من بلوغ الأرب . (٣) فى الأصل «لانت» .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمك
كلا أبويكم كان فرع دطامة
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
يراقبن من جوع خلال مخافة
رمى بك في أخراهم تركت الندى
فعض حد يد الأرض ان كنت ساخطاً
فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تعبر
بالبكاء ، قال مهمل :

يبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ
وقال جرير :

بكي دوالٌ لا يرفأ الله دمه
وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر^(١) فقال الخطيئة :
يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة
لأن مسماة من جاريتيه أمم
جاريت قرماً^(٢) أجاد الأحوصان به
ضعم الدسيعة في عرينه شمم
لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه^(٣)
وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما^(٤)
بدوا واضح ذو غرة وحجول
ولا يبيت على مال له قسم

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجحى (وكان الخطيئة مع علقمة بن علانة حين نافر عامر بن الطنيل) . (٢) وفي رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
جاريت قرماً أجاد الاحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
والأحوصان : الاحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
وعمر بن الاحوص ، كافي جنى الجنتين في المثنيين للمعجب .
(٣) في طبقات الجحى وديوان الخطيئة (الإرث يركبه) .
(٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة .

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما وإن كان الناس استخفوا قول
الأعشى « عاقم لانت إلى عامر » فر على ألسنتهم وسقط شعر الخطيئة .
أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمى قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتف المصفور طار فؤاده وليت حديدُ الناب عند الثرائد ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهل درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يابى أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فإن للشعر مواسم لا يزيد لها الأيل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خائصا
ولى الدنيا بخذا فغيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حريثان :

على مكثريهم حق من يعترهم ^(٥) وعند المقلين الساحة والبذل

هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا تر حبل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إياس وبجي
ابن زياد وحامد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الاصل غير منقوط فصحيحناه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الأغاني « رزق من يعترهم » .
(٦) في الاصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معادن سودة والسكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمانت كذلك اسكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قاتنه العرب قول الأخطل لجرير :

ما زال فينا رباط الخليل معمة وفي كليب رباط الأؤم والمسار
قوم إذا استنبح الأضياف كابهم قالوا لأهم بولى على النار
قالت بنو تميم ما هجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أمهم خادمتهم يأمر ونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطافئوا به النار فيأمر ونها بأن تطفئها بيوها . بينهم وبين
المجوس لتمظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قتلها كانت تطفئها بيوها .

وقالت بنو مشاجع ما هجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحر حان غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ما هجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

أست كليبياً إذا سمى سوءة أقر كقرار الخليفة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قاتنه العرب قول الطرماح :

تميم بطرق الأؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل الكارم ضات
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن فى طبقته لحكم على جميع

ما فى معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل فى الاحتقار والتقليل والجهن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوئت

ولو جمعت يوماً نميم مجوعاً على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكه إذا نهلت منه نميم وعلت

وأبلغ ما قيل فى الخمول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافيةً من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قسوم^١ أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة الوتر^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
 قوم^٢ إذا جرجان منهم أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يفدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد^٣ عن كل منهل
 فاستمدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله حادى أهل لؤم ورقة فمادى بنى العجلان رهط ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يفدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال لبيت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد^٣ عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ماحر جانبهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكك - يعنى الازدحام ، قالوا وقد قال :
 تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وياً كنّ من عوفٍ وكعبٍ ونهشل
 قال أحياناً^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
 وما نسمى العجلان إلا لقبهم أخذ القعب واحلب أيها العبدُ واعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بحث إلى حسان فسأله فقال ما هجأهم ولا يكن
 سلاح عليهم قهدهد النجاشى وقال ان عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابه ومثل قوله :
 * تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحتري :
 ورددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الود العتاب
 وهان عليك سخطى حين تغدو بعرض ليس يأكله الكلاب
 ومن التناهى فى الاحتقار والخمول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقات لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قوم من الحسب ازاكى بمنزلة كالنقع بالقاع لا أصل ولا ورق
 ان الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بعمل عندنا علقوا
 لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا
 وقول الآخر * لوبخلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخفى على البارئ القديم
 وقول أبي الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالى أراك عن الندى معزولا
 إنى أقول مقالة تجرى بها لو كنت من كرم كنت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر تهلنى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) فى الأصل «أحياة» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزيادة الامجم .

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجابه ما بال لا شيء عليه حجاب

وقال « وأنت أنزر من لا شيء في العدد

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشرار قول الأول :

فلو أتى بليت بهاشمي خولته بنو عبد الداني

صبرت على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكارجل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فلك دخل في العدد وخرج من العدد ،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى زهرة وفينا زياد أبو صمصمه

فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر اليوم ولا تمجيك كثيرتهم فانما الناس قلوا كلما زادوا

ولا يهولك من دهائمهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد

عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس منذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهي في صفة الجول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثمالة كل حي فقتل القائلون ومن ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء فندق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

فأذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

فجمله دون الهجاء والهجاء فوقه فلا يهجي لضعفه وقاته .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن العباس قوله :

(١) وفي نسخة « لمان على ما ألقى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق يميناً وأرعد شمالاً
 نجابك لؤم منجى الذباب حتمه مقاديره أن ينالاً
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى
 لست أجد خبراً منها فى معناها وأجود، وقد شرط أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تناوله من قرب.
 وأنشد الجاحظ:

ووثقت أنك لا تسبُّ حماك لؤمك أن تُسبَّأ
 وقال الآخر: بذلة والديك كسيت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره: دناءة عرضك حصن منيع تقبك اذا ساء منك الصنيع
 فقل لعدوك ما تشتهى فأنت الرفيع المنيع الوضيع
 وقلت: لست الوضيع ولا الصغير وإنما أنت الوضيع عن الوضيع الأصغر
 لاتفخرن وإن غدوت مقدماً فعلى جبينك سيمياء مؤخر
 وقال أبو فواس:

ما كان لو لم أهجهُ غالب قام له هجوى مقام السرف
 يقول قد أسرف فى هجونا وإنما زاد بذلك السرف
 غالب لا تسع لىبنى العلا ياغت بجداً بهجائى فقرف
 قد كنت مجهولاً ولكنى نوهت بالمجهول حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم، وقوله:

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبتت من البظر المواسى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقع فى حياته وفى موته فجيعة قول بعضهم:
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لانفع وموتك فاجع
 وقال ابن الرومى:

فلا تحش من أسهى قاصداً ولا تأمنن من العابر

ولكن وقابك معراتها تضاؤل قدرتك في الخاطر
وقال غيره :

إني هجوت بكل لفظ مقذع
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت
ونظيراً لك في شؤمك
إن من شبيك الكلب
وقلت : أهنئت هجائي يا ابن عروة فاتتحي
وقالوا أنهم جرو مثله في سقوطه
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مرّ بي مرّة
حسبكم خزيّاً بنى آدم

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لذكك^(١) لنفسه :

وعصبة لما توسّطتهم
كانهم من سوء أفهامهم
يضحك إبليس سروراً بهم
وقلت : قلت للكلب حين مرّ بي أخساً
أترى اني أهدئك كلباً

ومن التناهي في الاستصغار والحوّل قول زياد الأعجم :

إذا ماتني الله امرؤً وأطاعه
ولو جمعت جرم على رأس نملة
لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم
ومن يبلغ ماجاء في الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوى فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الطجاء قول ذى الرمة :

وأمثل أخلاقِ امرئٍ القيسِ أنها صلابٌ على طولِ الهوانِ جلودها
وما انتظرتُ غيابها لئلمة (١) ولا استؤمرت (٢) في حلٍّ أمرشودها
إذا امرئياتٌ حلان (٣) يبلاة من الأرض لم يصلح طهوراً صعيدها
وقال غيره: لعمر ك ما تبلى سرايلُ عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها

وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيدي إنها دولٌ وأحراها بأن تنقلا
هلا جملت لنا كحرمةٍ دعبل في استِ أمِّ كلبٍ لا تساوى دعبلا

وقالوا أهجى بيت قاله محمد بن حنبل في بشار :

نسبت إلى بردٍ وأنت لغيره فهبك لبرد نلت أمك (٤) من برد

وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد مجرد

* نسبت إلى بردٍ وأنت لغيره * قال بشار تهباً لحاد في هجائي في هذا البيت

خسة معان أوردها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسرى وضع البيهث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناسُ كلهمُ يسمي لحاجته ما بينَ ذى فرحٍ منها ومهوم

ومالكٌ ظلُّ مشغولاً بنسبته يرمُّ منها خراباً غير مرموم

يبنى بيوتاً خراباً لأنيسَ بها ما بينَ طوقٍ إلى عمرو بنِ كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (المعظمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كناها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي^(١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك التيبـل الأمرُ مصنوعٌ
إنَّ الجديدَ إذا ما زيدَ في خَلْقِ تبيينَ الناسِ أنَّ الثوبَ مرقوعٌ
وقالوا أهجى بيت قاله محمد بن قول الأخر :

قبحتُ مناظرَهُمْ فبينَ خبرتهم حسنتُ مناظرهم لقبح الخبيرِ
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفسدوا أو يبخلوا لم يخنوا
وغدوا عليك مرّجـلـين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شبيهاً إلا التيوس على أفتائها الشعرُ
ان نافرُوا نفرُوا أو كاثروا كثروا أوقامروا الزنج عن أحسابهم قهروا
كأنَّ ريحهم في الناس إذ خرجوا ریح الكلاب إذا مامسها المطر^(٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتميم حسن . وقالوا قول جرير * نتمت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوءٍ وخالك مثلهُ ولست بخير من أبيك وخالك
وإنَّ أحقَّ الناسِ ان لا تلومهُ على اللؤم من أنى أباهُ كذلكا

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمرَ استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النبوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي : وهو ابراهيم بن اسماعيل بن بسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسا
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس يؤمهم وضح النهار
وما يفسدو عزيز بني كليب ليطلب حاجة إلا بجار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الافراط في الهجاء قول الآخر :
لو اطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سأل الله ذا المن من فضله ولا تسألن أبا وائله
فما سأل الله عبده له نجاب ولو كان من باهله
وقال الآخر : ولو قيل للكلب يا باهلي لأعول من قبج هذا النسب
وأشدني أبو أحمد أشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لاني لست أجد مثلها في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهاب ولا أنت بالزاهد
وايس عدوك بالمتقى وليس صديقك بالحامد
أتيت بك السوق سوق الرقيق فناديت هل فيك من زائد
على رجلٍ فادر بالصدق كمنورٍ لنعائه جاهد
فما جاءني رجل واحد يزيد على درهم واحد
سوى رجلٍ حار منه الشقا وحانت به دعوة الوالد
فبعثك منه بلا شاهد تخافة أدرك بالشاهد
وأبت الى منزلي سالماً وحل البلاء على الناقد
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل «بنو كليب» والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وليسَ بِيَأْقٍ وَلَا خَالِدٍ
 فَاوُ . يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ نَفْسٌ مِنْ مَنَعْرِ وَاحِدٍ
 رَضِيَتْ لِتَشْنِيتِ (١) أَمْوَالِهِ يَدِي وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
 أن فلاناً كان يقير (٢) إحدى عينيه ويقول ان النظر بهما في زمن واحد من السرف .

ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إلى الله أشكو اني بت طاهراً فجاءَ ساوئلي فبالَ على رجلي
 قمتُ أقطعوها بآركَ الله فيكم فاني كريمٌ غير مدخاها رحلي
 وقت : وقتت لديكم للسلام عليكم وقوفي على أطلالِ سلمي وحانكهِ
 يرومك تسليم العفاة كأنه بوادرُ طعينٍ في الضلوعِ مواشكهِ
 وما فيكم حرٌ يكرمُ ضيفهُ ولكن إذا ما ساءَ أكرم نائلهُ
 وان كنتمُ ناساً وما أنتمُ به فان القرودَ والكلابَ ملائكهِ

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرفي سبقت إليه . وقال بعضهم :

سمعت المديح أناساً دون ما لهم رد قبيح وقول ليسَ بالحسن
 فلم أفر منهم إلا بما حملتُ رجلُ البعوضة من فخارة اللبن
 وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ما تعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعبل :

أتفعل مطبخاً لا شيء فيه من الدنيا تخافُ عليه أكل
 فهذا المطبخ استوثقت منه فما بالُ الكنيفِ عليه قفلُ
 ولكن قد بخلت بكل شيء فحتى السلاح منك عليك بخل
 وأنشدنا : وإنَّ له لبطباخاً وخبراً . وأنواعَ الفواكهِ والشرابِ
 ولكن دونه حبسٌ وضربٌ وأبوابٌ تطابقُ دونَ بابِ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقير » .

كأمثال الملائكة الغضاب

فالكوكب النحاس يسقي الأرض أحياناً

«لا والرغيف» فذاك البر من قسمه

فان موقعها من لحمه ودمه

على جرادقة كانت على حرمه

يزداد نبت السكلاب بالمطر

بغدو عليه يلاعبه

أفضى إليه يماثبه

وتذب عنه كتابه

والضيف ينتف شاربه

واكاليان من درر وشذر

بكا الخنساء إذ فجمت بصخر

وحرب مثل وقعة يوم بدر

ما إليه لا كل^(٢) من سبيل

نف في ساتين في متديل

وسيور قددف من جلد فيل

والمفاتيح عند ميكائيل

يقتل في الجرد آباءه

فقد جاءه كل ما ساءه

يبدون الذباب يمر عنه

وقال الخليل بن أحمد :

لا تعجبن خير زل عن يده^(١)

وقال أبو تمام :

صدق أليته^(٢) ان قال مجتهداً

وان همت به فافتك بخبزته

قد كان يعجبني لو أن غيرته

وقال آخر : يزاد لوماً على المديح كما

وقلت : مخبز الأمير عشيّة

وإذا بدأ جلسه

ومحوطه أحراسه

فالزور يصفع عنده

وقال آخر: فتي لرغيفه فرط وشغف

إذا كسر الرغيف بكى عليه

ودون رغيفه قلع الننايا

وقال آخر: إن هذا القتي بصون رغيفاً

هو في سفرتين من أديم الطاء

مخمت كل سلة برصاص

في جراب في جوف تابوت موسى

وقلت : لنا سيد واحد ماجد

لثيم إذا جاء طارق

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أى قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزِهِ إذا كان يمينهم ماءً
فما ولنغ الكلب في لؤمِهِ لما زال يقذفُ أمعاءَهُ

وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الروثَ في أعفاجِ بقلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ المصافير
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وجل
وأجررت لي حبلاً طويلاً تبعته ولم أدر أن اليأسَ في طرفِ الحبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلبي^(١) وقدر الرقاشين زهراء كالبدر
يبيتُها للمعتنى بغنائهم ثلاثاً كمنقط الناء من نقط الخبر
إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحوليُّ من ولد النذر
ولو جئتها ملائى عبيطاً^(٢) مجزراً لا أخرجت ما فيها على طرف الظفر
غيره: يحصن زاده عن كلِّ ضرس ويعمل ضرسه في كلِّ زاد
ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً سوى يدٍ لا برهامة الأيادي
قليلُ المالِ نُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد
وقلت في مثله :

يطعمُ دونَ الشبع أولاده ويختمُ البرمةَ والجفنه
لم يروِ إلا خسباً واحداً قد تذهبُ البطنةُ بالفطنة
وقال آخر: ظلمتكَ اذسانتكَ ماء كرم وماء الكرم للرجل الكريم
وقلت: لك برمةٌ تزهرتها من أن تدنسنَ بالدسم
بيضاءُ يُسرقُ نورها كالبدر في غسقِ الظلم

(١) الصلبي بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط: أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كان عرضك مثلها كنت الممدح في الأسم
أو كان فملك مثل قو لك كنت تاريخ السكرم
ومن أبخل بيت قيل :

وما روحتنما لتذببنا
وقال أبو نواس يصف قدراً :

بغص^١ بملقوم الجراداة صدرها
وتغلي بذكر النار من غير حرها
هي القدر^٢ قدر الشيخ بكر بن وائل
وقال ابن الرومي :

رأى البخل طبا فهو يحمى ويحتمى
فلست ترى في بيته غير جائع

ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمر المال البخل وجدته
يزيد به يبساً وان ظن^(٣) يرطب
وليس عجيباً ذلك منه فإنه

وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :

ورغيفك في الحجاب عليه قفل
رأوا في بيته يوماً رغيفا
وأنشدنا عنه :

له حاجب^٤ كونه حاجب^٥
وحاجب^٦ حاجبه^٧ محتجب

وقال أبو تمام :

لا تكلفن أرض وجهك صخرة^٨
في غير منفعة مؤونة حاجب

(١) في الأصل « جمال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :

الجمال بالسكر : خرقعة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان

ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لا تتخذُ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخجلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفتُ في مدحه
 حجابهُ أزمسني منزلي
 وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهلُ إلا أن تقرظَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لا خير في صاعد فأذكره
 ليس له ما خلا اسمه نسب

ومن أطرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجهٌ كأخراصك فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشبهات
 وقلت: إن كان شكلك غير متفق
 من عصبية شقي إذا اجتمعوا
 صورت من نطف قد اختلفت
 فورثت من ذا قبيح منظره
 عبرتني أن رُحْتُ في صملي
 لمحات كثيرة من رجال
 معلبات أن لست بأبن حلال
 فكذا خلاك غير مؤلفه
 شبهت داركم به عرفه
 فأتت خلاك وهي مختلفة
 وورثت ذلك خناه^(١) أو صلفه
 والدرُّ لا تزرى به الصدفة

وأجود ما قيل في عظام الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :

* جسم البغال وأحلام العصافير * وقال ابن الرومي :

طولته وعرضه بلا عقل ولا أدب فليس يحسن إلا وهو مصلوب^١

وقال وأحسن :

إذا فقت الذميمة بحسن جسمه فلا بسبقتك بالشيم الشريفة

فيصبح أفضل الرجلين نفساً وتصبح أعظم الرجلين جيفة

وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكر^٢ بغض أبي إسحاق والموت

ويدعى العلم على أنه قد طار بالجهل له الصوت^٣

لا يلتقى والعلم في مجلس أو يلتقى الإدراك والفوت^٤

وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأى حلى تصدبت له وأنت لو أوجت^(١) بالثريا ومنتظت

بالجوزاء وتوشحت بالجمرة وتقلدت قلادة الفسكة ما كنت إلا عطالاً ولو توضحت

بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح

ثوباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :

وثقيل أشد من غصص الموت ومن زفرة العذاب الأليم

لو عصت ربها للجحيم^٥ لما كان ن سواه عقوبة للجحيم

وأبداع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقل الجليس وإن كان ن خفيفاً في كفة الميزان

ولقد قلت حين طل على القوم^(٢) م^(٣) ثقيل^(٤) أربي على ثملان

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي

العقد الفريد «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أباعمران» بدل «أبا سفيان»

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً

حملت فوقها أبا سفيان

أخذه ابن الرومي فقال :

أنتَ فضلٌ وفضلُ الشيءِ لغوٌ
ثم أردفتَ ذلَّةَ التصغيرِ
مُحمرَ الفضلِ ثم صرَّرتَ عنه
زادك اللهُ يا صغيرَ الحسيرِ
ثم عرَّجتَ فاحتواك انتقاصٌ
في اسمِ سوءٍ وجسمِ سوءٍ ضيرِ
ثم بردتَ فانتصفتَ من النا
ر يبردُ يربى على الزمهريرِ
فقبولُ النفوسِ إليكَ عندي
آيةٌ فبكِ للطفِ الخبيرِ
إنَّ قوماً أصبحَتَ تنفِقُ فيهمِ
لعلى غايةً (١) من التسخيرِ
أو أناسٌ غدوا وراحوا من الظَّرِ
ف على حالةِ الفقيرِ الوفيرِ
فتى ظفروا بزورِ ظريفِ
أعجبتهم زخارفُ التزويرِ
كلُّ أعرابٍ لم يروا درمكَ البرِّ
فهمِ يعظمونَ خبزَ الشعيرِ
وكذا القومُ لم يروا لجةَ البحرِ
رفهمِ يكبرونَ ماءَ الغديرِ
ياثقبلاً على القلوبِ خفيفاً
في الموازينِ دونَ وزنِ النقييرِ
طر سخيماً وقع مقيتاً فطوراً
كسفاةً وتارةً كثبيرِ
وله : وثقيلٌ نسبجانهُ من ثقيلِ
وتعالى عن كلِّ مثلٍ وندٍ
حمل اللهُ أرضه ثقلها
وعلاها بثالثٍ من أدٍ

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبى ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ (٣)
وأنتَ جرادٌ ليس يبقَى ولا يندَرُ
له أثرٌ في المسكراتِ بسرُّنا
وأنتَ تعني دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعلى خطة» وفي الأصل «نقص كلمات إستكملمناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الاغانى (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطان خزيابخالد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر .
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله في مثل ذلك بقول
 في قبضة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وان جهدتَ يبالغ (١) سعيَ ابن عمك في الندى داود (٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إنَّ المذمَّ مُ ليس كالمحمود
 داودُ محمودٌ وأنتَ مُذمَّمٌ عجباً لذكِ وأتما من عود
 وربَّ عودٍ قد يشقُّ لمسجد (٣) نصفاً وسائرهُ لحشُّ يهود (٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجة أزلتها بكريم قويم أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان ربِّ قادرٍ قدر البرية من أديم
 فشر يفهم ووضعهم سيان في شرفٍ ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فغنيهم مثلُ العديم
 وإذا اخترتَ حميدهم ألفيته مثلُ الذميمة
 لا (نفع فيه) (٥) للصفية من الأمور ولا العظيم
 أنظر الى كبير الجسوم ولا تسلم رفع الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أتبعوه وولست له بكفء فشر كما ظير كما الغداء

(١) في الأغاني (بمدرك) . (٢) في الأغاني (ذي الملا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ يياض وله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربه أوزناو معنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حرّةٌ وقد يلد الحرّان غير نجيب
 فلا يمجبن الناسُ منك ومنها فما خَبِثَ من فضةٍ بعجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً ناظمين محمد قال أهجى ما قالت العرب قول الشاعر:
 فصبراً على ذلك ربيع بن مالك وكلُّ ذليل خبز عاداته الصبر
 تحالفكم فقره قديمٌ وذلةٌ وبئس الحليمان المذلة والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفسٍ إلى أهل وأوطان
 تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلت بها أهلاً بأهلٍ وجسيراً بجيران
 فقال هذا الأُم بيت قاتنه العرب . والنزوع همناردىء والجيد للنزاع ، وأما
 جمل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قاتنه العرب لأنه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكياء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها جزءاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بفضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حينئذ إلى
 أوطانها وأكرم الميرة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشيرتي فليس مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاق أوّل منزل غنيتُ بخفض في ذراه ولين
 وروض رماه بالأصائل ناظري وغصن ثناه بالغداة يميني

وأحَى لا أنسى المهودَ إذا أتتْ
بنات النوى دونَ الخليطِ ودونى
إذا أنا لم أرَع المهودَ على النوى
فلست بمأمونٍ ولا بأمين
وسند كرم من هذا الباب طرفاً فيما بعد ان شاء الله تعالى (١) . وما لا تسكاد
تجد أجود منه في معناه ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال دخل بعض الشعراء
على بعض الأمراء ببرقيمد (٢) فجعل ينشده وجعل الأمير يمانب جارية بين يديه
ولا يسمع منه فخرج وهو يقول :

أدبٌ لعمرك فاسدٌ مما تؤدّبُ برقيمد
من ليس يعرف ما يريد فكيف يعرف (٣) ما يريد
من ليس يضبطه الحديد فكيف يضبطه القصيد (٤)
مالي رأيتك رسالةً أين الساسلُ والقيود
أغلا الحديدُ بأرضكم أم ليس يصطك الحديد

وقلت في المعنى الذى تقدم :

قلَّ خيرٌ ابن قاسمٍ ففناه كمدمه
كادَ من خشية القرى يخشى فى حرامه
جازَ فى الأزم حده كأييه وعمه
كاد بعديك لؤمه لو تسميت باسمه
وقلت : قرانا بقولاً إذ أنحننا بيا به
وقفنا عليه الركب نسأله القرى
فأصبح فينا ظالماً للبهائم
ونحن على أعناق أغبر (٥) قائم

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .
(٢) بليدة في طرف بقاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان
(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،
وأما البيتان الآتيان فالعلمهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلسكان في ترجمة
يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعبر) وسيأتي في موضع آخر (أغبر) .

فصام وصوم الليل ليس بجائز
 أجازَ صيامَ الليل حين استغزاهُ
 فبتنا أديمَ الليلِ نطوي على الطوى
 وأطمعنا لما مرقتنا (٢) من الدجى
 ودحاريجَ لا تنساقُ في حلقِ طاعم
 خصى الزنج لاحت تحت فيش قوائم (٤)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ
 وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم

ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مازويناة للحطيطه ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عني لست بي أخبر مـتى

أنا إنسانٌ برانى الله في صورةِ جنى

بل أنا الاسمجُ في الميـسـن فدع عنك التظنى

أنا لا أسلم من نفسى فمن يسلم منى

وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :

وأخوس (٥) ولاجٌ على ورائحٍ رجاءَ نوالِ نُو أعين (٦) بجود

زَوَيْتُ (٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأبأسته من وعده بوعيد (٨)

فان كنتَ لاعن سوءِ فعاك مقلعاً فدونك فاستظهر بنمـل حديد

فمندى مطلٌ لا يظير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرِّ منتظرٍ ياشرِّ منتظر

(١) في الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فياسيأتى .

(٢) في الأصل (فرقتنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) في الأصل (قيس) .

(٥) في ديوان أبي نواس (وأخوس) بالحاء المعجمة ، ولعل ما في الأصل هو

الأقرب . (٦) في ديوان أبي نواس (لويغان) . (٧) في الديوان (قطبت له) .

(٨) في الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللئيم فان تصبر فمن قححة
 رأيت عيبك شعري حين تالمه
 فانظر إلى الكلب مرماً لتعلم أن
 وقال ابن الزمكدم :

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة
 سرية ونومي فيه نوم مشرد^١
 على أولق فيه اختيال^(٢) كأنه
 ويرد أغانيه وطول قرونه
 كعقل ابن هرون ورقة دينه^(١)
 أبو جابر في خبطه وجنونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها
 مسومة تدعوا عبيداً وأزلاما

أى لو رأيت عصفورة لحسبتها من جبينك خيلاً مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
 وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم
 يخافون خطف الطير من كل جانب
 ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم
 خيلاً تكبر عليهم ورجالا
 وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض بشرفه
 من خفة الخوف لا من خفة الطرب

وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبين من صفره
 يحول أويغور من صفره
 لو صاح في الليل به صائح^١
 لكانت الأرض له ظفره
 يرحمه الرحمن من جبهه
 فيرزق الجنده النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضربه
 لا يعرف القرن وجه ويرى
 شوق إلى وجه سيد نفه
 قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه). (٢) في المعجم (فيه الباب).

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره ولسكنه ثملب الممركة
ومن ظريف ماجاء في ذلك قول أبي النمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :

طأنت تشجعتي ضللاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتي شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شـكر؟ خلاف بأس المساعيز البهايل
لما بدت منهم نحوى ؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصمت أطوي الغلاميلا إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السر اويل
وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فممن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :

لجّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ لهُ عادَ الظلومُ ظليماً همهُ الهربُ
أني الفرارُ وترك الحربِ إذ كشفت عنك الهويئنا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلب نداءه فكاب دونه كلبُ
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :

نفرجة ينفر من ظل الشجر فؤاده أنثى وضرسه ذكر
والنفرجة الجبان . ومن جيد ما قيل في النظر قول بعضهم :

الكوكب الذنبي يحسب بالعجائب بعد سبعة

خلعوا عليه وبجوا ه وصار في عزٍ ومنعه

وكذلك يفعل بالجنود ر لنجرها في يوم جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقطلع الدولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يهجزُ عن لبسها
 جاريةً السوء إذا جربت ثيابَ مولاها على نفسها
 وأكسل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
 سعيد الأموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلي وكان الله يفعل ما يشاء
 فيأخذها ويطرُحها بجنبي ويرقدُها وقد كشفَ الغطاء
 ويأخذني ويطرُحني عليها ويرقدُها وقد قضى القضاء
 ويرسل ديمةً سحا علينا فيفسلنا ولا يلقى عناء
 أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
 الأعراب ؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لخاله وشأنه
 ويقول : اللهم اقض حاجاتي قبل أن يدهمك الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
 منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
 وسألتني بعض الأدياء من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حمةً ؟ قلت الذي يقول :
 أتبه على إنس البلاد وجنسها ولو لم أجد خلقاً انتهت على نفسي
 أتبه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
 فان صدقوا أتى من الانس مثلهم فما في عيب غير أتى من الانس
 فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبير وكيف الكبير مع
 النطفة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .
 ومن بليغ ما جاء في ذم الكبير قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحمد
 من السخاء والأدب مع الكبير والعجب . وقلت في مثل هذا :
 وعندهم مُذنبٌ مُذنبٌ أحمد من بحسن مدل
 وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الإعرابي : لودق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقدّ منها حافراً للأشهب
واليبت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيتُه وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فأنها خلعت خامة العدم^(١)

فهى تستهلك الجيد — ل وتأتى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعداد هتات على الجزاء آمين غير خوان
أظهي الفصوص ولم تظماً قوائمه فخل عينيك في ظان ريان
فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنايك من مثني ووحدان
أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه
بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المسكارم قبضه
وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الخزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتي ورقة الوجه من الحرفه
من كان صلباً وجهه محكماً فأنت منه الدهر في طرفه

ومن أبخل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

إجمل الزوج من مراجك فردا واقتصد يا غلام والقصد أجدى

أف يكنُ فقدك الضياء رديثاً فاقصداى للزر أردى وأردى
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :
إذا ماجئتَ أحدَ مستمبِحا فلا يفرركَ منظرهُ الأنيقُ
لَهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبارقةٍ تروق ولا تريق
ومن أملح في الدعوة رزين العروضى :

لقد جئتَ يا ابنَ أبي تبَّع بأُمِّ الدَّواهي لدى المجموع
حلفتُ بأنك^(١) من حيرٍ وليس اليمين على المدعى
وملح أيضاً في قوله :

إن فخرَ الناسِ بأبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلتُ وأرغمتُ أباً خاملاً أنا ابنُ أختِ الحسنِ الخاجب
ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودَّعتُ السرَّ فالفيتةُ أتمُّ من كأسٍ على راح
وقال السريُّ :

تثنى عنك فاستشعرتَ هجراً خلالُ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعتَ سرّاً أتمُّ من النسيم على الرياض
وقد أحسن كعب بن زهير غابة الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهيد الذي عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايب
وأخذه الخطيئة فقال :

أغر بالآ إذ استودعتِ سرّاً وكانوا على المتحدِّيننا
والسكانون : الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

بيت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بأبائك» .

وقدم مر فيما تقدم بيت الخطيئة .

ومدح ابن الرومي ابن المدبر^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَّتْ عَلَيَّ مَدْحِي بِمَدِّ مَطْلٍ وَقَدْ دَسَّتْ مَابِسَهُ الْجَدِيدَا

وقلت امدح به من شئت غيري ومن ذا يقبل المدح الرديدا

ولاسيما وقد اعلقت^(٢) فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

ثم أخفى عاينه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه بالهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحتري مدحا كثيرا فمن ذلك قوله :

ووجه ضمان البشر فيه موقف^ه على النجح والحاجات تترى عجالها

به من صفيح الهند وشم^ه تينه^ه صفيحة^ه وضح يروق جمالها

متى ربدتها عزة^ه أو حفيظة^ه أعيد اليها بالسؤال صقالها

متى ترها يوما عليها دليلها تعجبك من شمس عليها هلالها

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بوجه أبي اسحق صدع^ه كهرضة^ه له قصة غير الذي هو يظمر

ينخر عنه أنه أثر ضربة ببعض سيوف الزنج حين ينخر

وما ضربته الزنج في الوجه بل رأى أبورهم^ه فانشق في وجهه حر

في أبيات سخيفة فطلبه ابن المدبر أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقُّكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتَلِي مُحَمَّدًا لَكَ طَلْقُ

فَاعْفُ عَنْ عَبْدِكَ الْمَسِيءِ وَلَا تَبْسُطْ بِمَا يَسْتَحِقُّ مَا تَسْتَحِقُّ

فعفا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلا :

نعماك عندي التي أقرُّ بها انك أصبحت لي من الغير

وحبك الذم لا تق^ه بك ما أشبه خطم الخنزير بالقدر

أبديت في أوليات لؤمك ما قدرت في أخريات^ه الآخر

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي) . (٢) في الأصل (أعبت) .

كانتظران الذي يرى أبداً في رأسه ماقتنى من المسكر
وهو من قول للناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع ضيقاً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أول الشباب عاجلني الشيبُ وهذا من أول الدن دردى
وليس هذا بالاختار لابتنال لفظه . وقلت في بخيل :

قفع البردُ ضيف عمرٍ وفأضحى مثل من فيه يأخى زمانه
بات للبرد في طهارة سوءٍ ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقرت ولولاهُ ذلةٌ ومهانته
جمع الرأس بين رأسه ورجلي فكأنى في بيتسه أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف زادنى أكله على الجوع جوعاً
ثم ولى يقول وهو كئيبٌ لطف نفسى على رغيف أضيعا
كان خداعة الضيوف ولكن ربما أصبح الخدوعُ خديعا
كنت أنزلته محلاً رفيعاً فغدا ذلك الرفيعُ وضيعا
عجباً منه إذ أتيجع هجاءُ كيف لم يتمتع وكان منيعاً
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينهما فى الأخلاق)

قال الأوّل فى ذلك :

يزيد الخير إن يزيد قومي ميمك لايزيد ولايزيد
يقود عصابةً وتقود أخرى فيرزق من يقود ومن تقود
شبيهك فى الولادة والتسمي ولكن لايجود كما تجود
ومثله : على وعبد الله بينهما أبٌ وشتان ما بين الطبائع والفعل
ألم تر عبد الله يلجى على الندى علياً ويلجأه على على البخل
ومثله : فان يك مجرانا إلى جمع نسبة فى رأى والأخلاق مختلفان
وما أنت مثلى فى مقام أقومهُ لدى البأس إلا أننا آخوان

آخر: لئن وصلت أوتنا انتساباً لقد قطعت مرارتنا العقول
 أبوك أبي وأنت أخي وليكن تباينت الطبائع والشكول
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قال لنا المكتفي بالله يوماً ما أهتكت بيت
 من الشعر وأفجر قائل أعرفونه؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول أبي نواس:
 ألا فاستقني خمرًا وقل لي هي الخمر ولا نسقني سرًّا إذا أمكن الجهر
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقني خمرًا، وليكن الحسين بن الضحاك
 الخليل قد قال ما هو أهتكت من هذا قال وما هو؟ فأنشدته:

أتبعْتُ سُكْرًا بِسُكْرٍ وَابْتَعْتُ خَمْرًا بِقَمَرٍ

فقال هذا لعمرى أهتكت من ذلك. قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجرى مجرى ذلك، وليس الهجاء بفتح الوجه وضوالة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بايغاً مرضياً، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت
 المهجو والمدح وأسمائهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يخفى.

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن الثوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢):

سَيَرُوا فُقِدَ جَنَ الظَّلامِ عَلَيْكُمْ فَبئسَ امرؤٌ يَرُجُو القَرَى عِنْدَ عاصِمٍ
 دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالرَّحِ خَاطِبًا^(٣) فَشَدَّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعَمَائِمِ
 وَمَالِيَّ مِنْ ذَنْبِ إِلَيْهِ عَلِمْتُهُ سَوَى أَنِّي قَدْ جِئْتُهُ غَيْرَ صَائِمٍ
 فَلَوْلَا يَدُ الفَارُوقِ عِنْدِي رَمَيْتُهُ بِقَافِيَةٍ يَحْدِي بِهَا فِي المَوَاسِمِ

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فدناها اعتماداً على ما ورد في أسانيد

الكتاب في غير هذا الموضع. (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة

للحزبن باختلاف في بعض الألفاظ. (٣) في الاغانى « كالتيس طاعماً » .

فأيتك من جرم بن زيانَ أوفى نعيم أو النوكي أبان بن دارم
 أناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بدارهم غداً جائماً غرثان ليس بناعم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمي عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبتها عاصماً من أن تلمَّ به أعني ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفاناً
 فبلغه ذلك فقال: الآن طوقني بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم:
 أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت يشاهُ على خبزك مكتوبٌ سيكتفيكم اللهُ
 وقال بشار (١):

وضيفُ عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيفُ للجوع
 آخر: نوالك دونهُ خرطُ القناد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام لحرمتَ المنامَ إلى التناد
 أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ جداً لديك كأنهُ من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفاء شعري ولكني هجوتك للكساد
 وقال آخر: رأى الصيفَ مكتوباً بفضن أبخله وتصحيفه ضيفاً فقام يواثبه

ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان لئال ربا فصار في البخل عبده وصحيف الصيف ضيفاً فقام يلطمُ خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل وأقية البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبزُ إسماعيل كالوششي إذا ماشقُ برفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريباً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاك هذا أطف^(١) الأمة كفا
 فإذا التصق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطمن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنوير ما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عمل^٤ أبدع ظرفاً
 مزجه العذب بماء البئر كفى يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه^٥ مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضا :
 على خبز إسماعيل واقية^٦ البخل فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبز^٧ إلا كمنقأ مغرب تصور^٨ في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما ان تمر ولا نحلي
 وما خبز^٩ إلا كأوى يرى ابنه ولم يراوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبز^{١٠} الا كليب بن وائل ليالي^{١١} يحمي^(٦) عزه منبت البقل
 وإذا هو لا يستب^{١٢} خصمان عنده ولا الصوت مرفوع^{١٣} بجدي ولا هزل
 فان خبز^{١٤} إسماعيل حل^{١٥} به الذي أصاب^{١٦} كليبا لم يكن ذلك عن ذل^{١٧}
 ولكن قضاء^{١٨} ليس يسطاع^{١٩} رده^{٢٠} بحيلة^{٢١} ذي مكر ولادهي^{٢٢} ذي عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذا هو لا يستب خصمان عنده * على قول مهمل
 * واستب^{٢٣} بـ بك يا كليب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردي نصفاً » والجردي: الرغيف . (٣) في الديوان (مفرز أشفى) .
 والاشفى بالكسر: المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمي » .

وقينة أبرد من ثلجة
 كأنها من تنها ثومة
 تفاوتت خلقتها فاعتدت
 لكل من عطل محتجه (١)
 زرنخة شيدت بلبلجته
 تعجبها الدخلة والخرجه
 كأنما فقحتها غمة
 فت عليها طاب ثلجته

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجه *

إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأسقيت نعي تسربلتها كم حجبة فيها لزنديق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحت فإذا اعتضت قلت لهم
 ذاك الأمير الذي طالت علاقته
 خرق النعال وإخلاق السراويل (٢)
 كأنه ناظر في السيف بالطول

وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا : قفا ملك يقضي الموم على ثقب *

وقلت : سوداء يذرف دمعها
 وكأنها من قبحها
 مثل الانون إذا وكف
 سلح العليل على الخرف

وقال أبو تمام :

فأشهد (٣) ماجسرت على إلا
 ووجهك إذ رضيت به ندما
 وزيد الخليل دونك في الشجاعه
 ولو بدلت وجهاً إذا لم
 فأنت نسيج وحدك في القناعه
 أصل به نهراً في جعاه

ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبد الله في السوق راكباً
 رعيت له من جانب السوق مخطاة
 له حاجب من أنفه وهو مطرق
 نوهت أن السوق منها سيفرق

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجه » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقندر به أنفأ وأقندر برُّه على وجهه منه كنيّفٌ معلقٌ
وقال غيره : أنتَ في البيتِ وعريئـك في البيتِ يطوفُ
ومن أقبح ما جاء في قبح الاسنان قول جرير :

إذا ضحكك شبهت أنيابها العلي خنافس سودا في صرارة قلب
وأما خص الأنياب العلي دون السفلى لأنها تبدو في التبسّم والتسكّم وعند
التثاؤب ، وهو كقول الآخر :

إذا كان يهدى برد أنيابها العلي لأققرّ مني اني لفقيرٌ
فشبهه أسنانها بالخنافس وسعة فمها بالقلب ، والصرارة : الماء الفاسد فشبهه به فساد
نكمتها . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيتها قالت لعنما الله كأن بطنها قرية وكان
تديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفس عرفه يقاتل ديكاً .

ومن بديع الهجاء بالتبزيق والتخط والبخر قول ابن الرومي :

تحسبُ مزكوماً وان لم تزككم	من سدة في أنفك المورم
محشرج الصدر برطلى بلغم	إن لم تنزع مرة تنخم
نخامة كالضفدع الموشم	دكسنا رقطاء بقميح أودم
متخطاً بالكوع أو بالمعصم	تضطر من أنف وتفسو من فم
ذانكبة من لم تمته يصدم	حتى دعالك الملاء ارحم ترجم

وقال جحظة^(١) في البخر :

تنفس في وجهي فكذت أموت	وأعرض عني جانباً فحييت
ونسى ؟ حتى حسبت بأني	وربكما يا صاحبي خريت

وقال بعضهم في سرعة الكلام :

كأن بني الان إذ جاء جمعهم	فراريج يلقى بينهم سويق
---------------------------	------------------------

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة .

وقال دعبيل في قصر الشعر :

فوهاء شوهاء لها شـمرة
كأنها خـل على مسح

وقال ابن المعتز في أمر ديبنتف :

وَخَدُهُ مَشُوكٌ مَزُورٌ التلويز
وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٍ مَشْرِقِ الْأَفْرِيزِ (١)
وَقَلْتُ : لَعَبَ الزَّمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَهْدِي بِهِ مُتَكَفِّرًا مَتَعَصِفًا
وَكَأَنَّما صَدَعَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ
كَأَنَّهُ فَرِيضَةٌ كَثِيرَةُ الشُونِيزِ
تَحْسِبُهُ إِذَا بَدَا سِجَاةَ النُّورِوزِ
نَعَبَ الصَّبَا بِالرَّبْعِ حَتَّى أَقْفَرَا
يَنْتَابُهُ (٢) الْحَدَاتَانِ حَتَّى أَنْكُرَا
ثُمَّ اغْتَدَى مَتَصَدِّلاً مَتَزَعْفَرَا
جَمَلَانَ يَنْتَابَانِ سِلْحاً أَصْفَرَا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَعْبَةُ النَّبِكِ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ
فَتَبَّيْتُ بَيْنَ مَقَابِلٍ وَمَدَائِرِ
كَأَجْرِي النَّشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ .
فَتَلَقَى مِنِّي (٣) حَيْثُ شَدَّتْ وَكَبَّرِ
مِثْلَ الطَّرِيقِ لِلْمَقْبِيلِ أَوْ مَدْبِرِ (٤)
مَتَنَازَعَيْنِ فِي فُلُجِ صَنُوبِرِ

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسِينٍ مَشْرَعَهُ
لَهَا بظورٍ فِي اسْتِهَا مَجْمَعَهُ
وَأَمْرَاةً قَاعِدَةً مَرَبَعَةً
كَأَنَّهَا أُرْجَةٌ مَقْمَعَهُ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بالمرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَأَتْ بَابَ النَّجَاحِ إِذْ تَعَاطَيْتَهُ (٥) بِلَا مِفْتَاحِ
لَسْتَ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ فَدَعِ عَنَسَكَ رُكُوبَ الْبِحَارِ لِلْسَّبَاحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (نحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمه من
النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق مني) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .
(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فطمح الحب بالخصي^١ كما يفسطمح . فقد المردى بالملاح
 ليت شمري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجه قرد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة فتراه كونيم الدثباب في الافاح
 إنما أنتم فقاح^٢ فمهلاً ماغناء الفقاح في الأحراح
 إن من يعشق النساء بلا أبـر كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطمان إلا برمح فدعوا^(١) الطمن لاطوال الرماح
 ثم قال : معشراً شبهوا القروود وانكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة . ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سباله بعد أن أطاله :

حلقت سبالك جهلاً بما يواري من النكرات القباح
 فعذبت صحبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أهد الله ذاك السبال فقد كان سترأ على مستراح

وقال ابن السكن :

رجل يعق الكأس كل عشية ويعاقب المسواك كل صباح
 وقلت : قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكروس من في وصف
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله :

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لا عدت فقالوا له من ينف فيه ذا كما كنا

وقال أيضاً يذكر قينة :

مسمومة^(٢) الربق إذا قبلت صحفت التقبيل تقيلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا) .

(٢) في الاصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

قبلها جسدود عرارة يحسنُ للبخراءِ تقبيلًا
فأحشةُ النقصانِ لكنَّها قد كاتٍ بالبطر تكميلًا
أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البطرِ تفضيلًا
إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أمارتَ بظرها الفيلا
غول بيت الشرب من قبها يرونَ في النوم التهاويلا
مأحسنَ الأرقم طوقاً لها وأحسنَ الأسود اكليلا
قد عذبَ اللهُ امرأً نالها طورينِ تعجيباً وتأجيلا
لها ضراطٌ ريحهُ عاصفٌ يطفىء في الليل القناديلا
حلت سراويلي على واسع ماخنته إلا سراويلا
أحلت تنكيلى بباب استها فكان للتنكيل تنكيلا
لورامت التوبة لم تستطع أسنة الشيطان تبديلا
يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيل تذليلا
وهي طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو وجودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرق الباقي على السكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أن الله أعطاك لحيَةً كأنك منها قاعدٌ في جوالق
وقال الآخر : ألم تر أن الله أعطاك لحيَةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفي إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلفه إنسان من الجانِب الآخر التفت إليه فخلصت لحيته من تحت إبطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي بقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحيّة قاضي القضاة لوجهتٌ بمجهودها لم تكن كعنفقته
 إذا أراد الكرى توسدّها فقد كفته مكان مرفقته

: وقال رغبة بن مصقلة لأبي شيبَةَ القاضي : لو كانت لحيته هذه من الذنوب

لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلتُ : قلِّ للعدلِّ بلحية موفورةً وسماً ولحية كلِّ ألحى جهلهُ
 لا يهجنك طولُ نبتك إنّه من طال لحيته تكوسج عقلهُ

وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في

هذا الباب وهو قوله :

ان تطلّ لحيّةٌ عليك ونعرضُ فالحالي معروفٌ للحمير
 علقَ اللهُ في عذاريك مخلّا ةً ولكنها بغير شعير
 لو غدا حكما على اطارتُ في مهبّ الرّيح كلّ مطير
 ارع منها موسى فانك منها شهدَ اللهُ في أنام كبير
 أيما كوسج رآها فيلحق ربّه بعدها صحيح الضمير
 هو أحرى بأن يشكّ ويفرى باتهام الحكيم في التقدير
 ماتلقاك كوسج قطُّ إلا جورَ اللهُ أيما تجوير
 لحيّةٌ أهملت فطالت وفاضتُ فاليها تشيرُ كفّ المشير
 مارأتها عينُ امرئٍ مارأتها قطُّ إلا أهلٌ بالتكبير
 روعةٌ نستخفه لم يرعها من رأى وجه منكر ونكبير
 فاتقِ اللهُ ذا الجلال وغير منكرًا متكّ ممكن التغير
 أوقصر منها فحسبك منها قيد شيرِ علامة التذكير
 لو رآها النبي يوماً لأجرى في لحي الناس سنةً التقصير
 واستحبّ الأحفاءَ فيهنّ والحلّاقَ مكانَ الاعفاءِ والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحْيِ »^(١) .
 وقلت : ان أبا عمرو له لحيَةٌ بعيدةٌ البعض من البعض
 مضى الى السوق وعُثِنُونَهُ أقامَ في البيتِ فلم يمض
 وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ يسلاًها بالطول والعرض
 يدُوسُها الناسُ بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجواز كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
 تراب فاتاه غلامه يرجل يضرب له اللين وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
 القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إني سأخرجها
 من القالب قبل ضرب اللين وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حمقه
 قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لينة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .
 وقال الناجم : لابن شاهين لحيَةٌ طولُهُ شطرُ طولها
 فهو الدهرُ كله عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم لتركت التشنيع المفوظ من
 المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
 كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريز والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
 إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢) .

ومما قيل في الزمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :
 إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جردٌ يستنُّ في لبنٍ محض

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
 كشف الخفا . (٢) ولكن للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
 ان الله يكره الفعاش البئىء اللسان . (٣) نسبها القالى فى الامالى لرجل من
 أهل الكوفة : وفيها : إذا راح فى قبضية متأزراً فقل جمل يستن فى لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^١ لما انكسرت^٢ من قرب بعضك من بعض
وقال غيره : ألا بابيدق الشطرنج في القيمة والقامه
وقال آخر : يمشر الناس في الطريق من دمامته ؟
وقال آخر : فقام الى الغلام أسي وغيظاً بقدم لم يزد فيه القيام^٣
وقال ابن الرومي : أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
وقال الناجم : ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
كأنه السبرغوث لم يخطه في صغر الجفان والقرص
وقال : وعازب الرأي ضيف مغرور مكائر في العلم وهو مكشور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر : كأنهم كلب غم الأضاحي إذا قاموا حسبتهم قعودا
وفي غير هذا المعنى قول الآخر :
إذا لبس الأبيض فمدل قطن وأن لبس السواد فمدل نخم
وقال ابن الرومي في التبع والسواد :
وجهك يا جعفر من قبضه أولى من العورة بالستر
كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر
وقال ابن طباطبا في مجرور :

ذو جدري وجهه يحكيه جلد السمكة
أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكته
أو حلق الدرع اذا أبصرتها مشبكته
أو سفر محبب أو كرش منفرقة
أو منخل أو عرض رفته منتهكته
أو حجر الحسام كم من وسخ قد دلسته
أو كور زبور اذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه حبك
 أو ساحة جامدة تنقر فيها الديك
 يفضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جِدَرِيٌّ مَا شَأْنُهَا وَهِيَ شَيْنٌ كُلُّ أَثْرِ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ نَقْشٌ
 بدلت من ضفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عش

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمر مخبره ومنظره
 شعر تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
 عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
 فصادف على باب عثمانين أسودين كالفتح متعممين بعامتين حراوين فامتحنهما

فوجدهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيت بباب الدار أسودين دوى عماتين حراوين

كجمرتين فوق فخمتين قد غادر الروض قرير العين

جد كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين

يا قبح شين صادر عن زين حدائد تطبع من لجين

ما أنما إلا غرابا بسين طيرا فقد وقعما

ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحب للشيوخين

وخليا الشيعة للسبطين لا تبرما إبرام رب الدين

ستمطيان في مدى عامين صكاً بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عباساً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كُرت على اللؤم ^(١) بما سادته وساءه كُرتك الخاسرة
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أنوابك بالساهرة
 قد كانت الدنيا شفّت لوعى منك ولكن أذنت بالآخرة
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحي أسد القاهرة
 أبارك المسكوه من مثله فاقرة نجتك من فاقره
 وقال فيه : وتصور القبر الذي ضمنت ^(٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتيح لأبي تمام مخلد الموصلي فمجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطأ غادته من المني وقطمان من السكر
 حر الحلاق ويرد الشعر أتلغه فجاءه الموت من حر ومن حصر

ومما قيل في البرد أيضاً قول بمضهم في المبرد :

ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد ^(٣)
 ظلت به عند المبرد قائلاً فما زلت في الفاظه أتبرد

وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين

من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الغناء قول بمضهم :

كاد من برده يجهد روجي ضرب الله شقه بغنائيه
 وقال غيره : غنى انسا نصر فقلنا له مصعب جرّك على السبع
 وحرك العود بأطرافه فكان يحتاج الى الصفع
 فقامت من مجلسه هاربا أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومعن بارد النغممة مختلّ اليدين

مارآه أحد في دار قوم مرتين

صوته أقطع لذات من صيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناءً لا خلاقَ به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
وكلما انخفضت فيه مرزومة
لا تحد عنه بأبواب مصبغة
وقال ابن الرومي :

كل عرقٍ مثل بيت الأرضه
أحسن أصواتها السكوت
منقل فمى عنكبوت
يحاكي طاطساً في عين شمس
كأن بضرسه ضربانِ ضرس
دجاجةً يخفقها ثعلب
من الذي يعجبه أعجب
ويضرب غير الذي نحسب
يقول المحدثُ والمكتبُ
ويقرأ غير الذي يكتبُ
فنحن إذا قلت لا نظربُ
فألى إذا جئتني أذهب
عمائم تنزع جلدَ القفا
وتنف الشوارب فيها سدى
وإذا غنت ترى في حلقة
وقال الناجم : وقتية شتمها قنوتُ
مفودةً لكل غير بطن
وقال غيره : كأن أبا الحسين إذا تنفى
يلوك لسانه طوراً وطوراً
وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقة
ماعجبي منه ولسكني
وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتب غير الذي
فيكتب غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطرابنا
ولا ناسي ؟ إذا جئتني
وقلت : تنفى لنا فجعلنا عليه
جعلنا اللطام لها لحة

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الأحداث عند خروج اللحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته
يازهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
قلت الزمان يريكم العبرا
ماذا لجاه الشعر لو شعرا
واليوم يجرحها إذا حضرا

وقال سميد بن حميد :

فلا آت حين بدت بخدك الحية
 ذهبت بملحك ملء كف القابض
 وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلة السر
 جن عما خلقت
 تب وخف الله على
 كفك مما اجترحت
 هل لك عذر عنده
 إذا الوحوش حشرت
 بلحية ان سئلت
 بأى ذنب تنفت
 وقلت : حصلت في سى ذا غلظة
 كأننى مشط ابن منصور
 بالحية هتك أستارها
 بأصبع منه وأظفور
 فخذ من مسح تارة
 وتارة من قشر بلور
 فتارة كالسك في لونه
 يعجبه المرء فيحكيمهم
 يقول ما أحسن رب الورى
 إذ غرس الظلمة في النور
 وقالت : من شقوة المرء أن تبدوشواربهم
 مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم
 يا ويحهم من لحي جدت منافسهم
 فيهن أو لعبت فيها مقارضهم
 قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيديك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبة وهجنة فعليك به إذا واقمت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه فربما استثير العز من تحت الذلة واجتنب الشرف من شجرة الذلة ورب محبوب في مكروه * والمجد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخييله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب الا لائح في

صفحاته ، وقالوا المماذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصالة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذبياني في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المنجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمستَ لمستَ أختم^(١) جأماً متحيزاً^(٢) بمكانه ملءَ اليدِ
وإذا طمنتَ طمنتَ في مستهدفٍ رابى المحسِّةِ بالعبيرِ مقرمِ
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ نزعَ الخزورَ بالرشاءِ المحصدِ

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكفل على ما تثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كمن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثيرة مدائح النابغة لهم فحسدوا عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يعتذر بما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريباً وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبٌ
لأنَّ كنتُ قد بُلغتَ عنى خيائناً لمبلغك الواشى أغشُّ وأكذبُ
ولستَ بمستبقٍ أخاً لاتبه على شعثِ أيُّ الرجالِ المهنذبُ

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُتبه أنا في ودوني راكسُ فالضواجم^(٣)

(١) في الأصل «أجتم» . (٢) في الأصل (متحيزاً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجم : موضع .

فبت كآني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
 أتاني أبيت اللعن انك لنتي وتلك التي نستك منها المسمع
 إلى أن قال :

فان كنت لاذوا الضغن عني مكذب ولا حياي على البراءة نافع
 ولا أنا مأموم بشيء أقوله وأنت بأمر لا محالة واقع
 فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المتأني عنك واسع
 وقال : أنبت أن أبا قابوس أو عدني ولا قرار^(١) على زار من الأسد
 مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أتمر من مال ومن ولد
 لا تقذفني بركن لا كفاء له وان تأتمك الأعداء بالرغد^(٢)
 ما قلت من شيء بما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
 ها إن ذى عذرة إلاتكن نفعت فأن صاحبها قد تاه في البلد^(٣)

فخاع عايبه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضرا مطرفة للجواهر، وقد ذكرنا
 الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
 البحري : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
 لو لم يكن للبحري إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثله
 وقصيدته في صفة البركة « ميلوا إلى الدار من يلى نحيبها » واعتذاراته في قصائده
 إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثله ، وقصيدته في دينار التي
 وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها « ألم تر تغليس الربيع المبكر »
 وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
 إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
 أولها « لوت بالسلام بناأ خضيبا » فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أي احتوشوك فصاروا حولك كالأنافي ،
 والرغد جمع رفدة وهي العصابة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النكد) .

فدَيْنَاكَ من أَى خطب عرا
 وإن كان رأيك قد حالَ في
 يربيني الشيء تأنى به
 واكره أن أتمادى على
 أكذب نفسي بأن قد جنيت^(١)
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
 أيصبحُ وردى في ساحتك
 وما كان سخطك إلا الفراق
 ولو كنتُ أعرف ذنباً لما
 سأصبرُ حتى ألقى رضاك
 أراقبُ رأيك حتى يصحَّ
 وقوله : عندي من الايام رنقن مشربى
 واكسبني سخط امرىء بت موهناً
 تبلج عن بعض الرضا وانطوى على
 إذا قلت يوماً قد تجاوزَ حدّها
 وأصيد إن نازعتهُ الطرف^(٢) ردّه
 تناه العدى عنى فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعرت
 أمتخذُ عندي الاساءة محسن
 ومكتسبٌ في الملامة ماجد
 يخوفنى من سوء رأيك معشر

(١) في الاصل (فأوليتنى) (٢) في ديوان البحترى (أ كذب ظني بأن قد سخطت)

(٣) في ديوان البحترى (نازعتة الملحظ)

أعبدك أن أخشاك من غير حادث
 أنست الموالى فيك نظم^(١) قصائد
 أعد نظراً فيما نسخت هل ترى
 رأيت للعراق ناكرتى وأقسمت
 وكان رجائى أن أووب مملكا
 حياء فلم يذهب بي الفى مذهبها
 ولم اعرف الذنب الذى سؤتى له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 إذ كرك المهيد الذى ايس سؤدداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجنه متصلاً
 لى الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدى الفعال أداة
 وان صنع المعروف زاد وتما

ونحن نقول إن لكل شىء ثمناً وثمان خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتى
 اليك الثمة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابى اليك وقد خفضت لك جناح الذل فى الاتصال مما فرط
 فتفضل على بالقبول لئلا يلجئنى هجنتان هجنتان هجنتان هجنتان لى . وقد
 قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفى هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تعذر على العذر جعلت معولى على فضلك أبلغ عنذراً أقدمه وأقوى سبب أو كده .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكرى عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل:
 ما حملك على بذلك وجهك فى حوائج الناس؟ قال انى لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شأ كر ولا فى لا أبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود . وليس صدق العذر عندي بدون إنجاز الوعد ولا اكداء السائل بأغظ من الاجحاف . بالمسؤول ولا أرى السر أغبالي بالمسألة بحسن ظنه بي أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذي يتحمله من لدى والعرب تقول ان مع الهية الخبيثة والفرصة خاسه فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هزرتك لأني ظننتك ناسياً لوعدي ولا أني أردتُ التقاضيا
ولكن رأيتُ السيفَ في حالٍ سله الى الهزِّ محتاجاً وان كان ماضيا

ومن مليح ما يجري في هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قريش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك : ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب فأهل ذلك أنا ، فمفاهمه ، فأخذه بعض المحذنين فقال :

فان طابقتني فبسوءِ فعلي وما ظلمتُ عقوبةً مستفيدِ
وان تغفر فاحسانٌ جديدٌ دعوتَ به الى شكرٍ جديدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك وتمتك بأحبتك وأعطاك مأمولك في نفسك وأعزتك وأطاذك من قطعة أحبابك وجنبتك نجيب أودائك ولا جعل للهجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك فتعيش في ضان الفرح ويوء حاسدك باعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشوق أدام الله توفيقك من شرائب أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينهردون بذله اللئيم وبدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة فى تنظيف اللباس
وتحسين الرياش وبجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طرقة وتأمل ما هديت اليك فيه فإنه يمينك عليه ويحسن أسبابك
ويكبت لأهلك فيه ويكون جلاء لناظر ك وشحذاً لناظر ك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى التشبب وأوصاف الحسان ومايجرى مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعانى ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وماذرفت عينك إلا انضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل

يقول ما بكيت إلا لتجرحى قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدنه علة بسهميك يعنى عينيهما ، والمقتل
المنزل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكرى عن فرع ضاللة وهن بنا خوص يخنن نعاماً

ولم نسمع الا اعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيان أقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلت لى مُشتفٍ بلقائها فخم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :

ما يرجع الطرفُ عنها حين أبصرها حتى يعود إليها القلبُ مُشتاقاً

وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبليغ منه :

أعانقها والنفسُ بعدَ مَشوقَةٍ إليها وهل بعد العناقِ تداني

وألم فها هي تموتَ حزازي فيشتدُّ ما ألقى من الهيجان

وما كان مقدار الذي في من الجوى ليشفيه ما ترشفُ الشفتان

فإنَّ فؤادي ليس يشفي ريسه سوى أن ترى الروحان تمزجان

ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :

هبتُ شمالاً فقالَ من بلد أنت به طابَ ذلك البلدُ

وقبَّلَ الرِّيحَ من صبايته ما قبَّلَ الرِّيحَ قبلةَ أحدُ

وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟

قال أنى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن

الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا ظلك ، أخذه بشار فقال :

إني لا أكتُم في الخشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها

ويبيت بين جوانحي وجدُّ بها لو بات تحت فراشها لا قلبها

وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً نفرِّد بالتمام فلا تمامُ

فلو ألقىته ما بين ماءٍ ونارٍ كلٌّ بينهما التمامُ

وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :

سلالة نورٍ ليس يدركها^(١) اللامس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس

به^(٢) أمست الأهواءُ يجمعها هوى كأنَّ نفوس الناس في حبه نفس

وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بدر ك). (٢) (به) سقطت من

الأصل فاستدر كناها من الديوان ، وفي الأبيات نصحيح صححناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامه بأذنى وان غُيبتُ قرطاً معلقاً

ومن ظريف التشبُّب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبتَ يا من لحسني في مودِّته ماصورة البدر الأذونُ صورته

ياربِّ ان لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن فرجٌ من طول جفونه

فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحه خدَّيه بلحيته

ومن الظريف قول كشافج :

كان الشفاه اللعس منها خواتم من النبر مخنوم بهن على الدر

ولأعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدي :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)

أليس يزين العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا

واتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لترتَع لم ترتع بأذنى المراتع

كأنَّ لدها سائفاً يستحثها كفى سائفاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صَبَّ يَحْتُ مطاياهُ بذكركم وليس ينسأكم ان حلَّ أوسارا

يرجو النجاة من البلوى بقر بكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودتُ ضربه إذا عادَ قلبي في معاهدا ذكر

وقلتُ له لقاءً ويحك سببتُ لك الضربَ فاصبر إن عادَ نك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطعَ الاحراجَ أغناق الابل فهي تسيرُ سيرةً مُشتاقٍ عَجَلُ

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الاصل « يزن » وفي الاغانى (يزيد) .

وقول الآخر وقد ألفز :

إنَّ لها لساناً خَدِجاً لم يُدْلِج اللَّيْلَةَ فيمن أدبجاً

وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتلُ شوقها زيارتي كلما يقتل برده عطش الصدى

فأما أجود ما قيل في التذكرة على البعد فقول بعضهم :

اذكر أخانا تولى الله صحبته أنى وان كنت لالقاءه ألقاه

الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقلت : ذكرتهم والنوى بينى وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كان حاصانى

بل كيف أذكر عهداً نسيه هل يمرض الذكر إلا بعد نسيان

ونحوه يقول السرى :

غضبان ينسانى وأذكره وينسام عن إيلى وأسهره

وبجوره ماضار مورقه حظى وحظ سواى مشره

وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهره

لم يقتسم فى العاشقين أنسى إلا حظى منه أوفره

فأصبح فى نفس أصمده وأعوم فى دمع أجدده

ومن مליح ذلك قول بشار :

وإنست بناس من يكون كلاًه بأذنى وان غببت قرطاً معلقاً

أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس :

سموت إليها بدم مانام أهالها سمو حجاب الماء حالاً على خال

وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمى (١) :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلته لانا ولا زاجر

(١) غاب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجيه .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب المساء لأن لسمو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من أبيات ظريفة أولها :

قالت ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيت الباب من دوننا قلت فاني وائبٌ ظافرٌ
قالت فإن القصر من دوننا قلت فاني فوقه ظاهرٌ
قالت فإن الليث عاد به قلت فسيفى مرهفٌ بانرٌ
قالت فهذا البحر ما بيننا قلت فاني سابحٌ ماهرٌ
قالت أليس الله من فوقنا قلت بلى وهو لنا غافرٌ
قالت فأما كنت أعيتنا فأت إذا ما هجم السامر
واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لانه ولا زاجر

ومن مליح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرفنى رسلاً والليل كالطيلسانِ مُعتكرٌ
فقلن جئنا إليك عن ثقة من عند ضوء كأنها قمر
هل لك في عادة مُنعمية يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طول إذا التفت وفي خطاها إذا مشت قصر
فهمت أسمى الى مُحجَّبة نضى منها البيوت والحجر
فقلت لما بدا تخفرها جودى ولا يمنحك الخفر
قالت توقرو ودع مقالك ذا أنت امرؤٌ بالتبيح مشتهر
والله لانت ما تطالب أو ينبت في بطن راحتي شعر
لا أنت لى قيم فتخبرنى ولا أميرٌ على مؤتمر
قلت ولكن ضيف أذاك به تحت الظلام القضاء والقدر
فاحتسبي الأجر في إنالته وباشرى قد تناول العسر
قالت فقد جئت تبغى عملاً تكاد منه السماء تنفطر

فقلت لما رأيتها حرجت وغشيتها الهموم والفكر
 لا عاقب الله في الصبا أبداً أنثى ولكن يعاقب الذكر
 قالت لقد جئتنا بمتدع وقد أتتنا بغيره النذر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها تر
 قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
 وجهك وجهه تمت محاسنه لا وأبي لا يمسه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء (١) أفعالها
 وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاكم يمدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها (٢)
 دائمة الأعراض عن فما يخطر لي ذكره على بالها
 صغيرة عظمها حبها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء أفعالها
 لم أطمع العذال فيها وقد أصفت إلى أقوال عذالها
 تمضى بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس باقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سر بالها
 لو لم يكن من برد ساقها لا احترقت من نار خالخالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخالخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا بسن خالخال كذب أسماء الخالخال

يقول لا تخلخل الخالخال في سوقهن أى لا تتحرك فقد كذبه أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبيح) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها).

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكان الشمس نيط بها قمر يمناه والقدح
صد إذ مازحته غضباً ماعلى الأحاب إذ مزحوا
وهو لا يدري لنخوته أننا فى النوم نصطاح
م لا أنسى مقالته « أظفيلى ويقترح »

ومن أفراد الممانى قول الشاعر :

وإنى لأغضى الطرف عنها ستراً ولى نظره لولا الحياء شديد
وسها قالت لقد نلت وده وما ضررتى بخل فكيف أجود
وقالوا أنسب بيت قائمه العرب قول الآخر :

سبق لها فى مضمر القلب والحشا سريرة ودي يوم تبلى السرائر
ومن أجود ما قيل فى حسن الحبيب فى عين المحبوب قول عمر بن أبى ربيعة :
خرجت غداة النحر أعترض الدمي فلم أر أحلى منك فى العين والقلب
فوالله ما أدرى أحسناً رزقته أم الحب يعنى مثل ما قيل فى الحب
وهو من قول النبي ﷺ « حبك الشيء يعنى وبهم^(١) » وأنشدنى أبو
أحمد عن الصولى عن أحمد بن سعيد الشامى عن الزبير بن بكار لعمر بن أبى ربيعة :

زعموها سألت جاريتها وتعرت يوم حرّ تبتود
أكما ينعتنى تبصرنتى عمر كن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود
حسداً حمله من أجاهها وقديماً كان فى الناس الحسد

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفت بصحراء الحجون وناقنى لها بين قاع الاخشبين حنين
غموساً لقد فضلت فى الحسن بطة على الناس أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنسكركم بعض المحدثين أن يسكون استحسنانه لطيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسن^ه والله في عيني وفي كل^ه العيون
قيته^ه بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقم^ه قسط^ه سوى سقم العيون
لم أصفها^ه بجمال هوى أم الجنون
بل لحسن^ه وجمال قول حتى^ه ويقين

وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا من^ه يلوم^ه عليه أنظر بعيني إليه
فلست تبرح حتى^ه تصير^ه ملك^ه يديه

وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع مني حكت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأن^ه بيض^ه نعام في ملاحفها إذا اجتلاهن^ه قيظ ليله ومد

وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشهور .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :

أبدت^ه لنا كالشمس تحت غمامة^ه بداحاجب^ه منها وضنت^ه بحاجب^ه (١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدت^ه كأن^ه الشمس تحت قناعها^ه بداحاجب^ه منها وضنت^ه بحاجب^ه

وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :

كان^ه النبي بلقائنها^ه فلقيتها^ه ولهوت^ه من لهو امرئ مكذوب
فرايت^ه مثل^ه الشمس عند طالعها^ه في الحسن^ه أو كدنو^ه لها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضنت بحاجب »

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر
وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طين^(٢) العدو لها فقيرَ حالها
وسعى إلى بعيد^(٣) عزة نسوة^(٤) جعل الآله^(٤) حدودهن نعالها
ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها
قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :
فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما رأيتي وقلن امرؤ باغٍ أكل وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم بقمس ذراعاً كلما قسن أصبعا
فذكر أنهم لم يتقنن الحسن وجوهن ، أخذه من قول الشماخ :
لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا
ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أى الوجه بالشمس فقال ابن الرومي
كالشمس غابت في حمرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :
تديه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير
فان يك أشبهها منه قليلا فقد أخطأها شبهه كثير
لأن الشمس تقرب حين تسمى وأن البدر ينقصه المسير
ونور محمد أبداً تسام على وضوح الطريقة لايجور
وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أى فطن ، وفى الاصل غير منقوطة .
(٣) في الامالى « بصرم عزة » . (٤) في الامالى (جعل المليك) .
(٥) في الامالى (موقف) . (٦) في الأغاني « أشرفت » .

يابدر إنك قد كسيت مشابهاً
وأراك تمصيح في الحاق وحسنها
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظامت
البدر ليس له عين مكحلة
وقال النظام : يامشرفاً ملاً العيو
أوفى على شمس الضحى
وزاد آخر على هؤلاء كلمم فقال :

إذا عبتها شبهتها البدر طالما
وحسبك من عيب لها شبهة البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا

فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وانأت عنك غاب اللهو والغرح
كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تنغني فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلاد
يعاد حديثها فيزيد حسناً وقد يستقبح الشيء المعاد

وقال الجاني :

إذا كنت لم أفقد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيداً
تباعد نفس إذا ما بعدت فليس تمارد حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيءَ حسناً فما أعمُ ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العودِ أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء عن الأصبغى قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذهُ فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

باتَ بهي يعالج السهرا وراح نشوان يقسمُ النظرا

أغيد ماءُ الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملكت ماءَ الشبابِ كأنها قضيبٌ من الریحانِ ريان أخضر

وقال السرى : ومخطف بهتزعن ماء الصبا كأنما يهتزعن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرَّبَ ماء النعيم فلو عصرَ الحسنُ منه انعصر

يمرُّ فأمِنْحه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العينُ في نفسه فما جففت بطالوع القمر

وقال ابن المعتز : يحرك الدل في أنوابه غصنا ويطالع الحسنُ من أزراره قمر

وقال ابن الرومي : تمتعت وجهك في بديتها جددٌ وفي أعقابها آخرُ

وقوله : مخففة مثقلة تراها كأن لم يمد نصفها الغذاء

إذا الاغباب جددٌ حسن شيء إذا من الأشياء جددها اللقاء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعينُ منه إليه تنقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إنَّ اسمَ حسن لوجهها صفةٌ ولا أرى ذا غيرها. اجتماعاً

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع^(١) اللفظ معنيين مما
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيالك من خسد أسيل ومنطقي رخييم ومن خلقٍ تعامل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجود
عيباً فهو يتعامل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العباسي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفرزاري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أظرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان إذا أنشد بربر وحبس صورته
فاذا راجحك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحر فاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجمنى وإياهم مرع فأنا في يوم ما وقال لي يا عصمة إن مسياً منقرية وبنو منقر أخبت حتى وأقوفه
لاثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة زدار عليها مياً فقلت اى والله إن عندى
للجوذر قال على بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف عرف النساء ذا الرمة فقمنا إلى بيت مية وجئنا حتى
أنحننا وسدنا ووقعنا - لنا تتحدث واذا هي جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عمر
واذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ماياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
أنشدن يا عصمة فأنشدن قوله :

نظرت إلى أظمان مية كأنها ذرى النخل أوائل^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العيان^(٤) والصدر كأنهم بمسخر ورقٍ نمت عليه سواكبه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض
الفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثر من مصارع العشاق والأمالى وغيرها .
(٣) في ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكي وامق^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائها أسراره ومعاتبه
فقال ظريفة ممنهن لكن الآن فليجل فنظرت اليها مي ، ثم مضيت في القصيدا الى قوله :
اذا سرحت من حب مي سوارح^ه عن القلب اتته جميعاً عوازيه
فقال ظريفة قتله قتلك الله فقالت مي ما أصحبه وهينئله فتنفس ذوارمة تنفسه
كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقول بها إلا الذي أنا كاذبه
إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحاربه
فقال ظريفة قتله قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
حتى انتهيت إلى قوله :

إذا راجعتك^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضال الدرر سالبه
فيالك من خد أسيل ومنطق رخم ومن خلق^(٣) تملل جادبه
فقال ظريفة للنساء ان لهنين لشأنا فقمنا بنا فقمنا وقمت معهن فجلست في
بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبت ، فلبث
قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفتنا به مي وهذه قلائد
للجوذر ولا والله لأأخذهن بعيراً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فسكان يختلف
اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتاني فقال يا عصمة قدرحت مي ولم
يبق إلا آثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحتي
أتبنا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

ألا فاسلمى يا دارمي على البلى ولا زال منها لاجر عائك القطر
قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وإن كان مني ماترى .

ذى الرمة « فأبديت من عبي » وفي المصارع والامالي (فأسبلت العيمان والقلب
كاتم) . (١) في ديوان ذي الرمة (هوى الف جاء الفراق ونم تجل) .

(٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالي « ومن وجه » .

قال فما رأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقتنا
وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبى ناره ومامشر دبت إليه عقرب وقت السحر
دبت الى ظبي بعينيه حور ديب لوطى توارى وانتشر
فظفرت لظفرت أى ظفر وهكذا العقرب للقم

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي
قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يجهين قتالنا
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاننا
وقال آخر قول ذى الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ماتفعل الخمر
وقال آخر بل قوله :

يدكرنى ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور
(و مراراً) حشوا ليجتاح اليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع ^(١) :

وكأني بين النساء أطارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرتقت في عينه سنة وليس بناسم
أخذ بعض المحدثين قول جرير وهن أضعف خلق الله أركاننا فقال :

كأني ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشئ :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني
أمية مداحاً لهم خاصة بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرملة أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها
ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لان متنّ السيف والحدّ قاطع
ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهما ثمّ انثت عنه فكادَ بهم
ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهنّ أليم
ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جمل الفتور بعينه كحلا فحفونه وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرن من خلل السجوف كأنما يطرّف أحشاء الكريم نبالا
ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعت بنا تلك المهاجر في المهاجر
أضى وأنفذ في القلوب بمن الخناجر في الخناجر (١)
وقلت : فأرعى تحت حاشية الدياجي شقائق وجنة سقيت مداها
إذا اكترت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهامها
وإن مالت بعطفه شمول سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى
لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العميون فأنشده
بيتي جرير * أن العميون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كتبه السفلة
بالسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الأعرابي :

نبارز أبطال الوغى فنيدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب

وليست سيوف الهند تقى نفوسنا ولكن سهام فوقت بالخواعب

فجن ثعلب استحساناً لم يقل اكتبوها ولو بالخناجر على الخناجر - كما في هامش الاصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها تصمان نصف مؤنث^١ ونصف كخوط الخيزران مذكور^٢
 تعبد من شاءت بهين كأنها وإن سقيت ويا من النوم نسهر^٣
 وقلت : راحت نيمس^٤ وحولها خرد كالبدن بين كواكب شهب
 فلا ت^٥ طرفي من محاسنها ونسيت^٦ ما يجني على الصب^٧
 عين اهل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قلبي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^٨ فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه
 فسكرت^٩ لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه
 وغدا قتم^{١٠} عليه عهد وسمه ؟ أثر من التقبيل في شفثيه
 وسقام عين لم تنق^{١١} طعم الكرى يدعو العوائد في الصباح اليه
 وقلت : إذا ما جاءني بالأخذ^{١٢} عنى تشاغل^{١٣} طرفه بالأخذ مني

وقال البحتري :

أجد النار تستعار^{١٤} من النار وينشأ من سقم عينيك سقمي
 وقلت : يسعى^{١٥} الى مقرطق^{١٦} في كفه كأس^{١٧} وبين جفونه كأسان
 وقد أطرف^{١٨} البحتري في قوله :

والذي صير الملاحه في عيب^{١٩} عيبه وقتاً والسحر في أجفانه
 لا أطمت^{٢٠} العذول فيه وإن أسد^{٢١} عرف في ظله وفي عذوانه
 فدعا اللوم في التصابي فاني لأرى في السلو^{٢٢} ماريانه
 وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون

وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل^{٢٣} شبيه^{٢٤} بفرعها شبيهاً^{٢٥} بيمينها وشكلاً^{٢٦} بخدّها

(١) في نسخة « كزه » مكان (كأسه)

فتسكّر من عين وكأس ووجنة تحييك أعتاب الكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغرّ كأنه بردٌ تحدر من متون غمام
 وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيبكة برداً أسفّ لثاته بالأمس
 كالأقوحيان غداة غبّ سمائه جفت أعاليه وأسفله ندى
 شبه الشفتين لرقتهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 يُفلسجن الشفاه عن اقحوان^(١) جلاه غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحترى :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين راحي الدر منا ولاقطه
 فن بردٍ تجلوه عند ابتسامها ومن أولو عند الحديث أساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحترى :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصي المرجان من كفت ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحترى أيضاً :

ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير اللحم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

نقره عند سرده كالغراب المزرد
 مثل درّ منظم بين درّ منضد^(٣)

وقد أحسن البحترى وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «منتهى الطالب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) . (٣) منضد غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ وبشتمه جسي التماح
 وشتمتاً بعضٌ من لؤلؤ النظم --- م ويُرزى على شتمت الاقاحي
 فأضاءت تحت الدُّجينة للشر ب وكادت نصيبهُ للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بألحا ظيَ مراض من النصابي صحاح
 فطربنا لمنّ قبل المثاني وسكرنا منهنّ قبل الرّاح
 وتدير^(١) الجفون من عدم الألسبـباب مالا يدورُ في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساربع في أفواههنّ عقيقُ
 دهاى منها ترجس يرشق الحشا وهل ترجس يالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة موفق تجمع فيه لؤلؤ ورحيقُ
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 النغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقبلت أفواهاً عذاباً كأنها ينابيعُ خمر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .
 وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :

وما تعتبرها آفةٌ بشريةٌ من النوم إلا أنها تتخترُ
 كذلك أنفاسُ الرّياض بسحرة تطيبُ وأنفاسُ الأنام تغيرُ
 هذا التمثيل مديح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :
 يارُبّ ربيّ بات بدرُ الدُّجى يمجُّهُ بينَ ثناياكا
 يروى ولا ينهالك عن شربه والماءُ يرويك وينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
 سقتهُ ابنةُ العمريّ من خمرِ عينها ووجنتها كأساً ييمتُ ويدنفُ

فقال امزجها بالرضاب لسهل يسكن من خمر الهوى ويخفف
فصدت ملياً ثم جادت بريقة يزيد بها سكر المحب ويضعف
فراح بضعف سكره من مزاجها وقد يسأل السدل الولاة فيضعف
فهل من مزاج زاد في سكر شارب سوي ريق ذات الخلال أم أنت تعرف
وقال : مزجت خرة عينها بريقها كما تسكنف غنى من حياها
فاشتمد إسكارها إياي إذ مزجت ومزجك الكأس ينهي عنك ظنها
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعي أحسن ما قيل
في العنبر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتنق إليه الندى غاديه والمروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يزهر وينفح منها المسك والعنبر
وردية بمحدها كأنها من خده تنعصر
مذهبان إلا كنبيد الجواهر

مهفف لم يتسم ضاحكا
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدر لا يغنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
في فمها مسك ومشعولة صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للنكبة والحمر للسر بقية واللؤلؤ للثغر

جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبري :

تلك الثنايا من عقدها نظمت أم نظم العقده من ثناياها
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كفسدير وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
وقال : قلتُ للكأس وهو يكرع منها
وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم
بأبي حبيب كنتُ أهمله
عقب السلام بمسكة نفحتُ
وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بجنى عذوبته يمرُّ بثغرها
وهو من قول بشار :

يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
وقول بشار من قول قيس :

بماء الندى من آخر الليل غابق
كانَّ على أثوابها الخمر
كما شيم من أعلى السحابة بارق
وما ذقتَه إلا بعيني تفرُّساً
خليق الثنايا بالعدوِّة والبرد
ومثله قول الآخر : وتبسم عن الملى اللثام مفلج
وقال ابن الرومي :

عريضٌ وما عندي سوى ذلك مخبر
بدا لي وميضٌ مؤذنٌ أن صوبه
فكم مخبرٌ يديه للعين منظر
وما ذقتَه إلا لشمِّ ابتسامها
وقال عمارة بن عقيل (١) :

وقيمه يردى تهلل في نعب؟
كانَّ على أنيابها مبيت السكرى
وقلب وما أنباك أشعر من قلب
تأمل عين لانهيل إذا ارتأت
قبلَ المذاق بأنه عذب
وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحب له
قبلَ العيان بأنه ربُّ
والليلُ برخي الفضل من ستره
كشهادةٍ لله خالصة
وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره

(١) شاعر مدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة .

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قد مات الرقة في شطره ومات النظفة في شطره
 فأزوه غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدرى وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 ونفره ينظم من عقده أم عقده ينظم من نفره
 فن عذير الصب من صده ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهنَّ يبننن من قولٍ بصين به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هي الدرُّ منشوراً إذا ما تكلمت وكالدرُّ منظوماً إذا لم تسكلم
 تبتدُّ أحرار القلوب بذاتها وتملأ عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ما أجدى هোক سوى المتى على وما ألقاك إلا كما أخالو
 ثم قال : وشمر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن .
 وعندى ان أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومي :

وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قنتل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يمل وان هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) ماملها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشق) . (٢) في الأملى (ونبهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

واقصد سئمت ما ربي فكان أطيها خبيث
إلا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت : وحديث كأنه عقد ربا بيت أرويه للرجال وتروي
وحديث الرجال روضة أنس بات يراعه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل
ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً
شريعاً في امرأة خفزة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيء بها البيت القليل خصاضه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما
قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعمى :

كان مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث ولا عجل
قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي
قيس بن الأسلت (١) :

ويكرمها جاراتها فيزورها وتعزل عن إتيانهن فتمتنر

أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خارجة (٢) :

أني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم السكائب الألفا

وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال
الألف لاتعانق اللام إلا والللام معانقها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأني طانقت ربحانة تنفست في ليها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عابها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم^ه في الهوى واحد^ه كأننا عقدا^ه في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^ه مَضِينَ قطعها وطوالها بالقاصراتِ قصار^ه
أخلو النهار على النهار وانى والبشمس^ه لى دونَ الشعارِ شمار^ه
خدا^ه ورد^ه والنواظر^ه نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرضاب^ه عُقار^ه
حتى إذا ما الليل^ه أقبلَ ضمنا^ه دونَ الأزارِ من العناقِ إزار^ه
فعلى النحورِ من النحورِ قِلادة^ه وعلى الخدودِ من الخدودِ خمار^ه
وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومى :

طالما التفت^ه الى الصبـح لنا ساق^ه بساق

في قناع^ه من^ه لثام^ه وإزار^ه من^ه عناق

وأشده أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتد^ه صاحبه^ه كارتداء^ه السيف في يوم الوغى

بجدود^ه شافيات^ه من جوى^ه وشفاه^ه مُرويات^ه من ظما

نتساق^ه الربق^ه فيما بيننا^ه زامات^ه القطا زغب^ه القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعمشى :

فأنضيت^ه منها الى جنب^ه تدات^ه على^ه عناقيد^هها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتمجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحب^ه من قيام^ه فرعها^ه وتغيب^ه فيه^ه وهو جئ^ه (١) أسحجم

وكأنها فيه^ه نهار^ه ساطع^ه وكأنه^ه ليل^ه عليها^ه مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) فى الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفى الامالى « وحف^ه أسحجم » .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والمـدو الخنق
فكأنني وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ايلي مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها (١)
أغصان بان أبدعت (٢) في حملها
طالت ليالى الحب بعد فراقها
ولرب ليالات بهن تفرجت
ما كان ذلك الميش إلا سكرة
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها (٣) وبهجة زهرها
لم تبسل عينك أبيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقبيصتها
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة
فهل أنت باك على اثره
سيكثر من بعد ترحاله
بنفسى الذى قلته وشحه
يريك الحنادس إدباره
مليح الدلال قليل النوال
وقلت : رخيم فاطر اللحظ

سلاسل كسرت حلقتا
اذا مانت عنك أجماله
وهل تشجينك أطالاه
توجع صب وإعواله
وضاق بما فيه خلخاله
ويبدى لك الصبح اقباله
جميل وان قل أجماله
رشيق مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جباها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الاصل (حدامها).

وقد مُعِمَّ بالليل وقد قنع بالفجر
وما ينفعني حسنتك يا أحسن من بدر
إذا كان نصيبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه (١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خاخاله بضفاثره
ويكتم الأسرار حتى إنه ليصونها من أن تمر بخاطره
لأنعصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله « ومصافحاً خاخاله بضفاثره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
تعوم أعجازهن عوماً وتثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفردة (٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت (٣) وقفاً لا لبي حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجهها كى ظلمة الليل فوق ضوء الصباح

وقال السرى :

قصرت ليلة الخورنق حسناً والليالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الأنام فيه رياض ومياه السرور فيه غمار
وجنات تحير الورد فيها ونغور جرت عليها المقار
فضحاه من الذوائب ليل ودجاء من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها خنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزة المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج ياوى إلى فرعه الدجى
 ففيه ظلام بالصباح معمم
 يروق سليمى منك جعد مساسل
 وفرعك من صبغ الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض بنفسه الحيا
 أبلغ ما قيل في صفة الاصدغ والعدار : فمن يدعي ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :
 له ظمرة كجنح الغداف
 وفي عطفة الصدغ خال له
 وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت
 وقوله : غلالة خده ورد جنى
 وقلت : وكان دارة صدغه وعداره
 وقال ديك الجن :
 فقام مختلفاً كاليدى مطافاً
 رقت غلالة خديه فلو رميا
 كأن لاما أدبرت فوق وجنته
 وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
 فأذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ريق أهيف كالقضيبي محضرا
 فإذا جلا لك غرة في طرة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تمانق خده وعداره
 وقال آخر : عجيبي لخضرة زعفران عداره
 ولسكنها عن وجهه تنفرج
 وفيه صباح بالظلام متوج
 ويسليك منها أقحوان مفلج
 وخذك من ماء الجمال مضرج
 تمشطه أيدي الرياح فيهبج
 فن يدعي ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :
 تلوح على غمرة مقمرة
 كما استلب الصولجان السكره
 لما دنت من نار وجنته
 ونون الصدغ منقوطة بخال
 ألف تقوم تحت نون تعطف
 والخشف ملتئمنا والغصن منقطعنا
 باللاحظ أو ماها بأن يكفا
 واختط كاتبها من تحتها ألفا
 رأيت تفاعلة بها عضه
 والروض بين مجدود ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
 أو كبت أبلج كانبصاح الأبلج
 أوى بقلبك أبلج في أدعج
 يجلود حسن مفلج ومضرج
 فانظر عناق عقائق وبنفسج
 ومن المعجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم نثى مناطمه على هضم الكشجينِ مشوق
 يبطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
 مسطر الخدِّ بالعدارِ ولا يحسنُ غصنُ إلا بتوريق
 وقلت : له وجنتنا ورْد وعينا غزالةٍ وغرّة اصباح وطيرة غيب
 وصدغ يناجى الاذن وهو مُعقرب وطوراً يناغى الخدَّ غير مُعقرب
 له من ظلام الليل أحسنُ ما لبس وفوق ضياء الصبح أحسن ما لعب

وقال الصنوبري :

تلك طرارٌ عليك أم حلقٌ زانك صدغانِ أم هما زرْد
 وقلت : يفتنُ القلبَ بخدِّ لم يدعْ للورْد قدرا
 مثلها تكتبُ بالمسك على الكافور سطرًا
 وعدار يسحرُ الصببُ وما يعرفُ سحرا
 وبصدغ دار في الخدِّ كما تعقدُ عشرا
 كلما أظلم (إلى) (١)

وقال ابن المعتز :

لعرك ما ازرت ييوسفَ حيةً ولكنه قد زاد حسناً وأضعفا
 فلا تعتذر من حبه في التجائه فما يحسنُ الدينارُ إلا مسيفا
 وقال في خضرة الشارب :

تبسم إذ ما زحتسه فكأنما تكشف عن دُرِّ حجاب زبرجد (٢)
 وقال بمض المتأخرين وأحسن :
 ومعدّرين كأن نبت خدودهم أفلامُ مسك تستمدُّ خلوقا
 قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعما فقت خلف من صدغه خلفا كالعين في العينِ وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأنما النور مضحكٌ يقق وعظيمةُ العنصن شاربٌ خضر

وقلت : وترى النورَ مثلَ مضحكِ خود وترى العنصنَ مثلَ شاربِ أمرد

ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكتُ في حارضيهِ على جهيدٍ بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأته أنها قد أخطأت وجنتُ ولتتُ أعودُ فدارتُ كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذي عاجلهُ أنه جار عليه فوقه

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانمطنا وصار نونا إذا صيرته ألفا

ما كنتُ إذ خنتني إلا أختني لم تستعض منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول .

وقلت : وقد التوى ضدغوه واختطَّ عارضهُ كأنه ألفٌ من فوقه نونٌ

وقلت أيضاً ولم أسبق إلى معناه :

ومفزعج قال الكمال لوجهه كن مجهماً للطيبات فكأنه

زعم البنفسج أنه كهذاره حسناً فسلوا من قفاه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسج عارضه ينثي إلى حمرة من وجنتيه

فيجعل قلبي في كفه يسبي إليه ويمدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسرٌ كصو الجايت برد ضربته

وقال هـ وصدغه كالصولجان المنكسر

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبير العجيزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشأ في البيت ملزوم
قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمية ونصفاً تقسا يرتج أو يتمرمر
وأنشد بيت الأعمش :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^٢ إذا عشت يكاد الخصر ينحول^(٢)
وأنشديت ذى الرمة :

عجاء ممكورة خصانته فلق^٣ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)
فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها فلق شبعان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سامي ونسامي تفوق المنى ؟ والوصف أنواعاً وألوانا

وشاحها يحسد خالخالها كجائع يحسد شبعانا

نقله إلى وصف السلو ، وأخذ ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباء غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وريان من ماء الشباب كأنه^٤ يضاً من ضمير الحشا ويجاج

(١) في ديوان علقمة (خرابة) . (٢) في ديوان الأعمش (بنخزل) .

(٣) فلق وشاحها لضمور بطنها : والقصب : العظام التي بها المنخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبي^١ كأن^٢ بخصره من ضربه ظمأ وجوما
وقلت : وقد بعصن او فانا كشمات كفسور
وقد شدت زنائراً على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنائير شدن عقودها زنائير عكان معاقدها السرر

وقال مؤمل وأفرط :

من زأى مثل حبي تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد^(١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً^(٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه
يا من بسلِّمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبه من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لبن القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرحيق وطيبه ومزاج شاربه ومشى نريبه
وقلت : لا والظباء الآسأت إذ آرانت فاقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً ونحن نحن لاطاماً أو ملن ملن غصونا

ويدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقتته وأخو المروءة لا يكون خؤونا

وقبل هذا: مترجح الارداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد بمقد ايها

داب النعيم له فأنمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الغم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أي

أخذه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرأي روضاً ممطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأملى لخالد الكاتب. (٢) في الذيل (لما أن بدا متبختراً)

وَأُولَئِكَ مَنظُومًا وَمَنشُورًا بَلْ لَأَبْصُرَ أَعْطَافَ الْفَتَيَانِ تَنَثَّنَى تَنَثَّنَى فِي الْأَعْصَانِ فِي قِرَاطِقِ
الْحَبِيرِ وَمِنْ رَرَاتِ الدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَقَدْ أَطْلَعْتَ أَرْزَارِهِمْ بَوَاهِرِ الْأَقْطَارِ مَطْرَفَةَ
بِعْقَابِ الْأَصْدَاغِ وَحَلَقِ الْأَطْرَارِ فَأَقْبَلُوا بِسَفْرُونَ عَنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ وَيَسْمُونَ
عَنْ حَبَابِ الرَّاحِ وَيَمِزْجُونَ الدَّلَالَ بِخَجَلِ أَسْأَرِهِمْ فِيهِمُ الْوَصَالُ فَإِذَا حَضَرُوا وَكَلُوا
الْأَبْصَارُ وَإِذَا غَابُوا الْعَتُوهَبُوا الْقُتُوبُ وَالْأَفْكَارُ فَهَمَّ الدَّاءُ وَالِدُوعُ وَمِنْهُمْ السَّقَمُ وَالشِّقَاءُ .
وَمِنْ الْأَفْرَاطِ فِي ذِكْرِ الْغَيْدِ وَهُوَ لَيْنُ الْقَامَةِ قَوْلُ مَأْنَى (١) :

أَتَمَّنَى الَّذِي إِذَا أَنَا أَوْمَأْتُ إِلَيْهِ بِطَرْفِ عَيْنِي تَجَبَّنَى
أَهَيْفُ كَالْفَضِيبِ لَوْ أَنَّ رِيحًا حَرَّكَتْ هَدْبَ ثَوْبِهِ لَتَنَثَّنَى

وَأَجُودُ مَا قِيلَ فِي النَّهْودِ وَعَظُمَ الْعَجِيزَةُ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : بِيضَاءِ جَعْدَةَ لَا يَمَسُّ
الثُّوبَ مِنْهَا إِلَّا مَشَاسِنُهُ كَتَفَيْهَا وَحَمَتِي تُدَيِّبُهَا . أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ أَوْ أَخَذَهُ الْأَعْرَابِيُّ
مِنَ الشَّاعِرِ :

أَبْتُ الرَّوَادِفُ وَالْتَدَى لَقَمَصَهَا مَسَّ الْبَطُونِ وَإِنْ تَمَسَّ ظَهْرًا
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشَى تَنَاقَرَتْ نَبِيْنُ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا
وَقَلْتُ : تَمَشِي بِأَرْدَافِ أَيْبِنَ قَعُودَهَا بَيْنَ النِّسَاءِ كَمَا أَيْبِنَ قِيَامَهَا
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِي النَّهْودِ :

بَا غُصْنًا إِنْ هَزَّهُ مَشِيهُ خَشِيْتُ أَنْ يَسْقَطَ رُمَانُهُ
إِرْحَمِ مَلِيكًا صَارَ مُسْتَعْبَدًا قَدْ ذَلَّ فِي حَبْكِ سُلْطَانُهُ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ دَرِيدٍ عَنِ الْعَكْلِيِّ عَنِ ابْنِ خَالِدٍ عَنِ الْهَيْمِيِّ
ابْنِ عَدَى قَالَ قَعَدَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى جَانِبِ دَارِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ فَنَجَرَتْ جَارِيَةٌ
فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا نَظَرُكَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِكَ أَقْبَلَ عَلَى شَأْنِكَ
وَاصْبِرْ ، وَالْجَارِيَةُ تَسْمَعُ - فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ رَبَّلَاتِ تَصْطُكُ وَغَضَنَ يَهْتَزُّ وَتَدَى بِحَرَقِ
أَهَابِهِ وَتَقُولُ اصْطَبِرْ ، فَضَحِكَتْ الْجَارِيَةُ وَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا مَدَحَنِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا مَدَحَنِي

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وأنت
لما يما يكفى عنه الريلات بجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أبا ورداً على غصن بكر اللحظ يلقطه
ورماناً على فبن يكاد المشى بسقطه
أنى والبدر يحسده شمس الدجن تقبضه
وخوف الناس يقبضه وحب الوصل يبسطه
وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلك أن تهجرى وأقبح من ذلك أن تهجرى
أفأنتى بفتور الجفون ورمانتين على منبر
كحقيين من لب كافورة برأسيهما نقطتا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الضبا وقد فاجأتها العين والستر واقع
فقطت بكفيها (١) ثماراً نحوورها كأيدى الأسارى أقتلتها (٢) الجوامع
وهو حسن جداً ومثله قول النعمري :

أعيرُ كيفَ بحاجة طلبت إلى صم الصخور
لله درُّ عداكم كيف انتسبن إلى الغرور
ونقد تبيت أناملى تجنين رمان الصدور
وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قُب البطن وطى العكن
يملاً الكف ولا يفضله وإذا أتيتيه لا ينثى
وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهن حقائق عاج وحلى زانه حسن اتساق

(١) في ديوان الصريع « قطت بأيديها » . (٢) في الأصل « أقتلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الخلى من هذى الخفاق
 أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر:
 يسمن بها ذو مؤمتين مقرطق^(١) قنات أنامله من الفرصاد
 فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس:
 باقراً أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
 بيكي فيلقى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
 وقال ديك الجن:

ودعتها ففراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
 وحاذرت أعين الواشين وانصرفت تعض من غيظها العناب بالبرد
 فكان أول عهد العين يوم نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
 ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر:

قالوا الرحيل فأسرعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
 فاخضرت موضع كفها فكأتما غرست بأرض بنفسج عنابا
 وقال الناشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى:

من كف جارية كأن بناها من فضة قد طرقت عنابا
 وكان يمانها إذا نطقت به يلقى على يدها الشمال حسابا
 وقال أيضاً: لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمتين
 نخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
 وقال: متعاشقان مكأمان هواهما قد نام بينهما العتاب فطابا
 يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأتما يتدارسان كتابا
 وإذا هدت عين الرقيب نخالست كفها جلس السلام سلابا
 بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأتما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق).

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنبيه له عناباً
يذكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :

انظر الى نقش من أطرافها البضة . مثل البنفسج منثوراً على فضه
أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضه
ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تواب :

كهاب عليها لؤلؤٌ وزبرجدٌ ونظمٌ كأجوان الجرادِ مفصل
قوله «كأجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .
ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمسُ في كفه وأنجمُ الليل عليه رعاث
وهو من الليلِ ومن طرفه وشعره في ظلالٍ ثلاث

أحسن ما قيل في صفة الدمع اذا امتزج بالدم قول أبي الشيص :

لهوت عن الأحزان اذا سفر الضحى وفي كبدى من حرٍّ هنَّ حريق
مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤٌ وعقيق
وقول أبي تمام : نثرت فربداً مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم^(١)
وصات نجيماً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
وقال : أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيأليت شمري هل تراعونها بعدى
ودمع نثرت دُرره وعقيقه كأنى حلات العقدة من طرف العقدة

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

لو كنت يوم الوداع حاضراً وهنَّ يطفئنَ لوعةً الوجد
لم ترَ إلا الدموعَ جاريةً تسقطُ من مقلة على خدِّ
كأنَّ تلك الدموعَ قطرُ ندى يقطرُ من زرجسٍ على وردٍ
ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المغرم) . (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجم)

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَرَاحَ الدَّلُّ وَدَعَّتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَتَخَدُّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ طَلٌّ
ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :

فَأَسْلَبْتُ لَوْلَوْ أَنَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ
ليس لهذا البيت نظير . وقلت :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجَنَّتَهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرَدَةَ غَضَهُ؟

ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :

كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْدَانِ

ونحوه ما أنشدناه أبو أحمد في العرق :

يَحْدِرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الدَّمْعِ سَخٌّ فِي الْجَبِينِ وَفِي الخَدِّ
فِرَادَى وَمَثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِيطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ

ومثله ما قلت :

أَخْرَجَهُ الحَمَامُ كَأَنَّهُ يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
كَأَنَّهَا المَاءُ عَلَى جِسْمِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسْوَسَةٍ غَضَهُ

وفي صفة الدمع :

تُورِي دَمْعِي مِنْ خَدِّكَ مَخْتَلِسٌ وَسَقَمَ جِسْمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٍ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُوهُ هَوَاكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ

وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الاعراب أظنه :

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فِرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
وقول البحتري في معناه :

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ المَوْتَ الصَّقِيلُ
وَقَفْنَا وَالمَيُونُ مُشْغَلَاتٌ بِمَالِجِ دَمْعِهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ (١)

(١) في أمالي القالي (بمقابل دمعها نظر قليل) .

نَهْتَهُ رُقْبَةُ الْوَاشِيْنَ حَتَّى تَعْلَقَ لَا يَفِيضُ وَلَا يَسِيلُ
قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَبَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الرُّصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى النِّسْرَامُ سِرَائِرِي وَأَضْمَرَ لَلْمَذَالِ مَا بَيْنَ أَضْغَلِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ نَعِشْتُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبِكَا لِي رَاحَةٌ وَعِنَانٌ سَرَّيْ فِي يَدِ الْكَيْتَانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَتْ وَأَشْيَاءُ رَقَاتٌ دُمُوعِي خَشِيَّةَ الْإِعْلَانِ
ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشُّوقِ تَحْزُرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكَوُ الْهَوَى بِدُمُوعِ قَادِهَا قَلِقَ حَتَّى عَلِقَنَ بِجَهَنَّمَ رَدَّهَا الْغُرُقُ
فِي فُؤَادِي سَبِيلٌ لِلْأَسْبَى جَدُّهُ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلِقَ
لِهَيْبِ قَلْبِي أَنْفَضَ الدَّمْعَ مِنْ بَصْرِي وَالْهَوْدُ بِقَطْرٍ مَاءٌ حِينَ يَحْتَرِقُ
ولا أظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَاطْمَأَنَّ خَدِّي تَجْمَلُ الْوَرْدُ دَخْرًا مَا وَتَنَارُ دَمْعًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ
ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدِرَا
لَأُحَادَ تَنَاجِ الْخُدُودِ بِنَفْسِجَا لُثْمِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عَنِّي
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوماً بيت ذي الرمة :
لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ بِشْفَى نَجْمِي الْبَسْلَابِلِ
وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا
والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى
ففيه مسلاةٌ وتسهيّلٌ
وهو إذا أنت تأملتُه
حزنٌ على الخدين محلول
وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرُّه
والدمعُ يشهدُ أنني لك طاشقٌ
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني
والدمعُ معترفٌ به لم يجحد
والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
نظمتُ أولواً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لأجوابٍ لمفحم متحير
إلا الدَّموعُ تصانُ بالأطراف
قوله « تصان بالأطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها
وقد سبقتها عـبرةٌ فدموعها
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .
ومن غريب المعنى قول الآخر :

عَدَّتْ بأحبي طولُ المطايا
وكان الدمعُ لي ذخرًا معدًّا
فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
فأنفقتُ الدَّخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلوه المعرض قتر كته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى وورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزنِ معشبة
بمضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ
خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
مؤزرٌ بعيم التبتِ مكتهلٌ

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :
وما ریح قاع ذی خزامی وحنوة له أرج من طیب النبات طازب
بأطيب من می إذا ما تقلبت من الليل وسنى جانباً بمد جانب (١)
إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين . ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطائرية:
خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقا يطيب ويكثر
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إن التبيحة جلدها لا يشكر
قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن . أخذه ابن الرومي فقال :
ألوف عطر تذكي وهي ذاكية إذا أساءت جوار العطر أبدان
نعيم كل نهار من مجامرها ويشمس الليل منها فهو ضحيان
كأنها وعشان الندى بشمها شمس عليها ضبابات وادخان
وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالألفاظ
بديعة وهو قوله :

وما ریح قاع زاهر مست الندى وروض من الریحان سمحت سمحاته
فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جر من ذبل الغلالة ساحبه
بأطيب من أثواب شمر موهبا اذا الليل أدجى دابر كتابه
اذا رغبت عن جانب من فراشها تضيوع مسكاً أين مات جوانبه
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :
ذكرتك بالريحان لما شمته وبالريحان لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذي في ديوان القطامي :

وما ریح روض ذی أقاح وحنوة وذی نفل من قلة الحزن عازب
بأطيب من لیلی إذا ما تمايلت من الليل وسنى جانباً بمد جانب

تذكرت بالريحان^(١) منك روايحاً^(٢) وبالريح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرت أيام اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه بذكري منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :

يربي وفد الصبا والليل يقضي نجبه
 مر بروض زاهر ذر عليه عشبه
 فحذاته من طيبه نشوة من أحبه

ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

نضوع مسكاً بطن نمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربع الذي غير البلا عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداب ربيع المسك فيه وإنما به المسك إذ جرت به ذيلها جمل
 وقوله : وأنت الذي حبت سعداً إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواها
 حللت بهدي مرّة ثم مرة بهدي قطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الخسحاس ، كان أسود وحلوا الشعر رقيق الحواشي . (٤) «النميري» ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية، وفيه «عطرات» بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كلَّ أرضٍ يعمتها^(١) وإن مضت لها حجاجٌ يزداد طيباً تراها
وقد طرف ابن الأحنف في قوله :

وجدَ الناسُ ساطعَ المسك من دجـة—للة قد أوسعَ المشاربَ طيبا
فهمُ ينفرونَ ذلك وما يد رُونَ أن قد حلت منها قريبا

وقال البحترى : فكان^(٢) العبير بها وأشيأ

وقلت : تأملت منها غزالاً ريبا

جلت لك عن خضل واضح

وهزت لنا بسراة الكثيب

عشبة راحت وأتراها

كواكب ليل إذا ما رأته

وأقمار روض قمرن^(٣) العقول

إذا زدتها نظراً زدته

رحلن العشبية من ذى الغضا

وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيبت من طيبها

ووجهها أحسن من حلبيها

ولو قيل ان هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً. ومما هو غاية قول

إمريء القيس :

ألم تر أني كلما جئتُ طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وقد طرف القائل :

(١) في الأصل (دمتها). (٢) في الديوان (فضان) (٣) في هامش الأصل : ما عليه

لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجناس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع في النفوس .

أناها بعطير أهلها فتضاحت^١ وقالت وهل يحتاج عطر^٢ إلى عطر
وقد أجاد البهتري :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان

وأشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :

سقى لأيام مضت^٣ وكان^٤ معهدا حلوم

أيام بقى^٥ لي ويفسني رهطه الرجل العريم

إذ لا دليل على^٦ في برد الضحى إلا النسيم

أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١) :

ولولا أن^٧ يقال صبا نصيب^٨ لقلت بنفسى النشء الصغار

بروحى كل^٩ مهضوم حشاها إذا ظلمت^{١٠} فليس لها اتصار^{١١}

إذا ما الذل ضاعفن^{١٢} الحشايا كفاها ان يلات^{١٣} لها الازار^{١٤}

ومن مليح ذلك قول عوف بن محلم^(٢) :

وصغيرة علقها كانت من العن السكبار

كالبدري إلا أنها تبقى على ضوء النهار

وأشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف :

جارية أذهلها اللعب^{١٥} عما يقامى الهائم^{١٦} الصب^{١٧}

شكوت^{١٨} ما ألقاه من حبهما فأقبلت^{١٩} تسأل^{٢٠} ما الحب^{٢١}

ومن مليح ذلك ماروى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها

أبكر أنت أم ثيب؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة^{٢٢} فأجبتهم خير^{٢٣} المطي لدى^{٢٤} ما لم يركب

كم بين^{٢٥} حبة لؤلؤ^{٢٦} مثقوبة^{٢٧} لبست^{٢٨} وحية^{٢٩} لؤلؤ^{٣٠} لم تنقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعي الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) .

فقاتل الجارية: إن المطايا لا يلدن ركوها مالم تذال بالزمام وترك
والدر ليس بِنافع أربابه مالم يؤلف في النظام ويثقب
قد أحسنا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحب أم لك للفؤاد بقره من أن يرى للسر فيه نصيب
وقلت : آفة السر من جفو ن دوام دواع
كيف يخفى مع الدمو ع الهوى في الهوام
مارأينا أخا هوى سره غير ذائع
إن نيران حبه باديات الطوامع

من أظرف ما قيل في ذكر الشرك في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالي جفيت وكنت لأجفئ وعلامة الهجران لا تخفي
وأراك تمزجني ونشربني ولقد عهدتكَ شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يا فوز لم أهجركم لللالة منى ولالقال واش حاسد
لكنتى جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو اليه فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس بكفيها محب ولا ألفا محب كل عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

ومما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأي ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كيلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يومىء قول البيهقي :

قصائد ما تنفك^ه فيها غرائب تأتي في أضعافها وبدائع
مكرمة^ه الانساب فيها وسائل^ه إلى غير من يجي بها وذرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفيع الستر^ه فأنثى غصن^ه بان^ه يتجلى الهلال^ه في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصله اللذيد جناه
فلو أنى كنت في بعض شعري فاذا ما شداه قبلة فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المعشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن ٤٤ :

وما نظفة^ه كانت سلالة^ه بارق^ه تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أتياب^ه تلم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخت^ه حتى لو أنى سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المعشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :

ظي^ه له من قلوب الناس نابتة^ه من المودة^ه تيجي أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعاً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار^ه فيه^ه كأن^ه عليه^ه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل^ه شيء من محاسنها كامن^ه في حسنه مثلاً
ليس فيها ما يقال^ه له كالت^ه لو أن^ه ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تعداها * أخذه أبو تمام فقال :

ممتددا لم يمتددا عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكل أم عقله
 انظر فما عابت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للعحسن تمن المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لو لم يكدر صفوها مطه
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
 للناس في الشهر هلال ولي من وجهها كل صباح هلال
 وقال: متتانه بجباله صلف لا استطاع كلامه تبا
 لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التيهاء
 وقال: ألاحظ حسن وجهته فنجرحني وأجرحها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي هواك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كأنك إشرقا وحسنا وقله رحمة للمستكين

أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب

وقد مر قبل . ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي :

ماساءني إعراضه عني ولكن سرقي

سافئناه عواض عن كل شيء أحسن

وقال الآخر وأحسن :

صدعني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد

صدعني من غير جرم إليه ليس إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبيه له في كثرة اعتلال المشوق على العاشق وكثرة تجنيه عليه قول بعضهم :

شكوت فقالت نكل هذا تبرا بجبي أراح الله قلبك من جبي

فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجى الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواى تؤذيتها وصبرى يسوءها
وقرب منه قول مسلم :

ويخطىء عذرى وجه جرمى عندها
إذا أذنبت أعددتُ عنراً لذنبها
بذكرك مات الياأسُ في حضرة المني
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

وصبوة قلب ما ترى القلب شافيا
فصرت أرى للخلل ما لا يرى ليا
أرحم ظلاماً وأذكر ناسيا
جفانى وسمانى اذا غبت جافيا
ولست كمن يدنو فينأى تفاسيا
اليه وإمساكى عليه وداديا
ولو خالى أنساه لم يك نائيا
فيأمن سلوانى ويرجو غراميا

صبابة نفس لا ترى الهجر حاليها
نزلت على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنت أمل باخلا
ومن شأنه أنى إذا ما ذكرته
على أنى أنأى فأدنو تذكراً
ويجبني حبي له وصبابتي
فلو ظننى أسلوه لم أك هاجراً
ولكن عشقى في ضمان جفونه

ومن أصاب وصف العاشق الصادق العشق على حقيقة الذى يقول :

إذا قربت دارم كافت وإن نأت
وإن وعدت زاد الهوى لا انتظارها
ففى كل حال لا محالة فرجة
ومثله قول الآخر :

وما فى الأرض أشقى من محب
نراه باكباً فى كل حسين
فيمسكى ان نأوا شوقاً اليهم
وان وجد الهوى حلوا المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
ويمسكى ان دتوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنسائي وتبرد (١) عينه عند التنسائي
ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :

إذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيبه عتب (٢)
وأبكي إذا ما أذنت خوف عتبها (٣) فأسالها مرضاتها ولها الذنب
وصالكم صرم وحبكم قلى وعطفكم صد وسامكم حرب

ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد و يروى لفضل الشاعر :

ما كنت أيام كنت راضية عنى بذاك الرضا بمغتبط
علماً بأن الرضا سيبه منك التجنى وكثرة السخط
فكل ما ساءنى فعن خلق منك وما سرتنى فعن غلط

ومن البديع فى طلب نيل المشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
وإلا فابذلى من غير وعد فقد تكف السماء بغير رعد

وقلت فى نحو ذلك :

تسي على بعد الدبار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
كثير سرورى فى قلب وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد

ومن أبلغ ما قيل فى الرضا عن المشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفى فى السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر
ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الانبارى لجميل (٤) :

(١) فى الأصل (تسخن). (٢) فى ديوان ابن الاحنف (علمى به أن سوف يتبعه العتب)
(٣) فى ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر المذرى

وإني لأرضى من بثينة^١ بالذي لو استيقن الواشي لقرت^٢ بلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالا مل المكنوب^(١) قدخاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أوأخره لا نلتقي وأوائله
 وكان جميل يصدق في حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلت^٣ منها محرماً غير أنى إذا هي بالت^٤ بلت^٥ حيث تبول
 وعفة هذا كعفة المتنبى في قوله :

أني على شغفي بماني خمرها لأعف^٦ عما في سراويلاتها

سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثني
 أبو يحيى الزهري عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريد^٧ لأنسى ذكرها فكأنما تمثل^٨ لي ليلي بكل^٩ سبيل
 وأنسب عندي منه :

وقل أم عمري وداؤه ودواؤه لديها ورياها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل في شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يود^{١٠} بأن يمسي سقيماً لعلها إذا سمعت^{١١} منه بشكوى ترأسله
 ويهتز^{١٢} للمعروف في طلب العلى لتحمد^{١٣} يوماً عند سلمى شمائله
 وقلت في معناه :

وقلت^{١٤} عساها إن مرضت^{١٥} أمودني فأحببت^{١٦} لو أتى غدوت^{١٧} مرضيا
 وزدت^{١٨} اتساعاً في المكارم والعللا ليصبح^{١٩} جاهي عندهن^{٢٠} عريضا
 ومن الشعر المختار في النسب قول أبي المطاع :

كان كثير^{٢١} راوية جميل وجميل راوية هدية وهدية راوية الحطيئة والحطيئة راوية
 زهير بن أبي سلمى . (١) في وقفيات الاعيان (وبالامل المرجو) .

أفدى الذى زرتة والسيفُ يخترنى
ولحظُ عينيه أمضى من مضاربه
فأخامت نجاداً في العناق لهُ
حتى لبستُ نجاداً من ذوائبه
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبه
من كن في الحبُّ أشقانا لصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر :

يقدر الصباية عند المغيب
تكون المسرة عند الحضور
وأطيب ما كان برد الثغور
إذا هو صادف حراً الصدور
ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسلمني هواهُ
ولم أعلم بأن الشعرَ حينى
فظلت لشقوتى أفدى وأمى
سوادَ عذاره بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهلك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم
بأى وجهٍ أتلقاهمُ
ما تصنعُ الشمسُ لهُ فينا
إذا رأوني بمسدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السوا قول ابن الرومي :

أسماءُ أى الواعدينَ ترينهُ
أشدك ما مطلقاً فاني لأدرى
أنتِ بنيلٍ منك يبردُ غلتي
أم النفس بالسوانِ عنك وبالصبر

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولي
عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء
فعرُ النؤادِ عزاءَ جميلا
فلن نستطيعَ إليها الصمودَ
ولن نستطيعَ إليك النزولا

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :
قد سحب الناس أذيالَ الظنونِ بنا
وفرقى الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن^٢ بنيركم وصادق^٣ ليس يدري أنه صدقا
وهذا معنى غريب بديع ما أظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * النخ قول الآخر :
شكوت^٤ إلى بدر^٥ هوأى فقال لي ألت ترى بدر السماء الذي يسرى
فقلت^٦ بلى قال^٧ التمس^٨ فإنه نظيري ومثلي في علو^٩ وفي قدر
فإن نلت^{١٠} فاعلم^{١١} بأنك نائلي وإن لم تنله^{١٢} فابغ^{١٣} أمراً سوى أمرى
فكان^{١٤} كلا البدرين صعباً مرامه^(٢) فويل^{١٥} من بدر السماء ومن بدرى
ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن
عبد الله بن طاهر :

ليس^{١٦} عندي شحط^{١٧} النوى بمظلم فيه غم^{١٨} وفيه كشف^{١٩} غوم
من^{٢٠} يكن^{٢١} يسكره^{٢٢} الفراق فاني أشتبه^{٢٣} لموضع التسليم
إن^{٢٤} فيه^{٢٥} اعتناقة لوداع وانتظار^{٢٦} اعتناقه لتقدم
فلكم^{٢٧} قبلة^{٢٨} وغيبة شهر (هي) خير^{٢٩} من امتناع مقيم
وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كان^{٣٠} في الفراق عناق^{٣١} جعل^{٣٢} الله^{٣٣} كل^{٣٤} يوم فراقا
أجود^{٣٥} ما قيل في خفقان القلب قول قيس بن ذريح^(٣) :

كان^{٣٦} القلب ليلة^{٣٧} قيل^{٣٨} يندى بليلى^{٣٩} العامرية أو يراح^{٤٠}
قطاة^{٤١} عزها^(٤) شرك^{٤٢} فباتت تجاذبه^{٤٣} وقد علق^{٤٤} الجناح

فلولا^{٤٥} التضمين الذي فيه^{٤٦} لكان غاية. ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومما هو من الحزب^{٤٧} بعالج^{٤٨} سورة^{٤٩} الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فيجاهل^{٥٠} » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكناني من شعراء العصر الاموي من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأمالي ، وفي الأصل « غزها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبُ مُمَقَلَّتِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ قَلَقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ

وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيباً لست أعرفه ما أنكر القلب إلا كلما خفقا
ياشوق إلفين حال البين بينهما فما فاصاه على التوديع فاعتنقا
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بعدم شفقا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولو داو الككل طيب (ركب) بغير كلام ليلى ما شفاكا
ولو أصبحت تملك كل شيء سوى ليلى عتبت على غناكا

ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المشوق قول أبي ذؤيب العجلي :

أحبك يا جبان وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو أتى أحبك حب نفسي خلفت عليك بادرة الطعان
لا أقدمي إذا ما الخليل جالت وهاب شجاعها وقع الطعان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل

قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجت فلم أظفر وعدت فلم أفرز بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فيا حسرتي ما أشبه اليأس بالعتى وإن لم يسكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيل بينها وبينك لو يأتي يأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعافى بلا عفا وقد جن من وجدى بليلى جنونها
ومثل ذلك : فإن يك عن ليلى غنى وتجلد فرب غنى نفس قريب من الفقر

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشده نبيه أبو أحمد :

إذا (بوماً) بايت وذاب جسمي لعلَّ الريح تحملي إليه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنته فما يطيق ضعفه^(١) حمل اسمه
فلا يراك هائداً إلا بمين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يبرى أعظم الجسم حبها
وقد ذُبت حتى صرتُ إن أنا زرتها
وقال دبك الجن وبالغ :

أنحل الوجد جسمه والحنين
لم يعش أنه جليدٌ وليكن
وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فما مضى خاتم
وذُبت حتى صرتُ لوزج بي
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليت جسمي من بعد جدته
كأنه رسمٌ منزل خلقه
فما تكادُ العيون تبصره
تعرفه العين ثم تنكره

ومما لا أظن أن له شيئاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حدثت إسمي إذ بليت بحبها
نظرت إليها والرقيب يظني
على حوالٍ يغني عن النظر الشزر
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الاعراب :
ألا قاتل الله الهوى ما أشده وأصرعه للمرء وهو جليد

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحترى لامات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتُهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُمرِّج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في بحىء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتمَّ عناقهُ لقلومه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
فضى وأبقى في فؤادى حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني

الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفت له فتنفتُ عليه الصمدا
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدا

وأنشدنا عنه لأبي العمير (١) :

لقيتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عمرٍ ونحن حرَّامٌ مُسيءُ عاشرة العشر (٢)
فكلمتها نثنين كالثلجٍ منهما وأخرى على لوحٍ أحرٍّ من الجمر
الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صبايةً وبعيدٌ من فرطِ اشتياقٍ طريقتها
وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها

ومن جيد ما قيل في رد المدلول :

(١) هو عبد الله بن خليل . كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان
مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت نصحيح صححناه
من الأملال ، وفيه : عن عمر : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرَّام : أي محرمون ،
ومسيءُ عاشرة العشر يعني أنه لقيها بعرفات عشية عرفة وهو مُسيءُ عاشرة العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفت كبدٌ مما يقلن صديع
وكيف أطيعُ العاذلاتِ ووجهها يورقني والعاذلاتُ هجوع

ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
وإنى لا أستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودةً بالهجر
وأنذرُ بالهجرانِ نفسي أروضها لأعلم عند الهجر هل لي من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هي الهجرُ لا والله ما لي لك الهجرُ
ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقت يوماً أحببتها صبرُ
وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حين تهجر
والزيادة في قوله :

وأعلمُ أن النفسَ تكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجران يوماً وتغدر
وما عرّضت لي نظرةً مذعرتها فأنظر إلا مثلت حين أنظر
وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تميلُ لي ليلي بكل سبيل

وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن

الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كان هجراني لها من ملالةٍ ولسكنني جرّبت نفسي على الصبر

ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو

أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالوا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرُّ الصبا صفاً بساكن ذى الغضا فيصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبةٌ عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كل نفس أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طوالح عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإما أغار ابراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول :
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب (١) به أهل مي زاد شوقى (٢) هيوها
 هوى تذرّف الميمان منه وإما هوى كل نفس أين (٣) حلّ جيبها
 وقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرنى ياظلم تبينى شمائل بادي البث منصدع القلب
 بريثاً تمنى الذنب ما هجرته (٤) لكما يقال الهجر (٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها فقد فجعتنى بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قعنا نيك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكي ، وذكرك الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشف ويشفق
 وقلت : قد عريت أنهارنا حين اكتست أردية الريح عشياً وضحى
 لم يبق فيها غير ما يندكى الجوى ويصرف النوم ويبعث البكي
 وأنشدنا أبو القاسم :

الأحى من أجل الحبيب المغانيا نبسن البلى مما لبسن اللباليا
 ولأعرابي : طلالن طالّ عليهما الأبد دثرا فلا علم ولا نضد
 نبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأحية مثل ما أجد

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقى)
 (٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمته)
 (٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب الحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله . ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساءِ السودَ من حبِّ تكتمٍ ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
 فبحثنى بمثلِ المسكِ أطيبَ نفحةٍ وجئني بمثل الليلِ أطيبَ مرقدِ
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهه ومن بدن ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبتِ سوادَ الجمالِ منقصةً فانظر إلى سعةٍ في وجنة القمر
 روى للجاحظ :

يكونُ الخلالُ في وجهه ملبح فيكسوه الملاحاةُ والجمالا
 ولستَ تملُّ من نظره إليه فكيفَ إذارأبتَ الوجهَ خالا
 وقد ملبح بعضهم في خلاف ذلك :
 إنَّ الذي يعشق من لا
 وإنَّ من يعشقُ زنجيةً اسكالذي ذلك في الظلمة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أني سريت وكنت غير سرور وتقرَّبُ الاحلامُ غير قريبِ
 ما معنى يقضى فقد تؤتبه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كان المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من لهو امرئ مكذوب
 وقول عمرو بن قميصة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر فحل .

نأتلكَ أمانةً إلا سؤالا وإلا خيالاً بواني خيالاً
خيالى يخيل لي نيلها ولو قدرت لم تخيل نوالا
وهذان معانى القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل في بخل المعشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال ، ومن البارع الفصيح في هذا المعنى قول البعيث^(١)
أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالع
فأعطتك آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلتها وخوادع
على حين ضمَّ الليل من كل جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجم
وأعجلها عن زورة لم أفز بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطم
وأحسن النعميرى حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : « ز الكرى طيفها وهنا خيالى »
لأعرف أنه سبق الى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزَّارتُه فكرتى فى المنام فأتاها فى خيفة^(٢) واكتتام
يا لها ليلة تزاورت^(٣) الأثر واح فيها سرّاً من الأجسام
بجاس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا فى دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبل:
سرى طيف ليلي حين حان هبوب قضيت شوقى حين كاد يؤوب
ولم أر مطروفاً يحل بطارقى ولا طارق يقرى المنى ويثيب

(١) هو خدش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البعيث بقوله :

تبعت منى ماتبعث بعدما استمر فزادى واستمر عزيزى

(٢) فى ديوان أبى تمام « فأتانى فى خيفة » . (٣) فى الديوان (نزهت) .

يقول ان العادة أن يقري الطارق المطروق والخيال طارق يقري المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقتنا فأنا لتُ نائلاً شكره لو كان في النبة الجنحود

ثم قالتُ وأحسنتُ عجبى من سراها حيث لا تسرى الأسود

لا تعجبُ من سرُّانا فالسرى عادةُ الأقمارِ والناس هجود

فأريت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقتُ غلاة الرقيبِ فزارتُ تحت ليلٍ مطررٍ بنهار

فتمعجبتُ من سرُّها فقالتُ غير مستطرفٍ سرى الأقمار

ثم مالتُ بكأسها فسقتني جلناريةً على جلنار

آخر : فياليت طيفاً خيلتهُ لى المنى وإن زادنى شوقاً إليك يعودُ

أكلفُ نفسي عنك صبراً وسلاوة . وتكليف مالا يستطيع شديداً

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطيع) وأما تكليفه في الحقيقة فهو شديداً على المكلف

وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردى . وقال الحمدوني :

لم انلهُ فنلتسهُ بالامانى فى منامى سرّاً من الهجران

واصل الحلمُ بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحنُ مقترنان

وكانَّ الارواحُ خافتُ رقيباً فطوتُ سرُّها عن الأبدانِ

منظرٌ كانَ نُزّهةَ العينِ إلا أنه ناظرٌ بغير عيانِ

وقال ابن المعتز :

لا فرجَ اللهُ عن عيني برؤيته ان كنتُ أبصرتُ شيئاً بعدَهُ حسناً

الإخباراً عسى ان تمتُ بطرقى وكيفَ يحلمُ من لا يعرفُ الوسناً

وقال : كلامهُ أخدع من لحظه . ووعدهُ أ كذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فنه قوله :

بمينك اعرالى وطول شهيقى وإخفاق عيني من كرى وخفوقى

على أن تهويماً إذا حارض الطبى^(١) سرى طارقة في غير وقت طروق
فبات يعاطيني على رقبة العدى وبمزج ريقاً من جناه بريقي
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عبير صائك وخلوق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خبر أذناي غير صدوق
وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل في الرقاد غزالاً
يا كشفه للسكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
فعدا المتيم وهو أكبر صبوة وأشد بلبالاً وأكسف بالاً
وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢):

ليالى أرمى في جنابك روضة وآوى إلى حصن منبع مراتبه
وإذ أنت لى كالحجر والشهد ضمعا بماء لصاف ضعفته جنائبه
وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربيع المسك والعنبر الورد
أجود ما قيل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
ميد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم ويتعجبون من حسنه:

كأن تحت درعها المنعطف ضخم القذال حسن المخط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قط على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كرامة الشيخ اليماني الشط
لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) فى الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن
ياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جواد ، عمى بعد ما أسن ، وقال فى ذلك شعراً .

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من يطنها أرفع
 ذبَّينَ أعلاهُ بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طمنت طمنت في مستهدفٍ رابى الحجةِ بأعبيرٍ مُقرِّمد
 وإذا نزعَتْ نزعَتْ عن مستهصفٍ نزع الحزورَ بالرِّشاءِ المحصد
 بصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعها كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هنٌ نستعيرُ وقدمته من قاب صبٍّ وصدر ذى حنق
 كأنما حرُّه لخابره ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراسِ كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سعيته :

يسعُ السبعةَ الأقاليمَ طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهمُ الدُّنيا وتحويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردفَ الفتاةِ عجنةُ خبا زي وقدَّماها من الأدم جينه
 وقال الممثل بن غيلان (١) :

ومركب كبيضة الأُدجى كأن نبتَ الشعرِ المطلى
 عليه شونيزٌ على فرنى

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تهادى بهم الى الوغى مضمرةٌ قرح
 استعمل الله على مركبٍ بحثٌ بالسيرِ ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن الممثل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما مركب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كأن رمانة في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأنابي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لأن نهودئديبها وكبر
ركبها مثل أنافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً أبهره يدارك المص ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعمدى بليلي وهي ذات موصد
فشب بنو ليلي وشب بنو ابنها
ابن المعتز : من معبني على السور
وابلائي من شادن
وورد علينا بالمشي المراميا
وأعلاق ليلي في الفؤاد كهايا
وعلى الهم والفكر
كبر الحب إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون
ولو كان حقاً كما يزعمون
بأن القلوب نحاذي القلوبا
لما كان يشكو محب حبيبيا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
فقات له هذا يأمر المؤمنين أحسن من قول هريرة بن حزام العنزي^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هأماً) (٢) شاعر اسلامي من المتيمين .

أبياته التي أنشدتها :

أراني ثمروني لذكراك رعدة^(١) أبا بين جلدي والمعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبتهت حتى ما أكلا أجيب
وأصرف^(٢) عن رأيي الذي كنت أرثي وبهزب عنى ذكره ويفيب^(٣)
ويضمُرُ قلبي عندها ويعينها على فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فني أقوله علماً ولله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازرُهُ قايي على وليس لي يدانِ بمن قايي على يؤازرُهُ

وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرةٍ وقفت جسمي على دائي
وكنتُ غراً بما تجني على يدي لاعلم لي أن بمضى بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكاف ، أخذه البحترى :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبك فيك يمصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي إلى ما خسرني داعي يكثرُ أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفعسي :

يقولون هذي أمٌ عمرو قريبة دانت بك أرضٌ نحوها وسماها
ألا إنما بسد الحبيب وقسر به إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافه : وإني زوارٌ لمن لا يزورني إذا لم يكن في وده بمررب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبفضته بقريب

(١) في الأغانى (وإني لثقتاني لذكراك هزة) (٢) في الأغانى (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغانى (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن المباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى وخذ قلبي إليك بغير حد
سقام لا يرقى على منه ووجد لا يكافئه بود
وقد أصفيته ودّى بجهدى فعارض في الجفاء بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارّة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البين خيراً فإنه أرانا على علاته أم ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين ينعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقر بك مخافة
ان تسخن ببعديك في عند الاجتماع كبدترجف وعند التناهي مقلّة تكف . ومثله :
لا والذي بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صباة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحاً وكلفاً لأنى منقسم القلب بين رجاء بعدنى بقر بك وحذر يوعدى ببعديك وإذا
قربت دارك كلفت وان نأت أسفت فلا في القرب أساو ولا البعد .

وسمعت لماني الموسوس^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكي بخلت علينا
فماقت التي بخلت علينا بأن غمضتها يوم التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردى جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد بولغنا اللقاء ببليلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما
نجزي العميون جزاءهن عن البكي وعن السهاد فلا نصيب أناما
فنبهجن مرآدهن يردنه فيما ادعين ملاحه ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصري ، شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافي الأذان وهي حقيقة^١ إذ لا تزال تكابدُ اللواما
 فثيبهنَّ من الحديث مشوبةً تشفى القليل وتكشفُ الأسماما
 ونكافي الأفواه عن كتابها إذ لا يزال لها الصماتُ لجاما
 فثيبهنَّ ملاماً ومراشفاً ما ضرَّها أن لا تكونَ مدا
 نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

وخلال الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم بكاءً قى فرد على شجن فرد
 أبكى الذي فارقتُ بالدمَّ مع وحدَه لقد جلَّ قدرُ الدمَّع فيه إذاً عندي
 وكتبتُ في فصل لي : قد جلَّ شوقى إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
 ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه درأً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد^(١) :

وما كان حبيها لأدلى نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلت
 واسكنها الدنيا نوات فما الذى يسلى عن الدنيا إذا ماتوات
 وقال أعرابي :

أعلُّ أصحابي بجدي وباطلي وأسماء جدِّ القلب منى وباطله
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فنن :

أدميتُ بالأحماظِ وجنته^٢ فاقتصَّ ناظره^٣ من القلب
 أخذه على بن حاصم فقال :

ضربتُ إلى يدي خانَ يميني جلدى
 فاقتصَّ لما اغرورقتُ مقاته من كبدى
 فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافئ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أي هضَّ يدفعُ منها بعضها من بعض
 يقول يتعير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيدها بهين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصاراك منى الودِّ مادمت حيةً وودك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأول شيء أنت عند هبوب

ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفتُ وشكَّ البين حتى رأيتهم معض ؟ أمـ اط لهم وقـ سطوع
 لعمرك ماشي مريتُ بذكره كآخر يأتي بقتة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بينَ بابِ الوزير والمسجدِ الجا مع ظبي كالظباء في جـ يده
 أطـاره رآته فقد ضاع لا ضاع وضاع التميز في بلده
 ليس له ناقد فيعرفه وآفة النير ضف منتقده

وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً أعرضه لأهـ واء الرجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث الليالي

معنى آخر :

وقائلة متى ينفي هواه فقلت لها إذافنى المـ الاح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زاراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعى

معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فانها أمارة تسلمى عليك فسلمى

آخر التشبب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لي نعم
عباده في العاجل وبدل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال (يا أيها الناس
كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا) وقال (يا أيها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

(هذا كتاب المبالغة)

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجرى مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

(الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني)

(الفصل الأول في ذكر النار)

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَلَمْ نَجْعَلِ لِّلنَّارِ الَّتِي تَوْرُونَ)
قوله (نحن جعلناها تذكرةً ومتاعاً للمُتَّقِينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدتها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهاته لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه ونيس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأتار،
رؤى على عهد كسرى رجل يفتسل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تخالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغلرو وينقض العهد بجرمان منافقها . وقد أحكمنا
ذلك في كتاب الأوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاها بِنَائِقِ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجوانِ
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضر من اللهب^١ يشبعنه من فحيم ومن حطب^٢
يرفعن نيراناً كأشجار الذهب^٣

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات على ارسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الأفشين :

نارٌ يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفرت شوقاً إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن السمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

رعبت هرقة لما أن رأته عجباً جو السماء^(٢) ترتمي بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته الى في حرق القادر أفشين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرُّ الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة. (٢) في الأصل (جوائم) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً بساورُ جسمه^١ من حرها لهب كما عصفت شق^٢ إزار
 طارت لها شرر^(١) بهدم^١ انفجها أركانه هدماً بغير منار^(٢)
 ففصلان منه كل^٢ بجمع مفصل وفلمن فاقرة بكل^٢ فقار
 رمقوا أعالى جذعه فكأنما رمقوا هلال عشية الافطار
 كروا وراحوا في متون ضوامير^٣ قيدت لهم من مربوط النجار
 لاينزلون^(٣) ومن رآهم خالهم أبدأ على سفير من الأسفار

فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بمشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
 بنصفها ، قال فتمجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طالب ولا أمل
 قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدت بعد الهدوء ناراً لها على الطارقين عـين^١
 شرارها إن علا نضار^٢ لكنه إن هوى الجـين
 دعتمهم فأنثى اليها محبهم قرة رأين؟
 إلى كريم الفصال سمح عطاؤه للكرم زين
 يقضى ديون الملا ينزل^٣ إذ ليس يقضى لمن دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلق شرر الكانون كأنه شار^١ باسمين
 وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها حليل^٢ مشققة على حبسان
 ردت^٣ عليها الريح فضل دخانها فأتت به سبباً على عصان
 فالجو^٤ يضحك في ايضاض شرائر منها ويبس في اسوداد دخان

وقال أبو فضلة :

اشرب على النار في الكوانين إذ ذهب^١ دولة الرياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يبرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يَجْجِبُهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وَقَلَّتْ فِي مَعْنَاهُ :

قَصْرَتْ بَدَّ الشَّتَاءُ بِحَرْ جِمْ وَأَخْتِ الْجَمْرِ صَافِيَةَ الرَّحْبِيقِ
تَرَى نَبْذَ الرَّمَادِ بِوَجْنَتَيْهِ كَكَاْفُورٍ يَنْزُرُهُ عَلَى خَلْقِ
وَقَلَّتْ : تَحْرَكَتِ الشَّمَالُ مُفَقَّرًا إِلَى فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَّاحِ
جِرَادِ الْجَمْرِ يَسْتَرُهُ رَمَادُهُ كَنَزْلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْأَقَاحِي
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَعَطْرَاتٌ تَطِيرُ بِهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَمْسَكَتٌ مَطْرَرَةٌ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي سَقُوطِ الشَّرَرِ عَلَى الثِّيَابِ وَالبَسَطِ :

فَتَرَكَ البَسَاطَ بَعْدَ الحَدِّ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وَقَالَ أَيْضًا * وَصِيرَتْ جِبَابَهُمْ مَنَاخِلًا * وَقَلَّتْ :

كَأَمَّا النَّارُ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَمْرُ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
وَمَنْ بَدِيعَ مَا قِيلَ فِي الْقَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلَ بَعْضِ الْعَرَبِ :
كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمَسْتَجِلِّ قَصْدَ الشَّبُوحِ لِلسَّبُوحِ الْجَمَلِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالسَّيْفُ رَاعَى إِبِلِي فِي المَحَلِّ يَسْلَمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورِ تَغْلِي
تَرَقَّلَ فِيهَا بِالْوَقُودِ الجَزَلِ أَرَقَّالَهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وَقَالُوا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْإِثْنَانِي وَالرَّمَادِ قَوْلَ ابْنِ هَرْمَةَ ^(٢) :

نَبِكِي عَلَى زَمَنِ وَنَوَى هَامِدِ وَجِوَالِمِ سَقَعِ الخُدُودِ رِوَاكِدِ
عَرَبِينَ مِنْ عَقْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِيهَا فَمَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَابِدِ
فَوَقِينَهُ عَثَّ الصَّبَا فَسَكَتَهُ دَنَفَ يَرِنُ الدَّمْعُ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) فِي دِيوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (يَسُوقُهَا) . (٢) اِبْرَاهِيمَ بْنَ عَلِيِّ السَّكْنَانِي
الْقَرَشِي ، مِنْ سَكَّانِ الْمَدِينَةِ ، مَدَحَ الْوَلِيدَ الْأُمَوِيَّ بِدَمَشَقٍ فَأَجَازَهُ .

وقال أبو تمام: أناف كالطودِ لظمن حزنًا ونوى مثل ما انفصم السوار
وما يجري مع ذلك القول في الشمة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
شفاؤها ان مرضت ضرب المنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت: كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضة بلبلٍ أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمسًا في ليلٍ أصداعٍ وأطرار
وشقتت عنها ستورَ الدجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج:

وحيةٌ في رأسها دُرّةٌ تعملُ في وجهِ الدجى غرّة
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مرربٍ أهدت كمت ستره وصيرته في الورى شهره
يرد فيها أصفرٌ في أصفر يقدمها أنسودُ في حمرة

وقال السرى في الكانون:

وكأنما الكانونُ أظبَ جمره أحداق أسدٍ يدبرين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل السككوس وحسنها توريدا

وقلت في الكانون:

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبلِ الأنواء
بغسلٍ فيها حلّة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الجراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسهم تصبغ بالحناء فيها كوا ريحانة الشتاء
واشرب عليها حلب الصهباء فشرِبُ صهباء على شقراء

يطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحيم قول بعضهم :
 فحيمٌ كيومِ الفراقِ تشمله نارٌ كمنارِ الفراقِ في الكبدِ
 أسود قد صارَ تحتِ حمرتها مثلَ الميونيِّ اكتبه جان بالمد

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب وبمناقير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن حريز عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأنا في بخبزة من حنطة كأنها مناقير النفران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الجر يتحدر منها يتحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالنسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أنانا يتسر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشي عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر . وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة است ناسيها قال وما أكلت ؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكانما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت ببناي بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقدمات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش جلس له أمانته بنى زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لبنة وخلأ حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بناقال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كلى قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازنى عن الأصمعي قال قال أبو صوارة (١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض بالبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومى :

ما أنسَ لأنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشكَّ الملح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفه كرةٌ وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدي الخبازين كأنه تراس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاء من أرداحنَّ يريد
وضمتُ إلى الخلواء فيه فواكه عليهم أهواءُ النفوسِ وفود
وقال الصنوبرى في رقاق ورؤوس :

غير ماراج من رقاقٍ رقيقٍ فوقَ هامِ على عدادِ الرهام
ذاك كلاء ذى الجباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقيامهنَّ وما يبين من مضم شديد الضرام
كأناس يُوشحون مناديسل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي وإنما أوردها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركتها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير مراجع) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامُّ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمةٌ قد أخرجت من جاحم فوارٍ
كوجوده أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونةً بوجوده أهل النار
وقال غيره في :

وقادم من جاحم فوارٍ محال الشقشق والأنوار
ملبساً حلةً جانارٍ يقسر منه جده النضار

عن بدن أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال إنها فاكة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيبه وأبخص عينيه وأفقص أذنيه وا خديه وأرمى بالدماغ إلى من هو أحوج منى إليه فقيل له إنك لأحق من ربع قال وما حق ربع إنه ليجتنب العدوى ويتبع المرعى ويراج بين الأطباء فاحقه باهؤلاء^(١) وقيل لأحمد ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فاللحم وأما الياوس فالقديد . وقلت في صفة لحم :

تركتُ سمينَ اللحمِ بيضُ بفضه ويحدرُ بعضُ خلطك الدرَّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواءِ شق فتونها فيبيضُ إلى حمرٍ وحمرٌ إلى صفر
إلى ثردةٍ رطاءً قطع فوقها مقفمةٌ خضراءُ في ورق خضر

وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديداج بالديداج فاذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديداج بالكرباس ، وفي الحديث «مَنْ

(١) في أمثال الميداني (وما حق ربع) والله إنه ليجتنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويراج بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) .

تَرَكَ الْأَحْمَرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا سَاءَ مُخَالَفَتُهُ .

وأحسن ما سمعت في جمل مشوى قول السرى :

أَنْفَتُهُ مُعْصَفَرُ الْبُرْدِيِّنِ	أَبْيَضُ صَافِي مُجْمَرَةِ الْجَنْبِيِّنِ
خَلْفَ شَهْرَيْنِ عَلَى خَلْفَيْنِ	ثُمَّ رَعَى بَعْدَهُمَا شَهْرَيْنِ
فَجَسَدُهُ شَبْرَانٍ فِي شَبْرَيْنِ	يَأْحُسُنُهُ وَهُوَ صَرِيحُ الْحَبْنَيْنِ
بِعَرْفَةٍ مُرَهْفَةِ الْحَدَّيْنِ	بَكْفٍ شَاوِعَ طَيْرِ الْكَمْفَيْنِ
كَسَارِقٍ حُدَّ مِنَ الْيَدَيْنِ	ذُو طَرْفٍ يَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَيْنِ
يُرِيكَ مَرَاةً مِنَ الْأَجِينِ	مُذْهَبَةَ الْمُتَقَبِضِ وَالْوَجِينِ
شَقَّ حَشَاهُ عَنْ شَقِيقتَيْنِ	أَخْتَيْنِ فِي الْقَدِّ شَبِيهَتَيْنِ
كَمَا قَرَنْتَ بَيْنَ كَمَا تَيْنِ	أَوْ كَرْتِي مَسْكَ الْإِطِيفَتَيْنِ (١)
أَنْ شَيْنِ ذَوْرَقَيْنِ نَاجِيَيْنِ	فَانَهُ زَيْنٌ بِغَيْرِ شَيْنِ

ومن المشهور قول ابن الرومي في دجاجة مشوية :

وَعَمِيظَةٌ صَفْرَاءُ دِينَارِيَّةٌ	ثُمَّنًا وَلَوْنَا زَهْفَا لَكَ حَزْوَرٌ
طَفَقَتْ تَجُولُ بِذَرْبِهَا حَوْذَابَةٌ	فَأَتَى لِبَابِ اللُّوزِ فِيهَا السُّكَّرُ
ظَلْنَا نَقْشُرُ جِلْدَهَا عَنْ لِحْمِهَا	فَكَأَنَّ تَبْرًا عَنِ الْجَبْنِ يَقْشُرُ
يَا حَسَنَهَا فَوْقَ الْخَوَانِ وَبِنْتِهَا	قَدَّامَهَا بِصَهْبِهَا تَتَفَرَّغُ
وَتَقْدَمُهَا قَبْلَ ذَلِكَ ثَرَاؤُدُ	مِثْلَ الرِّيَاضِ بِمَنْلَهْنِ يُصَدَّرُ
وَمَدَقَقَاتٍ كَلَهْنِ مُزْخَرَفٌ	بِالْبَيْضِ مِنْهَا مَلْبَسٌ وَمُدْنَرُ
وَأَنْتِ قَطَائِفٌ بِمَذَاكِ الْطَائِفِ	تَرْضَى الْإِلَهَاءُ بِهَا وَرَضَى الْخَنْجَرُ
ضَحَكَ الْوَجْوهُ مِنَ الطَّبْرُزْدِ فَوْقَهَا	دَمَعُ الْعَيُونِ مِنَ الدَّهَانِ تَعْمُرُ

وقلت في سكباجة :

سَكْبَاجَةٌ طَيِّبَةٌ نَشْرَهَا كَأَنَّهُمَا عُدُودٌ عَلَى مَجْمَرِ

(١) سقط هذا العجز من الاصل فاستدر كناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلتُ
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها
وهي تحاكي سفظَ الجواهر
كغزرة في فرسٍ أشقر
أحمر وسط المرق الأحر
وجال فيه قطع الغنبر
كأنه ماء خـلوق جرى

وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزور بصدر نهد
مرهفة ذات شباً وحدٌ
أجريتُ منها في مجال العقد
لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل الندامى
وقد أتاني الغلامُ يسمي
والنارُ تستعجل القدورا
بأرغف تشبهُ البدورا
وعندنا قهوةٌ شـمـولٌ
تكونُ قبل المزاج ناراً
فانهض إلى سرعة إلينا
ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً
وخيلاً من البرني فرسانها زبد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

وهاً على محسومة
بالدسم مؤسومة
وصحفة مكثومة
واللحم مغمومة
قد كملت عراقا
وألحفت رفاقا
منقوشة الحواشي
بطيب التماشي

بغلفـ ل وحص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا نردة كما وصف فلما قدمتها
ارتمش طرفاً ثم قال أي بأبي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة
وجلس فأكل أربعة أرغفة في نردة وستة ثم قبل رأسي وقال بأبي أنت وأمي
لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضي ، ثم قال أي والنردة والله ما دخلت الحضر إلا في
طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرغفَ ولا المزدرا
حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كغاي في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبزِ شبرين في شبر
رغيفٍ بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر
عليه من الشونيزِ آنازُ كاتب وجلبابُ ورَّاقُ ينقطُ بالخبز
ومن مسم قد زعفرُوهُ كأنهُ قراضةُ تبرٍ في الجينية غر
وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضلَ الباقلاءِ فإنه من المرق قدوافي به الفضل في الزبر
إذا جعلوا فيه سذاباً ونعناعاً وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر
فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشي أفرندٍ معقدة الخصر
بأحسن من محضرة الغصن إذ بدت بوا كرم منها في المجاسد والأزر
ثم قال: ويالك بأذنجانة سارية جلاها نسيمُ الليل نائرة الفجر
فجاءت بأثواب الحداد مدلها بأذناها العم المعقدة الخضر
وأكرم بها نياً إذا يز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر
فنجعلها شطرين نلقمُ شطرها وتبعه قبل الاساغة بالشطر
وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاهُ هل لك في هريس
 أمل الليل صانمها بضربِ
 وبينَ يدبك من مرى عتيق
 أرانا حولَ صحفتها (١) بروكا
 فيأله من لقم هنا كم
 تجاذب بالشجيج وبالخطيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يوم
 كأنَّ الموقدين لها جمالُ
 بأيديهم مغارفُ من حديدٍ
 وقلت في هريسة :

هريسة بيضاءُ كالفورية
 للمرء فيها حمة مسكية
 تدورُ في مبيضة فضيه
 مثل السوارِ في يدِ الرومي

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على

نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أنَّ ابنَ بكرٍ دعاني
 غرَّني منه منظرٌ ولباسٌ
 مجلسٌ كالجنانِ حسناً ولكنْ
 فلمعمرى كان الخوانُ ولكنْ
 وجفانٍ مثل الجوابي ولكنْ
 وغضارِ الألوانِ جاءتْ ولكنْ
 فإذا ما أدَّرتُ فيها بناني
 لشقائي فليتَهُ مادعاني
 وأناتٌ ومجلسٌ وأوان
 قبح الجوعِ حسن تلك الجنان
 لم يكنْ ما يكونُ فوقَ الخوان
 ليس فيهنَّ ما يرى بالعيان
 ليسَ فيها روائحُ الألوان
 لم أجِدْ ما أمسهُ بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إنني ماضغٌ على غيرِ شيءٍ غيرِ صكِّ الأسنانِ بالأَسنانِ
 ترجعُ الكفُّ وهي أفرغُ منها عندَ مدِّي لها فدأبى وشأنى
 لو ترائى والجوعُ يضحكُ مني عندَ غسلِ يديَّ . بالأشنانِ
 زادَ في السفرِ مسرفاً مثلما أسرفَ عندَ الطعامِ بالنقصانِ
 والغضاراتُ فارغاتٌ أنتنا وسقانا بالمترعِ الملآنِ
 سكرةٌ فوقَ جوعٍ تركنِي راحماً كلَّ جائعٍ سكرانِ
 وقلت في قريب منه :

أندعوني ونطعمني يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسيرِ
 فأصبح منك في يومٍ عسيرِ فلا ينفكُ في يومٍ عسيرِ
 هما حرَّانِ من جُوعٍ وسكرٍ فيالك من سعيٍ في سعيِ
 أقولُ وفي غضارِهِ عظامٌ أعرق من قدورِ أم قبورِ

ومن جيد ما قيل أيضاً في ذم الدعوة قول أبي الحسن بن طباطبا ^(١) وقد
 دعاه الكراريسى ف قرب إليه مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليها قطر ولم
 يصحبها بوارد فساها مسيحية لا نها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
 عارية فساها شطر نجية ، ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فساها معقدة ^(٢) لأن البياض
 لبس المعقد وهي لآمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
 اقله زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محاولة فساها
 قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فساها
 حسكية لتشجع لحمها ثم قرب زعفرانية فساها سلحجية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
 الزعفران والحلاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من
 منزله إلى بستان قد طبق بالسكرات وأحضرهم جرة منثمة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوي الشاعر الملقب العالم المحقق ، من أهل خراسان .

(٢) في معجم الأدباء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الفأط نقتلها معه وربط الاكار^(١) بجذائهم عجة تخور عليهم
خواراً شبيهاً ببناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغيرة قائمة كأنها من سفر قادمة
قد قدموا فيها مسيحيةً أضحت على أسلافها^(٢) نادمة
ثم بشر نجيبة لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حائمة
فلم نزل في لعبها ساعة ثم نفضناها^(٣) على قائمه
وبعدا معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة قد قتلها أمها ظالمه
والقنبيات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمه
أقنبت ما امتد في أصبعي أم حبة في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسطانها قد تركت آنا فنا راغمه
والسلحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنفس هائمه
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظل الكرار يرمى مستعبراً من عصبه في داره طاعمه
وقال إن ابني عليل ولى قيامة من أجله قائمه
وولوت دالاته حوله فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تسكس ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت من لاطم خدًا ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظلتنا لدى الكراث نلهوبه فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث . (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدباء لياقوت ، وفى نسخة

(إسلامها) . (٣) فى الاصل (ثم تقضيها) . (٤) فى الاصل (مقيدة) .

وغاية اللطفِ ففي جرّة
 نبولُ فيها ثم نسقى بها
 وعجلة تشدو بألحانها
 فكان فيما أنشدت أذشدت
 من لي من بمدك يا فاطمه
 من لي من بمدك يا فاطمه
 نشتم من أسمنا صوتها
 وهى لنا من بمدك يا فاطمه
 ظلت تبكي شجوناً فما
 أبصرت من أربابه عالمه
 فلو ترانا وترى زادنا
 حياً وقت منا نعماً سألناه؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبالحسن ولا أحدًا من أصحابه داره واثخذ
 دعوة ودعا قومًا من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
 التى كنا نفضناها على قائمهم يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أيان تأمنها :
 طمعت يا أحق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
 فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفضناها

ثم كتب إليه أبو الحسن :

يامن دعانى أطل الله عمرك لى
 ما أنس لآنس حتى الحشر مائدة
 اذ أقبل الجدى مكشوفاً ترائبه
 كأنه متعطّ دائم الكسل
 بيتاً تمثلته من أحسن المثل
 يوم الفراق الى توديع مرتحل
 كأنه عاشق قد مدّ بسطته
 وقد تمدى بأطار الرقاق لنا
 مثل الفقير اذا مالاح فى سمل
 فليت شمري ماذا كان ألمه
 فصار إيمانه قولاً بلا عمل
 مددت كفى فلم ترجع بزائدة
 كأنما وقعت منه على طلال

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جمحظة أظنه :

قدّم لى أعظم حولية
 قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلتُ به نعلهُ أَلَمِبُ بالشطر نَج في قصصته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعاتُ تَلْفِيفَ شَطْرِيهِ بِالْمُنْدَمَةِ
فمن صدر فائقةٍ قد نوتَ ومن عجز ناهضةٍ ملقمة
ودنر بالجوزِ أجوازه ودَرَهُمَ باللوزِ ما دَرَهْمَهُ
وقابل زبتونها والجبن صفائحَ من بيضةٍ مدغمه
فمن أسطيرٍ فيه مشكوةٍ بملحٍ ومن أسطيرٍ معجمه
وطرّزَ بالبقلِ أعطافهُ فوافي كحاشيةٍ معامه
مرشاً تخال به مطرفاً بديعِ التفاويفِ والنممه
وأنشد في الشواريز (١) :

مامتعة العين من خددٍ توردهُ يزهى عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيعِ وجنته بدائع بين تسميمٍ وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراه بالكأس أوعناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضحت في صحنٍ وجنته خيلان شونيز (٢)
وقد جرى الزيتُ في مثنى أسرته فصارعتُ فضةً تعلى بأبريز
وقال ابن خلد:

وسوفَ يزوركِ شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميسُ بشونيزةٍ كالروسِ نخطرُ في الخلةِ المسهمة
وتغشى موائدٌ قد عوليتُ أطايبَ كالبردةِ المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكبٍ في الليلةِ المظلمه
وأول من ذكر الفالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج بإزّه . (٢) أي الحبة السوداء .

له دَاعٌ بِمِصْكَةٍ مُشْمَلٌ^(١) وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُوحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا بَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ
 نِبَابِ الْبَرِّ يَعْنِي النَّشَا^(٤) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَمْدَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أَسْتَمْتَلُ بِجَمْدَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي الْهُوَ أَجْرٌ .
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رِحَالِهِ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْغَالُودِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِغَالُودٍ لَأَمَّنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُ بِعَصَاهُ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالشَّهْدِ الْخَلْقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِالْإِطَافِ غَيْرَ خَلْقِي
 كَأَنَّ أَصْفَرَ الرَّالِوُزِيِّ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَا كَبُّ تَبْرِ فِي سَمَاءِ عَقِيْقِ
 وَقَلْتُ : حِرَاءٌ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةٍ وَظَرْفٌ كَافُورٌ وَحِشْوُ الْخَلْقِ
 يَطُوفُ الدُّهْنُ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةَ الدَّمْعِ بِجَمْدِنِ الْمَشْوِقِ
 كَأَنَّهَا الْوُزِيُّ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافٌ دُرٌّ رَكِبَتْ فِي عَقِيْقِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ فِي الْوُزِينِجِ :

كَأَنَّهَا قَرَّتْ جَلَابِيْبُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيَا
 مَسْتَكْتَفٍ الْحِشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسْمًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دُورًا تَرَى الدُّهْنَ لَهُ لَوْلَا
 لَوْ أَنَّهُ قَمَرٌ لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْبَا
 وَقَلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَشِيْفَةُ الْحِشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيْقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيَه
 رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَشْوُورَةُ الطِّيِّ وَمَطْوِيَه

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لَدَى رُوحِ) (٣) أَشْمَلُ : أَشْرَفُ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مَوْخِرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كأشها من طيب أنفاسها
جاءت من السكر فضية
قد وهب الليل لها برده
ووهب الخصب لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا بيا به
وقفنا عليه الركب نسأله القرى
فصام وصوم الليل ليس بجائز
أجاز صيام الليل حين استفرزه
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى
وأطعمنا لما مرقتنا من الدجى
مدورة سود المتون كأشها
فأبشارها تحكى بطون عقارب

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال الأصمعي قيل للفاخرى أى التمر أجود؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن الطير نضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك ينى الصيحاني تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أوبس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سرورى ونجدى وحجازى وشامى فقالوا تاملوا تناعت الطعام أى أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة موسعة زيتاً تأخذ أذناها فيضطر عليك أقصاها تسمع لها وقياً فى الخنجره كتمحرم بنات الخاض فى الخرف ، قال السرورى ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على حمر عشر موسع سمناً وعلسا . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة حمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنمة معتبطة نفسها

غير ضمنه في غداة شبة بشمار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فأبرك على ركبتيك وافتح فاك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم لعمتك واحسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدتُ عَصِيدَةً شَقْرَاءَ تَحْكِي	طَرَارَ الصَّبِيحِ فِي نَوْبِ الظَّلَامِ
تَرَاهَا حِينَ تَبْرُزُ فِي ظِلَامِ	كَمَرَفِ الطَّرْفِ فِي زَمَنِ قِتَامِ
كَذِي دَلٍّ عَلَيْهِ مَعْصِرَاتُ	يَدُلُّ عَلَى الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
فَلَمَّا ابْتَسَبَا قَلْبِي إِلَيْهَا	وَمَدَّتْ نَحْوَهَا عَيْنَ اهْتِمَامِي
تَقَاعَرَ دُونَهَا كِفَايَ حَسْبِي	كَأَنَّ الدَّبْسَ عَاقَ بِالْغَنَامِ
فَدُونَ السَّجْنِ أَطْرَافُ الْعَوَالِي	وَدُونَ النَّارِ بَادِرَةُ الْحَسَامِ
أَتَلْتُ عَصِيدَةً أَمْ طَرَفُ سُلَى	فَلَيْسَ يَزُودُ إِلَّا فِي الْمَنَامِ

وقلت في سمكة طرية :

يَقْبِضُ لِمَكْتُوبٍ مَاجِرٍ حَتْمِهِ	فِي جَازِ بِنَا فِي الْفَيْضِ شَرِّ حِجَازِ
بِمَثْنَا إِلَيْهِ يَنْسِرُ الْبَازُ فَاثْنِي	إِلَيْنَا بِظَهْرِ مِثْلِ جَوْجُو بَازِ
فَأَطْفَأَ نِيرَانَ الطَّهَارَةِ كَأَنَّهَا	سَحَابٌ يَسُحُّ الْوَدْقَ فَوْقَ عَزَازِ

العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

وَمَحْجُوبَةٌ فِي الْبَحْرِ عَنِ كُلِّ نَاطِيٍّ	وَلَسْ كُنْهَا فِي حَجْبِهَا تَتَخَطَفُ
أَخَذْنَا عَلَيْهَا السَّبِيلَ بِأَعْيُنِ	رَوَاصِدٍ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ نَظَرُ
فَجَاءَ بِهَا بَيْضُ الْمَتُونِ كَأَنَّهَا	خَنَاجِرُ فِي أَيْمَانِنَا تَتَعَطَفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مزرد (١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدتُ أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العكم الذي كان يمنع
 خلطتُ بصاعى حنطة صاع عجوة إلى صاعِ سمنٍ فوقها يتربع
 ودبلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يومَ تجمع^(٢)
 وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ أنه حتى آمنًا مما تفيدُ وتجمع
 فإنْ تكُ مصغورًا فهذا دواؤه وإنْ تكُ جوعانًا فذا يومَ تشبع
 فضحك الرشيد وقال يا أضمى ما لندنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
 على الملوك بالعلم ، فقال يا أضمى نحن كل يوم نشبع .

ومما يجرى مع هذا القول في الرحا : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
 عجبتُ من سائرة لا تَبْرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
 دائبة تسمى بحيثُ تصبحُ

والحمد لله وحده .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعاني)

للقدماء في صفة الخمر قول الأعمشى « تريك القذى من دونها وهى دونه »
 يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى في أسفلها .
 ومن أطرف ما قيل في صفاء الخمر قول أبى نواس :
 ترى حيثما كانت من البيت مشرقا ومالم تكن فيه من البيت مغربا

وهو تصحيف على ما في مقدمة « القصد والأثم في التعريف بأنساب العرب
 والمعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفي العقد الفريد
 طبع بولاق « وذبلت » وهو تصحيف ، وفي العقد اختلاف في بعض الألفاظ .
 (٢) كذا في لسان العرب ، وفي الأصل « ما تجم » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلتهُ
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومهزف تمت محاسنه
وكانه والكأسُ في فيه
يقبلُ في داج من الليل كوكبا
فيجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يذكر صفاء
الخمير ورقتها وحبابها :

فإذا ما اجتليتها فهباء
ثم شجبت فاستضحكت عن جان (١)
في كؤوس كأنهن نجوم
طالعات مع السقاة علينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلت والراح في أكف الندامى
أمداماً فرطم لدام
وكان النجوم والليل داج
كنجوم تلوح في أبراج
أم زجاجاً سبكتهم في زجاج
نقش طاج يلوح في سقف ساج

ومن أعجب ما قيل في صفاتها قول الناشء * فليس شيء عندها إلا القذى *
وقلت: ومشمولة دارت على كؤوسها
أنازعها بدمراً مع الليل طالماً
وقد شاب لنا بالشماس وإنما
وأشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها
فصار في البيت للمصباح مصباح

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضئنا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشك يغلبنا
وأراحنا دارنا أم دارنا الرّاح
ومثله قول البحري :

فأضاعت تحت الدّجّة للشرِّ بـ وكادت تضيّ للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :
ظبيّ خلىّ من الأحران أو دعنى ما يعلم الله من حزنٍ ومن قلق
كأنّه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على نغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشهس
قد ذهبت نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقىني ويشرب من عقيق خليق أن يشبّه بالخالق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق

الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المخضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت:
ودار الكأس في يد ذى دلال رشيق القد يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم درّ نغر تحلله شوابير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومي وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بفلق الألوأ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
بالألوأ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كالللىء الفاق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كفّ كأن بناها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لمن مضاحك من أفحوانِ
 يلوح على مفارقة حباب كأنصاف الفرائد والجانِ
 وفي هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصاف الفرائد وهي كبار
 اللؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصاف الجمان وهي صفار اللؤلؤ :

وطالعتي الفلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكب كوكبان
 ووافقتها بخد أرجوان وخالفها بفرع أرجوانى

وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فاذا علاها الماء ألبسها حبيباً كمثل^(١) جلالجلِ الجبلِ
 حتى إذا سكنت جوامحها كتبت بمثل اكراع النملِ

ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأس سبأها البحر من أرض بابلِ كرقعة ماء المزن في العينِ النجلِ
 إذا شجها الساقى حسبت حبايها عيون الدبا من تحت أجنحة النملِ

وأبداع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت ترينى وأمر الليل مجتمع صبغاً تولد بين الماء والذهب^(٢)
 كأن صغرى وكبرى من فواقها حصباء دُر على أرض من الذهبِ

وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خابلي^(٣) سقياني فقد لا ح صباح وأذن الناقوس
 من كيت كأنها أرض تبر في نواحيه لؤلؤ مغروس
 وقلت : راح إذا ما الليل مدد رواقه لاحت نظرز حلة الظلماء
 حتى إذا مزجت أراك حبايها زهرات أرض أو نجوم سماء

وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كمثل » وفي ديوان أبي نواس « حبيباً شبيهه » .

(٢) في الأصل « والذهب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

تبيت لي اللذات معقودة العرى
يدب الدجى عن وجه نار تحله
وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأس أول فجره
فكان حمرة لونها من خده
حتى إذا صب المزاج تبسمت
وقال : الماء فيها ككتابة عجب
قلت : دار في الكأس عقيق مجرى
نصب الساقى على أفداحها
وقال ابن الرومى فى لطافتها :

لطفت فقد كادت تكون مشاعة
ومن الاستمارة البديعة قول ابن المعتز : فأضحك عن ثغر الحباب فم الكأس
قلت : وشراب طوى الزمان فحاكى
إن يكن بالعقول غير رحيم
ومن أحسن ما قيل فى خيال الكأس على اليد قول بعض المحدثين :
كان المدير لها باليمين
تدرع ثوباً من الياسمين
وقال السرى فى معناه :

وبسكر شربناها على الورد بكرة
إذا قام مبيض الجبين يديرها
قال البحرى : ألابمكاس سقانى سلافها
إذا أخذت أطرافه من قنوها (١)
فكانت لنا ورداً على خير مورد
توهته يسعى بكم مورد
رهيف الثنى واضح الثغر أشنب
رأيت اللجين بالدمامة يذهب

(١) فى ديوان البحرى (إذا ذكرت أطرافه من قنوها)

وقلت: شغلت كأسا بديه بقهوة
 كأن خيال الكأس فوق ذراعها
 غشاء من العميان فوق لجين
 وقلت أيضاً:

يسمي إلى مُقرطق في كفه كأسٌ وبين جفونه كأسان
 وتناسبت فيها بغير قرابة كفه المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورقتها وصفائها قول بعضهم:

رَقَّ الزُّجَاجُ وراقت الحُرُّ وتشابها فتقارب الأمرُ
 فكأنها خرُّ ولا قدحٌ وكأنه قدحٌ ولا خرُّ

وقال ابن المعتز في رقة الحُرِّ وصفائها وذكر الكأس واطافتها:

وكأسٌ تحجبُ الأبصارُ عنها فليس لناظرٌ فيها طريقُ
 كأسٌ غمامةٌ بيضاءٌ بيني وبين الراح تهرقها البروقُ
 وقلت: وندمان سقيت الراح صرفاً وجنح الليل مرتفع السجوفِ
 صفتُ وصفتُ زجاجتها عليها لمعنى دقِّ في ذهنٍ نصيفِ

وليس هذا التشبيه بالمختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى

بالبیان إلى ما يعرف بالفكر^(١). وقال بعضهم:

خفيت على شراهما فكأنهم يجدون رياء من إناء فارغ
 وقال غيره: وزنا الكأس فارغة وملاى فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومی:

لطفت فقد كادت تسكون مشاعةً في الجوِّ مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت: حلت بخصرها إناء مدامة صفراء تلعب في زجاج أقر
 فكأنها واللحظ ليس يحورها شمس النهار تختمت بالمشرى

ومن أجود ما قيل في الأبريق وفضول الكأس وأشدّه إسحق:

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المنتقل ليس من قول المصنف، (٢) تقدم قريباً.

كأنَّ أباريقَ المدام لديهم ظباءٌ بأعلى الرقمتين قيامُ
وقد شربوا حتى كأنَّ رقابهم من اللين لم يخفقْ لهنَّ عظامُ
وقد أحسن مسلم في قوله :

إبريقنا سلبَ الغزاةَ جيدها وحكى المديرُ بمقاتلته غزالا
وأحسن الآخر وينسب الى بشار :

كأنَّ إبريقنا والنظرُ في فيه طيرٌ تناول يا قوتاً بمنقار
إلا أن قوله « طير » ردىء والجيد طائر ، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزه غيره .
وقلت : تضحك في الكأس أبريقنا وحسب ما يضحكن يبيكينا
كأنَّ أهلها إذا أسفرت تعقد في الكأس تلابينا
وأول من شبه الأبريق بالأوز ليبيد^(١) في قوله ولم يذ كر الخمر :
نُضِّمْنَ يَنْضاً كالأوزِ ظروفُها إذا تآقوا أعناقها والحواسلا
فأخذه بعضهم فقال :

ويوم كظال الرُمح قصرَ طولهُ دمُ الزُّقِّ عنا واصطكك المِزاهر
كأنَّ أباريقَ المِدامِ عشيةً إوزٌ بأعلى الِطفِّ عوجُ الحِناجر
وقال أبو الهندي^(٢) :

سينفى أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضرُّ الزبد
مقدمة قرأ كأنَّ رقابها رقابُ بناتِ الماءِ تفرع للرعْد
وقوله (تفرغ للرعْد) زيادة على ما تقدم .

وأما فضول السكّوس فأحسن ما قيل فيها قول أبي نواس :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهأ ندرها بالقسي الفوارسُ

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة ليبيد بن ربيعة العامري ، الشاعر الحكيم

الجواد الفارس الفتاك المعمر .

(٢) هو غالب بن عبد القدوس الشاعر المطبوع المسرف في وصف الخمر .

فللخمر مازرت عليه جيوبهم
وقال السري الموصلى :

كان الكؤوس وقد كالت
جيوب من الوشي مزورة
بفضلاتهن أكاليل نور
يلوح عليها بياض النحور

فجئت به في بيت وقلت :

وبيض تهاى في مزعفرة صفر
فدارت بأفداح كأن فضولها
وهبت لها قلبي وأخذتها فكري
سوالف تبدو من معصفرة حر
وقال السري أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها
تبدت وقضل الكاس يلمع ساطما
على وجه صفراء الغلائل غضة
كأن ترجة زينت باكاليل فضة
وقال الناشئ : ملوك ساسان على كأسها
فيخمرها من فوق أذقانها
وماؤها من فوق تيجانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :

غدا بها صفراء كرخية كأنها في كأسها تنقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأفداح ماء جمد
ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها بمدد عليها منه ثوب ممسك
ومجلسنا في الجو بهوى ويرتقى وإبريقنا في الكأس يبكي ويضحك
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالمعظام كأنه فيض النعاس وأخذته بالمفصل
عبقت أكتفهم بها فسكأنما يتنازعون بها سخاب قرنفل
وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها باليمين إغفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها ونبتت وثب الجراد
 ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل (١):

أناخوا فجرُّوا شاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسربلوا
 « لم يتسربلوا » تميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الانتقال إلا ليفعلوا
 تدب ديباً في العظام كأنه ديب نمل في نقاً يتهيل

أحسن ما قيل في خروج الحجر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريس باكرت حاتها فودجوا خصرها بميزال
 فسال عرق على ترائبها كأن مجراه قتل خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دنها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من بيت خمار بطيلتها صفراء مثل شعاع الشمس تتقد
 فأرسلت من فم الأبريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارياً من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدن بالميزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب
 لما وجأها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب
 وقلت : قد بزل الدن فعمى انظري زنجية تنفل خلخالاً
 واستنيتها واشربي واطربي وجررى في الهواء أذبالاً
 تنعمي ما استطعت واستمعي إن وراء المرء أهوالاً

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبهه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذيباني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يمتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا ماندي على شم على ثلاث زجاجات لهن هدير
 خرّجتُ أجره الذليل حتى كأنني (١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحلال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتركنا ماوكا وأسدًا ما ينهنهنا اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرت فاني رب الخورني والسرير
 وإذا صحوت فاني رب الشوبرة والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى بأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس
 لتسيمها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة النفس
 وتمدّد في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأوس
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنه إذا ميج صرفا في الاناء خضاب
 صريع مذام والندامى يلونه وفي الشدق في سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحداد
 وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد

وأبداع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمّل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذليل مني كأنني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة الأذات قول أحمد بن أبي قنن : (١)

جَدِّدِ الأذاتِ فاليوم جديد وامض فيما تشتهي كيف تريد
أني إن أمكن يوم صالح إن يوم الشرب لا كان عميد
وقال ديك الجن (٢) :

تمتع من الدنيا فانك فاني وإنك في أيدي الحوادث طاني
ولا تنظرن اليوم في لهو غد ومن لقد من حادث بأمان
فاني رأيت الدهر يسرع بالفتى وينقله حالين يختلفان
فأما الذي يمضي فأحلام نائم وأما الذي يبقى له فأمانى
ونحوه قول عمران بن حطان (٣)

يأسف المرء على ما فاتهُ من لبات إذا لم يقضها
وتراه فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يمضها
عجباً من فرح النفس بها بعد ما قد خرجت من قبضها
أنا عندي ذاق أحلام الكرى تقرب بعضها من بعضها
وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرور فانها سراع وأيام الهموم بطاء
وحل عتاب الحادثات لوجها فان عتاب الحادثات عناء
تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ليالي ما يأتي وهن وراء
ونهر عجير السلولى (٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :

علاني إنما الدنيا علل واتركاني من عتاب وعذل
وانشلا ما غبر من قدريكما واسقياي أبعده الله الجلل

(١) في الاصل (قنس) وهو تصحيف . (٢) نسبها في الأمل لسعيد بن حميد باختلاف في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحـرب و حضورها فاقصر على الدعوة والتحرير بساكنه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

ماقر الرّاح ودع نعت الطالِّ واعصِ من لامك فيها وعذلِّ
غادها واسع لها واغربها وإذا قيلَ نصاباً قل أجلُّ
إنما دنياك فاعلم ساعةً أنتَ فيها وسوى ذلك أمل
ولا بن بسام^(١) :

واصلُ خليلك إنما السدُّ نيا مواصلةُ الخليل
وانهم ولا تتمجبل السكروه من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدرى متى وقت الرّحيل
وارفض مقالةً لا ثم إن الملام من الفضول

وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحصى :

أستغفرُ اللهَ لذنبي كله قناتُ إنساناً بفـيرِ حله
وانصرمَ الليلُ ولم أصله والسكرُ مفتاحٌ لهذا كله
قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشة^(٢) من كف ظيِّ كما تما تناولها من جدِّه فأدارها
فظلتُ بأيدينا نتعتعُ روحها وتأخذُ من أقدامنا الرّاحُ نارها
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :

إذا اليدُ نالتها بوترٍ توقّدتْ على ضمفها^(٣) ثم استقادتْ من الرجل
وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يعدّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،

كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسناً مطبوعاً في الهجاء ، يشبهه بالحطيمية في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضمفها) .

كَأَنَّهُ وَالسَّكَّاسُ فِي كَفِّهِ بِدَرٍّ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكَبٌ
 وَقَلْتُ: وَطَالَمَنِي الْغَلَامُ بِهَا سَحْبِرًا فزَادَ عَلَى الْكَوَاكِبِ كَوَكَبَانِ
 وَمَا يَدْخُلُ فِي مَخْتَارِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ * وَمَهْمَهْفُ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ *
 وَقَدْ مَرَّ . وَلَمْ أَسْمَعْ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَحْوَدَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ قَرَّ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 وَمِثْلُهُ فِي الْجَمْعِ قَوْلُ الْآخِرِ :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَأَلَى وَالرَّاحُ تَبْرٌ وَالزُّجَاجُ زُرْجَبُ
 وَأَحْوَدُ مَا قِيلَ فِي قِيَامِ السَّقَاةِ بَيْنَ النَّدَامِيِّ قَوْلُ ابْنِ الْعَمْتَرِ :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحْرٌ وَمَا سِوَاهُ الْكَلَامِ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامِيِّ أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامٌ
 فَشَبَّهَ اصْطِفَافَ الشَّرْبِ جُلُوسًا بِالسُّطُرِ وَالسَّقَاةَ بَيْنَهُمْ بِالْأَلْفَاتِ فَأَحْسَنَ .
 وَمِنَ الْبَارِعِ الدَّخْلِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَنْتَرَةَ :

وَإِذَا سَكَرْتُ فَاذِي مَسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَسْكَامِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنِ نَدِي وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ فزَادَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ :

وَمَا زِلْتُ خَلًّا لِلنَّدَامِيِّ إِذَا انْتَشَوْا وَرَاحُوا يَدُورًا يَسْتَحْتُونَ أَنْجِمًا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكُؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَمَنَّ أَنْ يَحْدِثَنَّ فَيْكَ تَكَرُّمًا
 وَالزِّيَادَةَ أَنْ عَنْتَرَةَ ذَكَرَ أَنَّهُ يَسْتَهْلِكُ مَالَهُ إِذَا سَكَرَ ، وَبِالْبَحْتَرِيِّ ذَكَرَ أَنَّهُ تَكَرَّمَ
 قَبْلَ السُّكُؤُوسِ فَيَبَالِغُ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ الْكُؤُوسُ أَنْ تَزِيدَهُ تَكَرُّمًا .

وَمِنْ أَطْرَفِ مَا قِيلَ فِي حَسَنِ النَّدَامِيِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَقَدْ عَلِمَ الرَّيْحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي عَلَى الْكُؤُوسِ وَالنَّدَامَانُ غَيْرُ جَهُولِ
 فَانِ سَاءَ لِي مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتَهُ وَلَسْتُ إِلَى مَا سَاءَ لَهُمْ بِمَجُولِ
 قَوْلُهُ * لَقَدْ عَلِمَ الرَّيْحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي * فِي غَايَةِ الظَّرْفِ . وَشَبَّهَ الْبَيْتَ

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأسُ سُ فأدرى ادمانهُ بالحلوم
قولُ ما أسخط النديمَ وإن أسخطهُ عند ذلك قولُ النديم
إلا أن في هذين البيتين عيّن أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذلك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

واست له في فضلة الكأسِ قائلاً لا أُصرفهُ عنها تحس وقد أبى
ولسكن أحييه وأكرم وجهه وأشرب ما أبقي وأسقيه ما اشتبهى
وليس إذا ما نام عندي بموقظ ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :

كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :
ورضيع أَرْضعت في كبر السن فأضحى أخاً لى مطاماً
لم يكن يبتنا رَضاعاً ولكن صيرت يبتنا المدام رَضاعاً
وهو من قول الناشيء : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذِكرُ الرجلِ عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مفضاه
لاستقيمه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقيماً لا أراهُ لغير الراح إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه رَحا اللذاتِ في الزمان القديم
وقلت : لما تبسّدي وجهه كالبدْر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبأ ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة جبهه واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى النداء م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحسارئي شاعر مقلد .

خلق النديم اذا صفا اغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدّة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحشم وأنا مؤانس تدأب لرضاتي (١)
 وتسمى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثلته وقلت :

ما أعافُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتُهُ لفقْدِ النديمِ

ليس في الهو والمدامة حظٌّ لسكريمٍ دونَ النديمِ السكريمِ

فتخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيمِ

وجمالٍ إذا نظرتَ بدبعٍ وضميرٍ إذا اخترتَ سليمِ

وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشي :

وسبيبةٌ مما تعتقُ بابل كدم البديح سلبتها جريالها

الجرىال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيامُ حمرةً لونها وسرتْ بِلذَّتِها الى الأرواح

وأخذ الناجم قول الاعشي (سلبتها جريالها) فقال :

نخذها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثوبَ النهار

ويسلبها الخلدُ جريالها فتهديه للعين يومَ الخمار

إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة

العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال

قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وان كان

جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائقٌ كذاظرِ الخمورِ وأقحوانٌ كمشغورِ الحورِ

ونرجسٌ كأنجمِ الديبورِ

فشبّهت ما يهترى بياض العين والخالق من الحجر عند الخمار مع سواد الخدقة
بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماءِ حتى تلينها فلن تسكرم الصهباء حتى تهيئها
أغلى بها حتى إذا ما ملكتها أدات لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج ببيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلاقك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ماتقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبي ترجس وشقائق
حكّت وجنة المعشوق صرّاً فأسلطوا عليها مزاجاً فاكنست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوةٍ مثل السهمها أدجن إدماجاً
يجاذبن من الأردا في كثناناً وأمواجاً
وقضبناً من الفضية قد أثمرت العاجا
ويسترن من الأبخار في الديباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طفن بالجلوس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن فغنينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا

ومن جيد ما قيل في بحه خلق المعنى قوله أيضاً:

أشتهى في الغناء بحه خلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشوق ق فضاهي به أنين العود
لأحب الأوتار نعالوا كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنبت كحبي للعبادى موصولةً بالنشيد
كحبوب الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شديدةٍ وركود
وقد أحسنَ ابنَ المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ بمنهاها إذا ضربتُ بها وتثرُ يسراها على السودِ عنايا
وقلت: وهيجت لى من شوقٍ ومن فرح أيدٍ نثرنَ على الأوتارِ عنايا
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيبتكم إنَّ السرور إذ ما غبتمُ غايا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كلُّ نفسٍ بهواها وهو للسكرِ عنبر
لا يمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومى :

تتغنى كأنها لاتغنى من سكون الأوصالِ وهي تجيد
مدٌّ فى شأوِ صوتها نفسٌ كما فى كأنفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لائمٌ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعبد
وللناجم من أبيات :

مندرة فى كلِّ أصواتها لا كاتى تندرُ فى الندره

وقول الآخر :

إذا وقع بالعود زمرنا بالكؤوس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومى :
فظلتُ أشربُ بالارطال لا طرباً عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبى نواس :

فى مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض ممطيه من سنان نثويق إلى زجه
كفرجك خفتان وشي بد بياض الغلالة من فرجه

ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستمرجان أولى لا لرداءة
معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وإن كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
وخلاف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :

أست ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياض تراقُ
وقدرق جلاباب النسيم على الثرى^(١) ولكن جلايبب الغيوم صفاق
وعندي من الریحان نوع تحية وكأس كرقراق الخلوقة دهاق
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دفاق
لنا أبداً من ثره ونظامه بدائع حلى مالهن حفاق
وأغيدهم تزل على صحن خده غلائل من صبغ الحياء رفاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره فمن له دون النطاق نطاق
هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر ثبت الأَبصار فيه كأنَّ عليه من حدق نطاقا
وقد مر ، وبيت السري أجود منه سبكاً ونظماً ووصفاً :

وقد نظم المنثور فهو قلادة علينا وعقد مذهب وخرق
وغرفتنا بين السحائب تلقى لهن علينا كلة ورواق
تقسم زواراً من الهند سقمها خفاف على قلب النديم شاق^(٢)

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإبطاء، وهو من أسهل العيوب التي تعترى القوافي عندهم:

أماجم نلذ الخصام كأنها كواعب زنج راعين طلاق

(١) في ديوان السري «على الندى» . (٢) في الأصل (قلب الكريم رفاق).

أنسن بنا أنس الأمان لمحببت
 مواصلة والورد في شجراته
 فزرفية برد الشراب لديهم
 وقلت : وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضعك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقلت : هذا حبيب وصول
 وذلك شرح شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيمتها غدر بنا وأباق
 مفارق الفجان منه فراق (١)
 حميم إذا فارقتهم وغساق
 وبعت فيه العقل والديننا
 وبات فيه الهم مسكينا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا يضحكن بيكينا
 بمقد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر وفلديم
 فليس شيء يدموم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه
 بروقه سافرة
 فما سي ؟ سماءه
 طلبت أقصى أملي
 بسيدين ارتقيا
 واتفقا في كنية
 نشرها عن ذراء قد
 أكرم ذخرف ذخرف
 على الثرى منسجبه
 وشمسه منتقبه
 ضاحكة منتقبه
 منه فنلت الطلبة
 منتقبه فمنتقبه
 والتقيا في مرتبه
 قامت بحق الشربه
 من كرمه في عنبه

في مجلس أظنابه على الصلاة مظنيه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كحظة مخلوسة وقبلة مستلبه
 عندنا طيبٌ وربحنا ن ونقله وغناء
 ومن المشروب لونا ن شموله وطلاء
 ومن اللحم خليطاً ن طبيخه وشواء
 ومن الخلواء ألوا ن أحاده وثناء
 ولنا غلمانُ صدق أدبائه أرباء
 أرسلوا في الصحن ماءً فكان الصحن ماء
 وأنشوا للحسن عدواً فخواشيه رداء
 فأرشف الهمَّ عناءً أما الهمُّ بلاء
 واغتمم لذة يوم قد تخطاه العناء
 فهو بطوبك ويمضي ليس للدنيا بقاء

و من المشهور في صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرَّاحِ مشى الرَّحَّ وانصرفوا والرَّاحُ تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسيِّ وراحوا كالعراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملك وناموا كالساكين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرَّاحِ وقد بدَّوا

ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيد حسا الكأس السفية سفاهة

وإن أقل الناس عقلاً إذا انتشى

ومن أحسن ما أنشد في الخيلش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين السكوس غامة
وعلى بناء الوردي خيش كأنه
وقلت : ظبي يروق الناظرين بأبيض
ومقوم مثل القضيبي مهيف
ومفرج من خده ومكفر
وبياض وجهه بالصباح مفتح
علقت أباريق المدام بكفه
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً
فكأتما الكلسات في حافاته

من الندى إلا أنها ليس تهطل
على جلده ثوب العروس المصنل
وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومعوج كالصولجان يهبل
ومخلق من شعره ومسلسل
وسواد فرع بالظلام مكلل
كالبر يعلق بالسماك الاعزل
مثل الغامة غير أن لم يهمل
شقر الخيول تجول تحت الفسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو^١ ألد^٢ من ابتدا في العين في اغفائها
أحلى وأشهي من منى نفس وصدق رجائها
وأجود ما قيل في الاصفاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصفوا نحوها الآذان حتى كأنهم وما ناموا نيام
ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حدت^١ تلك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها^(١) ومضى كراها
سمعت^٢ بها غناء كان أولى بأن يقتاد^٣ نفسي من عنها
ومسمة نفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصممه لا يصوم صداها
مرت^٣ أوتارها فثفت وشاقت ولو بسطيع^٤ حاسداها فداها^(٣)
ولم أفهم معانيها ولكن ورت^٤ كبدى فلم أجمل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنني أعمى معنى بحسبُ الفسائياتِ ولا يراها
وكان ينبغي أن يقول (فداها حاسدها) وليس تقوله (فلا يسطيع حاسدها)
معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أني يكون غناؤها فصيحاً ولم تغفر ^(٢) بمنطقها فما
ولم أرَ محفوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للعزين وأكلما
ولم أرَ مثلي شاقه صوتٌ مثالها ولا عربياً شاقه صوتٌ أعجابا
ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد في حجر أمه
وتشبيهه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم :

فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتهُ بينَ ترائبٍ ولبان
طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركتُ له أذنًا من الآذان
ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتُ عابثٌ عودها وناغتهُ أحسن - أن يعربا
تدغدغُ في مهيل بطنه فتسمعنا مضحكاً معجباً
وذكر الضحك مع الدغدغة جيداً .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مركب على الطبائع الأربع فقال :
شدتُ فجاتُ أسماعنا بمخفف يحدتها عن سرها وتحدته
مشاكله أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدته
فلنار منه الزيرُ والأرض وللريح متناهُ وللماء مثله
وكلُّ امرئٍ يرتاحُ منه نغمته على حسبِ الطبع الذي منه يبعثه
شكاضربٍ بمنائها فظلتُ يسارها تطوقهُ طوراً وطوراً ترعته
فما برحتُ حتى أرتنا مخارقا يجاذبهُ في أحسن النقر غنمته

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام . (١) الهلالى من فحول المخضر مبن والمعبرين .

(٢) أى لم تغفر .

وحى حسبت البابلين القنا ؟ على لفظها السحر الذى فيه تنفته
وأجود ما قيل فى اتفاق الضرب والزم قول هرون بن على المنجم :
غصن على دعص نقا منها ل سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
وفاتنات الطرفِ والذلالِ هيف الخصورِ رجح الا كفال
بأخذنَ من طرائف الأرمالِ ومحكم الخفافِ والنمالِ
يجرى مع الناسِ بلا انفصالِ مثل اختلاط الخمر بالزلالِ
يدعو إلى الصبوة كلَّ سالِ يصرع كلَّ فانك بطل
ومن حرام اللهو والخلالِ أكرم من مصارع الأبطالِ
وقال كشاجم فى وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى فى حلةٍ تجرُّ من فضل أذياها
وتحملُ عوداً فصيحَ الجوابِ يضاهى اللحنَ بأشكالها
لهُ عنقٌ مثل ساق الفتاةِ ودسنانةٌ مثل خلخالها
فظلتُ نظارحُ أوتارهُ باهزاجها وبأومالها
وتعملُ جساً كجسِّ العروقِ وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
يفنى لكل إنسان بما يشتهيهِ . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
عن المدائنى قال قال المغيرة الوليد بن يزيد بن عبد الملك أبى خارج إلى
العراق فاستهد ما أحبت فقال إهدلى بربطاً من عمل زرى فأهدى إليه عوداً وكتب
إليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
كهبة طاليه وملاحه محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل فى حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشئ :
* وكان يمانها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جسته حكت متطبياً يجيلُ يديه فى جسس عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
لأنَّ الطيبَ يجسُّ بيدٍ واحدةً وكذلك الضاربُ فليسَ لذكر اليدين وجهٌ .
ومن جيد ما قيل في صحة عبارة المودع الغناء قول ابن أبي عون :

تناجيك بالصوت أوتارهُ فتوفيك أسنهُ أحرف
وأبين منه قول الناجم :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
وقلت: رُبَّ ليلٍ كسالكِ ثوبٍ نعيم بينَ ساقٍ وسامرٍ ونديم
وكؤوسٍ جرتْ وراءَ كؤوسٍ وأعانتْ على طريقِ الهموم
ولنا مزهرٌ كمثلِ فطيم في يدي مطربِ كأُمِّ الفطيم
وسموا صدرهُ بهاجٍ وذبل فزهتهُ محاسنُ التوسيم
مثلِ أرضٍ تيمهرتْ بأفاحٍ أو سماءٍ تكَلَّتْ بنجوم
ذو مالويٍّ سودِ الفروعِ ومُحمر مثلِ أطرافِ فرحةٍ ونعيم
ووسابينٍ لانبجولٍ عليه كخلائيلِ ماردٍ وظلوم
أحمرٍ ازيرِ أسودِ المِ أحوى هل رأيتُم جداولَ التقويم
ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجلس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
لو لم تحركهُ أناملها كانَ الهواءُ يفيدُهُ نطقاً
جستهُ طالمةً بحالتسه جسَّ الطيبِ لمدنفِ عرقاً
فحسبتُ يمينها تحركهُ رعداً وخلت يمينها برقاً
وقال بعضهم في رفاص :

عجبتُ من رجليه تتبعانه يماوهما طوراً ويمالوانه
كأنَّ أغميينَ تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الحمار بماودة الشرب قول الأعمش :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء « فحشا الكلام بما لا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون « ولا يتداوى شارب الحجر بالحجر * ولا يقع هذا مع
قول الأعرابي موقعاً ، ومثله قول البحري :

تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوى الأصمهاى فى الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثأر إلا وهو مذبح
طورا يرى وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطورا وهو مشبوح
وفى ألفاظ العلوى زيادة على معناه فى أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق فى طول صحبته لا ينفع الدهر إلا وهو محروم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأس سير الزق أذى فمتق
وقال القطامي :

استودعتم رواقبنا مقيرة قد برنسن بالطين
مكافحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوى الأصمهاى يصف شراباً فى ظرف خزف :

مخدر مكنونة قد تكشفت كراهية بين اللسان الأوانس

وأترابها يلبسن بيضَ غلائل هي العرى مفرور^{هـ} بها كل شلابس
 مشمعة مرهء ماخلت أنى أرى مثلها عذراء في زى عانس
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراوق :
 كأنما للراوق^(١) وانتصابه خرطوم فيل سقطت أنيابه
 وفيه : سماء لاذ قطرها رحيق رَحْب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيق حتى إذا ألهبها التصفيق
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأشداً بوعثان :

فبت أرى السواكب دانياتِ ينان أنامل الرّجلِ التصير
 بالكفين عنى وأمسح عارض القمر المنير
 أبو حكيم فن حكمت كأسك فيه فاحكم له بأقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمت بضعف سكرى لما سقيتى إلا بمسعط
 بحسبك أن خاراً بجني أسر^{هـ} يبابه فأكاد أسقط^(٢)
 ولابن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت من كل ضرر كان يجنى عليك في رغفانك
 قد ردّ دناه فأتخذه لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذه على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخلل من إخوانك
 أضرستنا حوضه فيه تحسكى رعدة^(٤) تعتربك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقنى بالكبير إلى كبير إنما يشرب الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراوق : ناجود الشراب الذي يروق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالي في النهاية لابن لئلك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة يشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهلِ
رحلتُ عننا من كرومِ بابلِ
وقال غيره في نبيذ الدبس :

عاني أحمد من الدوشاب
لو ترائي وفي يدي قدحُ الدو
وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

إلا بصافي الشرابِ مقرر
نفسُك عنه خناقِ مزور
كأنه صولجانُ بالور
قصارُ رجال في المسولِ قعود
ولستُ بنافِ خمارِ مخمور
يطيرُ عن رأسهِ القناعِ إذا
يميلُ أعلاهُ وهو منتصبٌ
وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها
وقال بعضهم في الطنبور :

جيدُهُ نصفُ سائرهِ
فأبني اللحظِ ساهرهِ
ما جرى في خسواطرهِ
مخطف الخصر أجوف
أنطقتهُ يدا فتى
فحكي عن ضميره

وقال آخر في المعزقة :

لها حنينٌ كحنينِ الغريب
بيضاء من جلدِ غزالِ رباب
نصبتُ أشراكاً لصيد القلوب
معلنة الأوتارِ صحابة
مكسوةٌ أحشاؤها حلة
كأنما نسمة أوتاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من التهاافت وبرأها من التغاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير لو أنها أوفق الألوان لأبصار الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلأ غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى منازلها وخالف بين مناظره لتناموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)
وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعاني - ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :
نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبانٍ تشبُّ لِقَمَّالٍ^(١)

(١) تشب : أى توقد ، والقَمَّال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سريفاً بليلاً والنجوم كأنها قلادةٌ ذرّ سَلَّ عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيتُ السماءَ كالبحرِ إلا أن مرسوبه من الدرّ طاني
فيه ما يملأُ العيونَ كبيرٌ وصغيرٌ ما بينَ ذلك خافي

المعنى جيد وليس اللفاظ رديق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبسَ الدُّجى كانتْ نجومُ الليلِ حصباءاً
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :
كأنَّ سماءَها لما تجلّتْ خلالَ نجومها عندَ الصبّاح
رياضُ بنفسجٍ خضيلِ نداءٍ تفتحُ بينها نورُ الأفاحي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجمُ غائرٌ غلالةٌ ليلٍ بالصبحِ مطرر
كأن بياضَ النجومِ في خضرةِ الدُّجى تفتحُ وردٍ بينَ رَندٍ^(١) وعبرر
وقلت : كم سرور زرعتُ بينَ الندامى وهموم طرَدتُ بينَ الكؤوس
وتلوح^(٢) النجومُ في ظلمةِ الليلِ كعاجِ بلوحٍ في ابنوس
وقلت : بليلاً كما ترفو الغزاةُ أسودٍ على أنه من نورِ وجهك أبيض
كواكبه زهرٌ وصفرٌ كأنها قبائعٌ منها منذهبٌ ومفضض
وفي النجوم ما هو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحر فشبّه الأبيض ببقية
مفضضة والأصفر والأحر باللذبة والذهب بوصف بالحمرّة والصفرة ، ومثل هذا
التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وبياض النجوم » نتم المقابلة ويخلص

من تسكلف « وتلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلمِ الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقاباً
وقد أحسن الناشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
وردت عابها والنجوم كأنها كتابٌ جيش سوّمت لكتائب
وقلت : وأنجم كزرب في شهب كالشهب تجرى في خلال خطب
والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تمرضت تمرضَ أثناء الوشاح المفصل
وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأن التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أى جانبه قال
والثرياء تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلّق
وقالوا أحسنه قول ابن الطّرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمانٌ وهى من سلكت قببداً
أنتد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ماهى متبددة واسكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهى متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحذّنين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشرَ بسقم الهلال بالعيد
تبدو الثريا كما غرّ مشرّه بفتح فاه لا تكل عنقود
والأول أجود لذكروا وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
أو أحمر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحثٌ لسارياها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيبٌ طعمه^(١) إذا ذُقتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوعِ ومغيبِ

فتخيرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيبِ

فهي كأسٌ في شروقِ . وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجومُ مغفراتٍ تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصفت إلى الغربِ الثريا بوالدٍ لو سلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هودجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمعت بينَ النجومِ كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلد الموصلي :

وترى النجومَ المشرقات كأنها دررُ العصابة

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعي نجومَ الليلِ وهي كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حوطا منهن طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه) . (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على حالانها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأشدنى بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بِنُونٍ مِنْ غَنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجُونٍ
وَالثَّرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وقد أحسن وأطرف . وقد أصابَ القائلُ بعضَ وصفها في قوله
« كأن الثريا حلة النور منخل » وقال ابن المعتز :

ألا فاسقنيها والظلامُ مقوِّضٌ وخيلُ الدجى نحرَ المغاربِ تركضُ
كأبَّ الثريا في أواخرِ ليلها تفتحُ تورُّ أو لجامُ مفضض
وشبهت بالقدم ، قال ابن المعتز :

قم يا نديمي نصطبح بسوادٍ قد كاد يبدو الصبحُ أو هو باد
وأرى الثريا في السماء كأنها قد دمَّ تبدت في ثيابِ حداد
وقلت : كأنَّ نهوضَ النجم والافق أخضر تبليجُ أغرٍ تحت خضرةِ شارب
وقلت : تلوَّحُ الثريا والظلامُ مقطب فيضحكُ منها عن أغرٍ مفلج
تسيرُ وراءَ والهلالُ أمامها كما أومأت كفتُ إلى نصفِ دملج
وقلت : شمسٌ هوت وهلالُ الأفق يتبعها كأنها سافرُ قدام متقب
تبدو الثريا وأمرُ الليل مجتمع كأنها عقرَبُ مقطوعة الذنب
وأحسن ما قيل فيها عند طلوع الفجر قول الآخر :

وكأنَّ الصبحَ أسا لاحَ من تحتِ الثريا
ملكٌ أقبلَ في التنا ج يفتدى ويحييا
وقلت : وبالثريا أثر الخلود كالنار لا تسعفُ بالوقود
في أنجم كزبرج في بيد يلوح في التصويب والتصعيد
كشرفات فدن مشيد

وقلت : قم به نظرُ الموم بكأس والثريا لفرق الليل تاجُ
وقد انجرتِ الحجرُ فيه كسبيب يمدُّه نساجُ

وقال العلوي الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لَأَلَى مُدْعَوِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لَأَلَى الثَّرِيَا
 وَرِدَاءُ الدُّجَى لِبَيْسٍ دَرِيْسٌ بِيَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيَا
 وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
 والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثَّرِيَا وَالبدر فِي قَرْنِ كَمَا يَحْيَا بِنَرَجِسٍ مَلِكِ
 أَجُودٍ مَأْقِيلِ فِي الجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ القَدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ الغَنَوِيِّ (١) :
 وَقَد مَاتَ الجُوزَاءُ حَتَّى كَانَهَا فِسَاطِيطُ رُكْبٍ بِالمَلَاةِ نَزُولِ
 ولوشبهها بفسطاط واحد كان أشبهه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا :
 وَقَد هَوَى النَجْمُ الجُوزَاءُ تَقْبَعُهُ كَذَاتِ قِرْطِ أَرَادَتُهُ وَقَد سَقَطَا
 مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا .
 وقال فيها وفي الشعرى العبور :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمْحِ جَرَّةٍ رَامِحِ
 وَقَلتْ : سَقَانِي وَالجُوزَاءُ يَحْكِي شَرِيقَهَا طِفْوَ غَرِيْقٍ فَوْقَ مَاءِ مَطْحَلِبِ
 وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :

شَرِبْتَهَا وَالبَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبِهِ
 كَأَنَّما الجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقِصُ فِي مِنطَقَةِ مَذْهَبِهِ
 كَأَنَّهَا الجُوزَاءُ طَبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ

وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقِنِيهَا وَالبَّيْلُ فَرَعُ عُرُوسٍ زَيْنُوهُ بِدُرَّةٍ وَجَوانِهِ
 وَكَأَنَّ الجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسَ مَالٍ عَنِ سَرَاةِ (٢) حِصَانِهِ
 وَقَالَ آخَرُ : وَكَأَنَّ الجُوزَاءَ وَاتْرُقُومِ أَخَذُوا وَتَرَمَّ بِقَطْعِ بَدْيِهِ

(١) من بني غنم ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سرة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسنت قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كما ناءت بها الجرباءُ كادت تنثني
ونظاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي الفاظها نسكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كدفع الخود أوعين الغزالِ
كأن كواكب الجوزاءِ فيه زميلة^(١) مفجرة البزالِ
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلال
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعري قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوقُ الذِّكرى واعترضت وسط السماء الشعري
كأنها ياقوته في مدرى ما طول الليل بسر مرى
وقد أكثروا من وصفها بالمبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من السكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحيه عن الرشح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح لسارى سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيب

وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جبران العود :

أراقب لمحاً^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف^(٣)

وقلت : وبسهيل رعدة المزوود^(٤) وهو من الأنجيم في محيد

حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة ». (٢) في ديوان جبران العود « أراقب لوحاً » .

(٣) في ديوانه « بطرف » . (٤) أى المزور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كأنَّ سَهَيْلاً والنجومُ أممهُ
يعارضها راع أمام قطع

أجود ما قيل في النسب الواقع قول الحماني :

وركب ثلاث كالأثافي تمادروا
دُجى الليل حتى أو مضت سنة البدر

إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد
وإن فرقوا لم يعسرفوا آخر الدهر

وهو من الغز المديح . ومن جيد ما قيل في الفرقتين قول ابن المعتز :

ورنا إلى الفرقدان كآرنت
زرقاء تنظر من نقاب أسود

وفي الهجرة قول بعضهم :

كأنَّ الهجرة جدول ماء
نور الاقحاح في جانبيه

وقال ابن طباطبا :

مجرّة كالماء إذ ترققا
شقت بها الظباء برداً أزرقا

لباس تسكلى وشيها المشتمقا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأنَّ التي حول الهجرة أوردت
لنكرع في ماء هناك صيب

فوجدته متسككاً جداً فقلت في معناه :

ليل كما نفص الغراب جناحه
متبعم الأعلى بهم الأسفل

تبدو السكواكب من فنون ظلامه
لمع الأسنمة من فنون القسطل

وترى السكواكب في الهجرة شرعاً
مثل الظباء كراعاً في جدول

وقلت : تبدو الهجرة منجر ذوائبها
كلاء ينساح أو كالايم ينساب

وزهرة بازاء البدر واقفة
كأنه غرضه ينحوه نشاب

أغرب ما قيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابي :

كأنَّ ابنَ مزنته جانحاً
قسبط لدى الأفق من خنصر

أي كأن ابن مزنته وهو الهلال لدى الأفق قسبط من خنصر والتسبط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذته ابن المعتز فحسنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كالأبيض فضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشجار
 كأن الذي أبقى لنا منه أفته قصيص سوار أو قراضة دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقى لنا منه أفته *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلال فارقه ليلته بدا لمن يبصره وينعته

كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :

وقد بدا فوق الهلال كرتة كهامة الاسود شابت لحيته

ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بغير قد أنار هلاله فالآن فاغد إلى المدام وبكر

وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حولة من عنبر

وقال : في ليلة أكل الخاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج

وقلت : است من عاشق أضل السبيلا فسقى دمه الطول طولولا

برد الليل حين هبت شمالا فجعلت الصلاة فيها الشمولا

في هلال كأنه حية الرمـل أصابت على البقاع مقبلا

بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليل

وقلت : وكؤوس اذادجى الليل أسرت تحت سقف مرصع باللجين

وكان الهلال مرآة تبر تنجلي كل ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفتين من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :

جلب الجاعة ضامر بخل قد خلت فيه لضغفه سلا

طفلٌ وسكنُ أمرُه عجبٌ قد عانَ بعدَ كمولةٍ طفلاً
قد كانَ حملَ ايلتين فلم ترَ مثله طفلاً ولا حملاً
ومن العجائب أن يهودَ فتى في سبعِ عشرة ليلةً كهلاً

وقال السرى :

قمٌ يا غلامُ فهاتها في كأسها كالجلنارةِ في جنى نسرين
أومارأيت هلالَ شهرِكَ قد بدا في الأفقِ مثلَ شعيرةِ السكين
جعلَ الزجاجُ كأساً ولا يقالُ كأسٌ إلا إذا كانت مملوءة ، ولأعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجوُّ صافٌ والهلالُ مشنفٌ بالزُّهرةِ الزُّهراءِ نحو المغرب
كصحيفةٍ زرقاءَ فيها نقطةٌ من فضةٍ من تحت نون مذهب
جعلَ النقطةَ تحت النونِ والعادةُ أن تكونَ فوقها .

وقلت : والبدرُ زينٌ للعيونِ هلالهٌ فرمقنَ منهُ حاجباً مقرونا
يبسُو ويبسُو النجمُ فوقَ جبينه وكأنَّ جنحَ الليلِ ينقطُ نونا
وقد استحسنت للعاوي الأصفهاني قوله :

لاحَ الهلالُ فُوقَ مغربه والزُّهرةُ الزُّهراءُ لم تغب
تهوى دوين مغيبها فهوتُ تبكي بدمع غيرِ منسكب
فـكأنها أسماءُ باكيةٌ عندَ انفصامِ سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلةَ والهوى مُتضرمٌ والبدرُ في أفقِ السماءِ مُغربٌ
فكأنها فيـه رداءُ أزرق وكأنه فيها طرازُ مذهبٌ

حق الدجى ان تؤنث لأنها جمع دجية . وقلت :

كأنَّ الهلالَ الشَّهرِ قطعةٌ دملج تلوحُ على أعضاءِ معسكرِ غاس
ترى الزهرةَ الزهراءِ تهوى وبراءه كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المتمرة ما أنشدنيهِ أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مغمرة
وقلت: كم قد تناولت الأذاذ من كتب
كأنها فضةٌ ذابت على البلد
والدهر مسكون الحوادث والنوب
في ليلةٍ قراءٍ تحسب أنها
تلقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذاقت طعم النوى لو تدرى
في قمر مشرق نصفه
كأنها جنبي على جمر
سبأه بجرفة العطر
فريسة للبق منوشة
قد ضعفت كفي عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سرَّ أعداؤه
تمرزه شررات البعوض
إذا رام قوتنا من النوم شذ
في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)
فمن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحمٌ علافيٌ وأبيض صارمٌ وأعيسٌ مهريٌ وأروعٌ ماجد^(٢)
فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ما هو أطرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعتهُ
بفتيان صدقٍ يملكون الأمانيا
جلباب الشباب أطرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علافي : منسوب إلى علافي حي من العرب يعملون
الرجال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى المهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي (١).

وليل يقولُ الناسُ من ظلمانهِ سواء صحيجاتُ العيونِ وعورها
كانَ لنا منهُ بيوتاً حصينةً مسوحاً أعاليها وساج كسورها (٢)

وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد ألقت على الأرض
أكلعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى الفحيم
سدت على نظري الرائين منهجه حتى تعارفت الأشخاص بالكلم
لا أسأم الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سأم
أحاول النجح في أمر أزاولة والنجح في دلجات الأينقي الرسم
ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه (٣)
قد اكتعلت منه البلادُ بالتمد
أخذه من قول أبي نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وجنح الليل مكتحل بقار
وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالتمد لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
قول مسلم بن الوليد :

أجذك ما تدرين أن رب ليلة
صبرت لها حتى تجلت بغرة
كأن دجاها من قرونك تنشر
كغرة يحيى يوم يذكر جعفر
وقد طرف القائل في قوله :

لا تدعني لصبح إن الغبوق حبيبي
فالليل لون شبابي والصبح لون مشبي

ومن الاستعارة قول ذي الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
(مسوحاً أعاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَفْتَهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلَ الْحَمَى بِسَوَادٍ^(١)
أَخَذَهُ الْبِحْتَرَى فَقَالَ وَقَصْرُ :

عَلَى بَابِ قَدَسْرَيْنَ وَاللَّيْلُ لَطِخٌ^{هـ} جَوَانِبُهُ مِنْ ظَلْمَةٍ بِمَدَادٍ
لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَّةِ الْخِتَارَةَ وَقَوْلُهُ (لَطِخَ جَوَانِبُهُ مِنْ ظَلْمَةٍ بِمَدَادٍ) مِنْ بَعِيدِ
الِاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ ۞ كَأَنَّ دَجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ ۞ فَقَالَ :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةٌ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَرَقَعَ بَعِيدًا عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

تَسْمِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفِرْعَانَ شَبِيهًا بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِخَدَّيْهَا
فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكُؤُوسِ بِوَرْدِهَا

وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلٌ رُوْسُهُمْ يَخُوضُونَ ضَحَضَاحَ الْكُرَى وَبِهِمْ قَرُّهُ
عَلَانُهُمْ جَلِيدُ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُمْ بَرَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاقِبِهَا قَعْرُهُ
إِلَى أَنْ تَعْرَى النَّجْمُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ
وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حَوْمَ^(٢) النَّسْرُ
وَقَالَ دِيكَ الْجِن :

سَبْرِيكَ أُنَى مَسْخَطِ فَيْكَ كَأَشْحَاً وَمَرْتَقِبٌ هَوْلَانٍ مَوْتٍ مَرْقَبٌ
وَجَانِبُ لَيْلٍ لَوْ تَعَلَّقَ قِطْعَةً بِقِطْعَةٍ صَبِيحَ لَأَنْتَ وَهِيَ غَيْبٌ
وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ نُوبًا مَنَمَقًا وَأَشْمَلَ فِيهِ الْفَجْرُ فَهُوَ مَحْرَقٌ
وَصَبَحْنَا صَبِيحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ تَعَلَّمَ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيَشْرَقُ
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ :

نَفَلَتْ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خَيْطَهُ رَدَاءً مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَمًا
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ نَصْحِيْفٌ صَحْحَنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمَعْتَزِ (حَلَقٌ) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي:

وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمَلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتِ
لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلَ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرٍ وَرَوَّضَاتِ

ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
فهو كالمسن بشحن ولا يقطع .

ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبي فنين :

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّجَى مَلْبِدٌ وَلَيْلٌ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدُ
وَنَحْنُ ضُجَّيْعَانُ فِي مَسْجِدِ فَلَهُ مَا ضَمَّنَ الْمَسْجِدِ
أَيَالِيَةَ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدِ
وَيَاغِدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاغِمًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَاغِدِ

وقال السري :

وَشَرُّ دَالِصَبِيحٍ عَنَا اللَّيْلُ فَانْضَحَتْ سَطُورَهُ الْبَيْضُ فِي رَايَاتِهِ السُّودِ
وَقُلْتُ : لَيْلٌ كَفَرَعِ الْخُلُودِ تَخْلُفُهُ ضَحَى زَهْرًا مِثْلَ عَوَارِضِ الزَّهْرَاءِ
عَبَقْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ كَأَمَّا نَفْضِ الرَّقِيبِ غَلَالَةَ الدَّلَاءِ
وَقُلْتُ : وَاللَّيْلُ يَمْشِي مَشِيَةَ الْوَيْدِ فِي الْخَضِرِ مِنْ لِبَاسِهِ وَالسُّودِ
وَالصَّبِيحُ فِي أَخْرَاهُ ثَانِي الْجَيْدِ

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :

وليل كوج البحر^(١) أرخى سدوله على بأنواع الهوم لينتلي

(١) أى كوج البحر في شدة ظلمته .

فقلتُ له لما تَمَطَّى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكـ كل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجبلُ بصبحٍ وما الاصبحُ منكُ بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضميناً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينفصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو . والذي أخبرنا بما في المادة الطرماح في قوله :
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبحُ بصبحٍ وما الاصبحُ منكُ بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس ، ثم استدرك فقال :
 على أنَّ للعينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فبناءً بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقفاً والنكف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكراهة فيه ظاهرة .
 وقال ابن الدمينية في معنى قول الطرماح :

أظللُ نهارى فيكم متعللاً ويجمه معنى والهم بالليل جامع

وقال المحنون :

بضمُّ إلى الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) كاضمُّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ

جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كلىني لهمَّ يا أميمةُ ناصبٌ وليل أفاويه بطيء السكواكب

أطاولَ حتى قلتُ ليس بمنفضٍ وليل الذي يرعى النجوم ^(٣) بأيب

وصدر أراح الليل عازبَ همّه تضاعف فيه الحزن من كلِّ جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل

« حبكم » وفي الاصل « حبها » وقال فيه : يروى « أنشاء حبها » ويروى « أبناء

حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة

« يهدى النجوم » وهو الذي يتقدمها

فجعل الهم يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريجها الرعاة مع الليل إلى
أما كنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكريه البدرُ والليلِ دونهُ فبات بحدِّ الشوقِ والصبرِ يلعب
كذكرى الحمي والحى في منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب
فأزاداً في جنح الظلام صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت نورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذلك السرورُ بالليلِ أعذب
وبما استجدت من شعر أبي بكر الصولى فى معنى امرىء القيس قوله :

أسرَّ القلب في هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
فنهاري أراه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنت فرقت بالفرقِ صبرى فأعرنى لمسا عراني اضطبارا
وبستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفسه لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إن فى الصبحِ راحةً لمحبِّ ومع الليلِ ناشئاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ ناشئةَ الليلِ هيَ أشدُّ
وَظنًّا وأقوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاح لي صبحٌ فهمى مقسم وفي الليلِ هي بالفرقِ أطول
وتمنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى بالنهار من الغرماء

ولما يحتاج اليه من النفقة في كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتي بالهمومِ
حوائج لا تطيق لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريمِ
قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر ما فيه خللُ
كأنما الاصباحُ فيها باطلُ أزهره الله الحقُّ فبطلُ

ساعاتها أطول من يوم النوى وليلة الهجر وساعات المدل
 موصدة على الورى أبوابها كالنار لا يخرج منها من دخل
 وهذا يستملح وان لم يكن مخناراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 ما ليس بمحسوس في التشبيه ردى . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظلم الرّمح قصر طوله دم الزقّ عنا واصطكك المزاهر
 وقال البحتري :

وقاسين يبالاً دون قاسان لم تكند أو اخره من بعد قطره تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :

وحلت عليه يسلة أرحبية إذا ماصفا فيها الغدير تكندرا
 بعيدة^(١) ما بين البياضين لم يكند يصدق فيها صبحها^(٢) حين بشرا
 وقال : بمخشبة الاقطار حيلبة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد

يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحذئين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :

عهنى بنا ورداء الليل منسدل والليل أطوله كاللمح بالبصر
 والآن ليلي من باتوا فديتهم ليل الضرير فصبحى غير منتظر

وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذى تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتبدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعه ، والمعنى أن ليله ممدود
 بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تعول
 ليلي كما شاءت قصير إذا جادت وإن ضنت فليل طويل

فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) في ديوانه (نجرها) .

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تفرور
 ليلى كما شاءت فإن لم تزر طال وإن زارت فليلى قصير
 إلا أن بيته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وصحمت كافي الكفاة يقول
 لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده : **جُلُّهُمى وهمتي جُرْجانُ***
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبدُ أنا ثمَّ عنك غَدُ

وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تبرد * وقلت :

غابوا فلم أدر ما ألقى مس من الوجدِ أوجنون
 ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدم حرور
 أجيلُ في صفحته عينا ما تلاقى لها جفون

وملح ابن الأحنف في قوله :

حدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا

وقد أنبأ بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :

لم يطل ليلى ولكن لم أتم ونفى عنى الكرى طيف ألم

ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطيرِ بنا ننوشه على شمعِ الكوارِ والليل غاسق

على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادى * والاول أفصح .

وأنبأ العجاج أيضاً عن العلة التي لها بطول الليل * تطاول الليل على من لم ينم *

وقال بشار :

لقد يك من كفيك في كل ليلة إلى أن ترى ضوء الصباح وساد

وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجراً * والاشتجار

وضع اليد على الخلد والاعتقاد عليها وهو جلسة المتفكر ؛

نبيت نراعى الليل نرجو نفاذه
 وقال : خابلي ما بال الدجى لا تزجرح
 وليس لليل العاشقين نفاذ
 وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
 وكان الدجى زادت وما زادت الدجى
 ولكن أطال الليل هم مبرح
 وقال ديك الجن :

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا
 وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو :
 كأن نجوم الليل سارت نهارها
 فخبين حتى تستريح ركابها
 ووافت عشاء وهى أنضاء أسفار
 فلا فلك جار ولا فلك سارى
 وذ كرخال الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتمجيده وتبلده فقال :
 لست أدري أطال ليلى أم لا
 لو تفرغت لاستطال ليلى
 كيف يدري بذلك من يتقى
 ولرعى النجوم كنت مخلى
 وتبعه أبو بكر الصولى فقال :
 وطولت ليلى لو دريت بطوله
 ولكنه يمضى لما بي ولا أدري
 وقال بشار :

طال هذا الليل بل طال السهر
 لم يطل حتى دهانى بالهوى
 ولقد أعرف ليلى بالقصر
 ناعم الأطراف فنان النظر
 فكان الهجر شخص ماثل
 قلت: صيرنى البين عرضة الحين
 لا أربح الله صفقة البين
 قد طال يومى ولبلى بهم
 كان قليلاً لدى مكثهما
 لما يزالا بهم قصيرين
 فكنت أدعوها الجديدين
 فصرت أدعوها عتيقين
 فقال بمد الحبيب لبثما

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد

كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . أ كثر شعره فى الغزل .

وقال آخر :

يا ليلة طال على عاشقٍ منتظرٍ في الصبح ميعادا
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها بيدرِي
لم تك غيرَ شفقي وفجر حتى تولتُ وهي بكرُ الدهرِ
وقال غيره : وليلة فيها قصر عشائها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال الملوّى الإصهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل سرور شابه عارض غم
صحو وغيم وضياء وظلم كأنه مستعر قد ابتسم
مازات فيه عاكفاً على صنم مهيف الكشح لذيد المتزم
تفاحه وقف على ثم وشم وبانه وقف على هصرٍ وضم
يا طيبه يوم تولى وانصرم وجوده من قصرٍ مثل العدم
وقلت : قصر العيش بأكناف الفضا وكذا العيش إذا طالب قصر
في ليل كأباهيم القطا لست تدري كيف تأتي وتمر
وقلت : إذا البرق من شرق دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرًا أغرَّ محجلاً فقمنا به في ظلّ فينان مورق
فرّ كرجع الطرف ليس يمسه حين إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض الحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تنق

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت

اعرابياً قول جرير :

أبدلّ الليل لأنسرى كواكبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا

فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليسيل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب (١)
 نهم الحب أورق فيه حتى تناولنا جناه من قريب
 بمجلس لذّة لم تقو فيه على الشكوى ولا عدّ الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت الميون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمان هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنتم إذا غلقت جبال قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
 فأحسن حين يحسن محسنوهم وأجذب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيئتهم فآسى مشيئتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجور سوية والعيش غض والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنها فيها السنون شهر

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظلنا في جوار أبي الجناب بيوم مثل سالفة الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل

قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :

ويوم كإبهم القطاة محجب إلى هواه (٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم تكن (٣) كمن نبه محرومة وجبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصيد العزيز ولم يكن) .

فقال ويله وما ينفعه خير يقول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الزوارة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدُه كثير الطحلب
فقال إنما قال (عن جودة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة
فمن حقها وحق قائمها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو

ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها أقصراً وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تمدد فيه شهور العيش أياما
وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دباحره
فوالله ما أدرى أضوء مسجرج لذكركم أم بسجرج الليل ساجره
وبت أنسى الشوق حتى كأننى صريع مدام لم ينهه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصايره
أرى قصر بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره
وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها احداثه كوني بلا فجر
 راح الصباحُ بيدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقالت : وصلت نعم ولكن صلة تشبه اللحظة في انتقالها
 لست أدري أتممتُ بها أم بزورِ الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعاً مثلها أنشطت دهاء من عقابها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار ومايجرى مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُقى وقد جاؤوا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت نادبهم وهناك شيخ طويل الصمت
 طالم بالشمع^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فاذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم بصف القطا :

غَدَّتْ في رعيلى ذى أداوى منوطة بلباتها مر بوعنة^(٤) لم تمرَّخ^(٥)
 إذا سرَّ بسخٍ عطت^(٦) بحال سرائه تمطت فخطت بين أرجاء سربخ
 فقرع الشيخ الأرض بمحجنه وهو صامت ، ثم أنشده آخر يصف ليلة^(٧) :

-
- (١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القائل زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر بيكر المنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الاصل (مدبوغة)
 (٥) تمرَّخ أى تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي :

كَأَنَّ شَيْبَةَ الصَّبْحِ فِي آخِرِيَّاتِهَا مُسَاءً يَنْقِي مِنَ طَيِّبِ الْمَسَاءِ خَضِرًا
تُخَالِ بِقَايَاهَا الَّتِي أَسَارُ^(١) الدُّجَى تَمُدُّ وَشَيْعًا^(٢) فَوْقَ أَرْدِيَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مُصَلِّئًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ يَمِينًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغُنِي فِي أُذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْرِهُ فَأُرِيكَ فَقَدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أُسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قال أبو هلال رحمه الله تعالى وهذا دليل على أن علم الشعر والتمييز بين جيده
ورديته كان غريزاً عند أهل البوادي وهم أصوله ومنبعه ومعدنه ، وكان فعل هذا
الشيخ واستنفاذ جيد الشعر له قريباً مما روى عن محمد الأمين أنه قال إني لأطرب
على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

ومن غريب ما قيل في الصبح من الشعر القديم قول ذي الرمة ه وقد أجمع الناس
على أنه أحسن العرب تشبيهاً :

وَقَدْ لَاحَ لِسَارِي الَّذِي كَمَلَ الشَّرَى عَلَى آخِرِيَّاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى مُشَهَّرًا
كَلُونِ الْحِصَانِ الْأَنْبَطِ الْبَطْنِ قَائِمًا تَمَائِيلَ عَنْهُ الْجِلْدُ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وهذا أحسن تشبيهه وأكمله ، الأنبط : الأبيض البطن ، شبه بياض الصبح تحت

حرته بياض بطن فرس أشقر . أخذه ابن المعتز فقال :

وَمَارَعَانَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلَالُ قَبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ

وقال أو قال غيره :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرخِي الْجَلَالِ

ومن أغرب ما قاله محدث فيه قول ابن المعتز :

(١) السُّور: البقية والفضلة، يقال إذا شربت فأسر . (٢) الوشيعة : ليفقة من

غزل، ونسجي القصبه التي يجعل النساج فيها لحمه الثوب للنسج وشيعة . (٣) البرك

إبل أهل الحواء بالغة ما بلغت، وقيل البرك الإبل البروك، وقيل البرك: ألف بدير .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنه^١ ظلمهم على بيضٍ تكشفَ جانبَه
وقد أبدعَ أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه
وقال أبو نواس :

فعمتُ والليلُ يجلوهُ الصبحُ كما جلا التيسمُ عن عُزِّ الثنبيات
وفي الفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابِه كطاعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطاعةِ الأشمطِ من بردِ شملٍ وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثُ ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كعينِ الأشمطِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته
وقال : والليلُ قد رقى وأصفي نجمة
معتزاً بفجره في ليلة
كموقدٍ باتَ ينفخُ الفحسا واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
كفريسٍ بيضاء دهاء اللب

وقال العالوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورداً
وقلت : إلى أن طوينا اليومَ إلا بقيةً
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسكٌ
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً
وصبحنا صبيحاً كأنَّ ضياءه

مثل المدامةِ في الزجاجِ تشمع
يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وقابلهُ للغربِ بردٌ ممسكٌ
وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرقٌ
وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
تعلم منا كيف يبهى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليالٍ مظلمة مطرراتٍ بالصباح مملوءة
 أخطرُ في بردتها المسهمة والرَّوضُ في حلتها المثلثة
 قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهمه
 وقدوشى رداه ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطردُه النهارُ ولا أرى كالليلِ بطردُه النهار طريدا
 وتراه مثل البيتِ مالَ رواقه هتك المقوص شره الممدودا
 وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
 والصبحُ قد نسم في أديمه يدعه يطرُّ في حيزومه
 دعى الوصى في قفا يتيمه

ومن الاستمارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيرا على السرى وطارَ بأخرى الليلِ أجنحة الفجر
 والنصف الأول من قول الآخر : عند الصباح يحمد القوم السرى
 وقال العلوى الاصفهاني :

وليل نصرمت الغنى فيه على الرشد وأعديت فيه الهزل منى على الجد
 وضيمت فيه من عناقٍ معانق فظنَّ وشأنى أنى نائمٌ وحدى
 الى أن تجلى الصبحُ من خلال الدُّجى كما انخرط السيفُ المياني من الفمد
 وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيل يخطرُ في نوادى يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
 كأنه غرَّة مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصر
 ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاح ضوء الصبح فاستبيننا
وقال التنوخي: والسثريا كلواء
وبدا الفجر كسيف
وقلت: أدير أعلَى الكأس والليل راحل
ترفع عنه منسكب الليل فأنجلي
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه
وقال: أسامره والليل أسود أورك
تبسم محمراً خـلال سواده
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمس الأصيل لهم حتى توقد في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جرَّ أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه
والناس يظنون أنه ابتداءه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزأحـــــــــف يترجى خلف اطلاق

صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي

كان العازف الحنى أو أصوات نواح

على أرجائه والبرق يهديه بمصباح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الياالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهوم
وقات: وقد غدوت وصبح الليل منتهص وغرة الصبح مصقول حواشيها
وغربت أنجمُ الظماءِ وأنحدرتُ فسالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الاعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةُ أما إذا الليلُ جنبها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقت عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليل وانجاب الحجابُ المستر
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقى ثوبٌ معصر
ولون كدرع الزعفران مشبهه شعاع بلوح فهو أزهرٌ أصفر
الى أن علت وأبيض عنها اصفرارها وجالت كما جال المليحُ المشهر
ترى الظل بطوى حين تماو وتارة تراه إذا مالت إلى الارض يفشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا وت لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تنزل تموت وتحميا كل يوم وتنشر

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم على
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *
ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفل والشمس كالمرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تظالمني الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارا

قدستر غُمرتها بالبخار
وقال ابن المعتز وأغرب :

نظلُّ الشمسَ ترمقنا بلحظ
تجاولُ فتى غيم وهو يابى
خفى مدنف من خلف سائر
كمنين يريدُ نسكاحَ بكر

وقال ابن طباطبا :

وأقذيت عين شمس فحكمت
وقلت: فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
يفضضُ منها الجوُّ عند طلوعها
وتحسبُ عين الشمسِ اذهى رفعتُ
من خللِ الغيمِ طرفَ عشاء
كما أشرقت فوق البرية زينب
ولكنَّ وجه الأرض فيها مذهبُ
على الأفقِ الغربيُّ شبراً يندب
وقلت في يوم صبحو :

ملاً العيونَ غضارةً ونضارةً
والشمسُ واضحةً الجبين كأنها
وكأنها عند انبساط شعاعها
جرت إذا بكرت ذبول مزعفر
صحو يطالعنا بوجه موقٍ
وجه المليحة في الخار الأزرق
تبرُّ يذوبُ على فروع المشرق
وتجبرُّ إن راحت ذبول ممشق
تضحكى الصباح مع الصباح المشرق
فشربتها عناء من يدٍ مثها
وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت في رداء معصفر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :
حتى علا الطود ذيل من أصائله
وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمسُ في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

كان خبوة^(١) الشمس ثم غروبها وقد جملت في مجنح الليل تمرض
تخاوص عين بين أجفانها السكرى يرفق^(٢) فيها النوم ثم تغمض
ومن جيد ما قيل في احمرارها عند المغيب قول ابن الحاجب :

وكأنها عند الغروب جفون عين الارمد

وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

إذ ارتقت^(٣) الشمس الأصيل ونفضت على الأفق الغربي ورساً مذذعاً^(٤)
وودعت الدنيا لتفضي نجيبها وشربل باقي عمرها ونشعشعا
ولاحظت النوار وهي مريضه وقد وضعت خد على الأرض اضرعاً
كما لاحظت عوادته^(٥) عين مدنف توجع من أوعابه ما توجعاً
وظلت عيون الروض^(٦) تخضل بالندى كما اغرورقت عين الشجي لندما
وبين إغضاء الفراق عليهما كأنهما خيالاً صفاء تودعاً
وقال الآخر :

والشمس تؤذن بالشروق كأنها خود تلاحظ من وراء حجاب

وقال السري :

ومن تصدر عليه مشرفة^(٧) تضيء والليل أسود الحجب
بيض إذا الشمس حان مغربها حسبت أطرافهن من ذهب

- (١) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « جثو » .
(٢) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل (يرفق) .
(٣) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « إذا أرفقت » .
(٤) الورس : نبات كالسمسم ، ومذذعاً : متفرقاً .
(٥) في الأصل « عوادها » .
(٦) في ديوان ابن الرومي « عيون النور » .
(٧) كذا في ديوان السري ، وفي الأصل « على مشرفة » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاةٌ طيبٍ ليطها واصفرارُها
ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :
فاذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
وقلت : ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
وقلت : وعلى الصباح غلالة فضية فيها طراز من خيالك مُذهب
آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(استدرأكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المؤمن يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بن أمية ، وكان عمي الفضل بن سهل يقول الاوائل وقال غيره
٦٣	١٦	علمت بأن الثباب ليست رزية
١٥٩	١١	من صخر تدمر أو من وجه عنان
١٩٨	١٣	

(١) في ديوان أبي ذؤيب « أضمت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

	الصفحة
ترجمة المؤلف .	٢
صورة آخر النسخة الشنقيطية .	٦
مقدمة الديوان .	٧
أحسن ما قيل في وصف شعر .	٨
النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » .	١٠
أخلى بيت قالته العرب .	١٠
أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .	١١
أبواب ديوان المعاني .	١٤
الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار	١٥
الفصل الأول : في المديح .	١٥
الفصل الثاني : في الافتخار .	٧٦
الفصل الثالث : في التهاني .	٩١
الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والخلم والحزم والعقل ، وما يجرى مع ذلك .	١٠٣
الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .	١٥٧
الفصل الأول : في المعاتبات .	١٥٧
الفصل الثاني : في الهجاء .	١٧٠
الفصل الثالث : في الاعتذار .	٢١٦
الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجرى مع ذلك .	٢٢٢
الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجرى مع ذلك	٢٨٦
الفصل الأول : في ذكر النار .	٢٨٦
الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .	٢٩١
الفصل الثالث : في وصف الشراب .	٣٠٥

- ٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر وما يجري مع ذلك .
- ٣٣٣ الفصل الأول : في ذكر النجوم .
- ٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه .
- ٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، وما يجري مع ذلك .

﴿ استدراكات وتصويبات ﴾

الصفحة السطر

- ٢٠ ٢٠٣ نصب اسمعيل بن نويخت طارمة في صحن
- ١٩ ٢٠٤ وما قيل في قبح الخلقة وغير ذلك
- ٤ ٢١٥ لا تخدعته بأثواب مصبغة
- ١٠ ٢٣٧ وغدا فم عليه عند رقيه
- ١١ ٢٤١ كأن على أنيابها الخرشجها
- ١ ٢٤٩ وعانقت حلق من صدغه حلقا
- ٩ ٢٦٥ لو كانت الأشياء تعرفه أجالنه اجلال بارها
- لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
- ٢٣ ٢٧١ أسر اذا بليت وذاب جسمي
- ١٥ ٢٧٦ ان الذي يعشق من لا يرى كبيت من شدة الغلة
- ٧ ٢٩٣ يقشر جلدأ منه كالنضار
- ٦ ٣٠٠ ظلت تبكي شجو ما أبصرت من أمرنا وهي به عالمه
- ٧ ٣١٤ هذا الشعر للمخبل اليشكري لا للاخطل
- ١٣ ٣١٥ أنها عندي وأحلام السكرى
- ٥ ٣١٩ كما أنك تابع وأنا قرين فغلبه
- ٢٢ ٣٢٣ أكرم ذخر ذخرته كمة في عنبه
- ١١ ٣٢٤ فأت نف المم

شيمت	٩	٤٩	أن نخل به	٤	١٥٣	اقتفروا	١٥	٩٧
وما ظلم	٦	٥٠	وبادرت منه	٦	١٥٣	ولشأوه	١	١٠٠
ويمرع	٧	٥٣	زفر	١٦	١٥٥	تجلى لك	١٧	١٠٠
وتدولوا وعودا	١٠	٥٤	راضى سنة	١٢	١٥٨	من مواله	٦	١٠٢
مد الغلاء	٧	٥٥	بجنب السار	١٠	١٥٩	ويليقك ثواب	٢٠	١٠٢
خدى	٢٠	١٦	بطائشة الصامور	١٧	١٧٠	إنك	٥	١٠٦
مذهبه	٧	١٤٥	دوبل .. دوبل	١١	١٧٣	بليال	٢٢	١٠٦
عليم بن جناب	١٨	١٤٩	يزقى	٢٢	١٧٥	آلف	١٠	١٠٩
سعيد بن مسلم	٢٠	١٥٠	جذمة	٢	١٧٦	يواكب	٣	١١٠
بذى شكر	٧	١٩٦	تغلب	٧	١٧٦	تقدتها	٩	١١٠
نحوى جميعه	٨	١٩٦	به المعنى	١٦	١٨١	مجدلا	١	١١١
في الطبر	١٩	١٩٦	تكن لتكون	٣	١٩٨	بما ل	٢	١١١
وأدغمت أبا	١١	١٩٩	أمين	١٠	١٩٨	أغشى	٣	١١١
ثنتي عنك	١٥	١٩٩	أندار بطوفى	٢	٢٠٦	أخر	٧	١١١
فيه منذ زمان	٦	٢٠١	غادر الرفض	١٥	٢١٣	ما ذلك	٢٠	١١١
ظهاره سوء	٧	٢٠١	وقعتما للحين	١٨	٢١٣	الصقعب النهدي	١٣	١١٢
كما تزيد	١٧	٢٠١	زور اذوى السنة	١٩	٢١٣	قد جبت جلبابه	٢١	١١٢
بسلب الصفات	١١	٢٠٢	فيزيد فيها	١١	٢٣٣	رفيقة	٦	١١٣
عن الأشنانانى	١٥	٢٠٢	أملود	١٦	٢٣٣	بلعاء	١٨	١١٤
كالذبح	١٨	٢٠٢	سب. وطاق	١٧	٢٣٣	يبحر	١٠	١١٥
ابن مهرويه	١٩	٢٠٣	يا السلى	١٩	٢٣٤	عيد بن الأبرص	٦	١١٨
وتنتى حتى	٢٠	٢٠٦	فيها بترها	٨	٢٣٧	وأنتى غير	٥	١٢٢
كسير الجناح	٢	٢٠٨	النرى	١٤	٢٥٣	دجاجة	١٨	١٢٢
خامد المصباح	٣	٢٠٨	يناب بعينى	١٣	٢٥٥	ابن ميادة	٨	١٢٣
وسماد لحية	٦	٢١٠	فأسبت	٤	٢٥٦	عق الحساب	٥	١٢٦
به من دمامته	٣	٢١٢	غضبة	٥	١٧	ألعمة الله	٢٢	١٢٨
أظهر فيه	١	٢١٣	تكدر عيشة	١	٤٢	المشقر	٩	١٣١
غادية	٨	٢١٤	خبث	١٤	٧٦	راوية .. ابن	١٣	١٣١
ولا تأتيني	١٧	٢١٥	قعبان	٥	٩٢	تعتب	٣	١٣٢
في بيتى	٧	٢١٦	بخترى	١٥	١٢٥	تجنب	٤	١٣٢
وللقارف ذنبا	١٨	٢٢٠	شارب	٤	٢٤٩	حاحلة	٦	١٣٣
أرى الراغب إلى	٢	٢٢١	آراؤهم	٥	٤٩	بوانى	٧	١٣٣
الهيئة الحية	٤	٢٢١				قول عمارة	٧	١٣٦
						الضافر	١٥	١٥١
						ويهم صالحى	٣	١٥٣

من المن	١٥	٢٩٦	الهوامى الهوامع	٨	٢٦٣	دمع احدره	١٥	٢٢٥
في السقي	٤	٢٩٦	قوم موسى	٢٠	٢٦٣	عند خود	١٣	٢٢٦
أتعرف من	١١	٢٩٨	كنت في	٨	٢٦٤	ونبتها قالت	٨	٢٢٨
المعتدة	١٦	٢٩٨	الحسن عليه	١٤	٢٦٤	الحسن بسطة	٢٢	٢٢٨
السكيسة الحازمة	٣	٣٠٠	معاً فلم	١٧	٢٦٤	بيضاء كالفضة	٤	٢٢٩
صادفت منا	٧	٣٠٠	أظرفه	٢	٢٦٥	قاسنى بالبدردق	٤	٢٣١
وقد تردى	١٩	٣٠٠	لشدهما	٢٣	٢٦٥	حسنه .. حفلت	١٥	٢٣٢
موشى تخال	١٠	٣٠١	الوصل شافيا	٨	٢٦٦	عين تفل	٦	٢٣٧
ثغر .. الواضح	١٧	٣٠٢	وأرحم	١٠	٢٦٦	يحتبها أحور	١٣	٢٤٠
فدون السمن	١٠	٣٠٤	لم يك	١٤	٢٦٦	مشرب عذب	١	٢٤١
طيف سلمى	١١	٣٠٤	في الشمس	١٨	٢٦٩	بدلها	١٤	٢٤٢
منسر الباز	١٤	٣٠٤	ففافضاه	٥	٢٧١	وأثنى	٤	٢٤٤
سباها التجر	١١	٣٠٨	ياجنان	١١	٢٧١	زق أمات	١٤	٢٤٤
أرى نجمين	١	٣١٠	يعش .. المنون	١٠	٢٧٢	فأفضيت	١٦	٢٤٤
ووجنة	٥	٣١٠	اقتياد .. صاحبه	٢٠	٢٧٢	قلقت وشحه	١٩	٢٤٥
ذهن لطيف	١٣	٣١٠	بى يستن	١	٢٧٣	تغضبن .. انتعات	٨	٢٤٦
وقد حجب	١٨	٣١٢	سفعة	١٠	٢٧٦	طره .. طره	٧	٢٤٧
اله ان	٣	٣١٥	يشنى الجوى	١٠	٢٧٧	أوبالمنى	١٤	٢٤٧
لهو ألى	٦	٣١٥	زف .. لخياني	١٣	٢٧٧	قرنوا	٢٢	٢٤٨
ليأتى ما	١٧	٣١٥	معان جياذ	١٨	٢٧٧	أو كالجميم	١	٢٤٩
فأزرى	٢	٣١٨	ولا طارقاً	٢٠	٢٧٧	وما سلمى	١٦	٢٥٠
راضعت	١١	٣١٨	ونحن مفترقان	١٥	٢٧٨	وصف الساق	١٨	٢٥٠
على الأجسام	١٣	٣١٩	ليلة القرر	٥	٢٨١	نقطن أذقانا	٣	٢٥١
ذكر مزاج	٢	٣٢٠	حججاً	١١	٢٨١	القوام والترنح	١٣	٢٥١
يميل	٥	٣٢٥	من نزوح	١٢	٢٨٢	إلا شاشة	١٠	٢٥٢
والأرض به	١٨	٣٢٦	فنبين	٢	٢٨٤	يخرق	٢١	٢٥٢
ابن سريج	١٥	٣٢٧	تنفض	٨	٢٨٥	خلس	٢١	٢٥٤
عمل زلزل	١٨	٣٢٧	وجواهم سفع	١٩	٢٨٩	أطراف خرمة	٤	٢٥٥
في جس	٢١	٣٢٧	موقوفه بين	٣	٢٩٠	كما سقى	٦	٢٥٦
أحرفه	٤	٣٢٨	تصبغ بالدماء	٢١	٢٩٠	السيف الصقيل	٢١	٢٥٦
فا يتداوى	٤	٣٢٩	في جوذاينه	٥	٢٩٣	فاض من	١٢	٢٥٧
دكن الظواهر	١٩	٣٢٩	أرج العطر	١١	٢٩٦	كوم المطايا	١٥	٢٥٨
في تباين	٢٠	٣٢٩				من طيبها	٦	٢٥٩
						يفيم كل	١١	٢٥٩

